



وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير

من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)

من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان

عرضاً ومناقشة

رسالة علميّة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

إنجا بنت دخيلّ بن حمود الجدعاني

الرقم الجامعي (٤٢٧٨٠٢٨٧)

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرحيم بن يحي الحمود الغامدي

العام الجامعي

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد :

فإن رسالة ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان عرضاً ومناقشة.

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسُّنة ، شعبة التفسير وعلوم القرآن من الباحثة : إنجا دخيِّل حمود الجدعاني . وتشتمل الرسّالة على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس عامَّة.

ذكرت في المقدمة سبب اختياري للموضوع ، وأهميته ، ومنهجي الذي اتبعته في البحث.

القسم الأول : كان التعريف فيه بابن جُزيّ بإيجاز وكتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) ومنهجه في الترجيح ، حيث أبرز أهم مراحل حياته ، و مكانته العلمية ، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير ، وأثره فيه ، وفي سائر العلوم الأخرى من خلال ذكر تآليفه .

القسم الثاني : فقد عنيَ بترجيحات ابن جُزيّ الكلبي في التفسير من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان ، ودراسة هذه الترجيحات دراسةً تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من المفسرين وغيرهم .

و أبان البحث عن قوّة ترجيحات ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى – وأنَّه لم يكن مقلدًا في ترجيحاته التفسيرية ، بل كان مجتهدًا يعتمد الدليل والنظر.

ثم أنهيت البحثَ بخاتمة فيها أهم النتائج ، وفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة .

والحمد لله على توفيقه وامتنانه،،،

Thesis Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayer and peace be upon the last of the Prophets and Messengers, our Prophet Muhammad, his kinsfolk and companions and those who follow them in good faith till the Judgment Day.

The preponderant study of Ibn Juzai of Holy Qur'an Interpretation in his book "Al Tasheel Li Oloom Al Tanzeel", from the beginning of Surat Al Maarij up to the end of Surat Al Insan, presentation and discussion, is an academic thesis presented in fulfillment of the Master's Degree in the Holy Book and Sunnah, Department of Holy Qur'an Interpretation and Qur'an Sciences, by the researcher: Inja Dikhail Humod Al Jadaani.

The thesis comprises an introduction, two sections, a conclusion and general indices.

I have stated in the introduction the reason for choosing the topic, its objectives, significance and the method I have followed in my research work.

Section One: A brief introduction of Ibn Juzai and his book (Al Tasheel), his method in preponderance, where he had highlighted the most important stages of his life, his academic standing and explained his serious participation in Holy Qur'an Interpretation, his impact on it and in all other sciences through narrating his books and writings.

Section Two: Tackled the preponderances of Ibn Juzai Al Kalbi in interpretation from the beginning of Surat Al Maarij up to the end of Surat Al Insan and studying those preponderances in details compared to the ideas of senior scholars, interpreters and their likes. Moreover, the researcher illustrated the preponderances of Ibn Juzai Al Kalbi – May Allah forgive him - and that he was not an imitator in his interpretation work, he was rather a diligent laborious worker depending on evidence and thought.

I have ended the research work with a conclusion comprising the most important results and technical indices explaining the contents of the thesis.

Thank Allah for helping me to conclude this work,,

مُقَدِّمَة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(١) لا يحصى عدد نعمته العادّ ون ولا يؤدى حقّ شكره المتحمدون ولا يبلغ مدى عظمته الواصفون ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٢)أحمده على الآلاء وأشكره على النعماء وأستعين به في الشدة والرخاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .أرسله إلى الخلق أجمعين بلسان عربي مبين بلغ الرسالة وأظهر المقالة ونصح الأمة وكشف ا لغمة وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وتابعيهم بالإحسان إلى يوم الدين(٣).

أمّا بعدُ :

فإنّ أحقَّ ما صرُفت الهمم لتحصيلهِ ، وأجمعَ الثقلين على تفضيلهِ ، وانعقدت خناصرُ العلماءِ لنيل معينهِ ؛كتابُ اللهِ – ﷻ – الجالي للحقائقِ الحالي بكلِّ المحامدِ ، من تمسّك به نجا ومن أعرضَ عنه فقد غوى . كشفت جلِّ أنوارهِ دياجيرُ الظلامِ ، وشهد العالمينَ له بالتّام . ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٤).

لا تنقضي عجائبهُ ، و لا تقلعُ سحائبهُ ولا يخلَقُ من كثرةِ الرّدِّ ؛ فهو المعينُ الذي لا ينضبُ والخيرُ الذي لا ينفد، حارت في روعته فهومُ العلماء ، وألجمت حجتهُ ألسنة الأدعياء ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥).

ولما كانت النفوس في هذه الحياة بحاجة لدليل يرشدها في المدلهمات ، وهادٍ ينير طريقَها في الظلمات ، كان كتاب الله – ﷻ – ذلك النور الذي تنكشف به كل ظلمة ، والحق الذي تندحر أمامه

(١)الأنعام:١ .

(٢)البقرة:١١٧ .

(٣) يُنظر : مقدمة تاريخ بغداد (٣/١).

(٤) سورة فُصِّلَت:٤٢.

(٥) سورة السجدة:٢.

كل شبهة ، وصدق الله تعالى القائل : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] .

فقد حوى من أسرار المعاني و جميل المباني ما يسدُّ رمقها ، ويروي فطرها ؛ لأن النفس جُبلت على التوجه إلى خالقها ، فلا تسكن إلا إليه ولا تأنس إلا به ؛ لذا أرشد الله – ﷻ – عباده على التفكر والتدبر لهذا النور بقوله :﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]، فكلما أمعن الناظر فيه الفكر تفيأ من ظلال المعرفة ، و جنى ثمارًا مختلفة ، كما قال القائل :

يزيدكَ وجهُ ﻩُ حُسْ لًا إذا ما زدتَ ﻩ نظَ را[3]

و إنَّ العلوم مهما تعددت ضروبها ، فلا مراء أن علم التفسير صدّرها و رأسها ، وأسماها و أسناها لتعلقه بكلام الله تعالى أشرف الكلام وأبينه ، و أوفاه وأكمله . فشمر المجدون وتنافس المتنافسون للوقوف على أسراره تدبرا وتفكرا .

فلمّا رأيت المضمارَ قد نُ صبَ، وأخذ القومُ في السّعي ل لطّلب، رغبت في شرف الانتساب لهذا الركب، فيممت وجهي – بعد الاستخارة و ا لاستشارة – نحوَ "كتابِ التسهيلِ لعلوم التتريل " لأبي القاسم محمد ابن جُزيٍّ الكلبيِّ ،وقد سبق أن طُرق هذا الموضوع [4] و تمَّ توزيعه بين عدة طلاب

---

(١) سورة الشورى:٥٢.

(٢) سورة ص:٢٩.

(٣) القائل : الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي المعروف بـ"أبي نواس ".توفي سنة (١٩٨ هـ).
يُنظر : ديوان المعاني (٢٣١/١) ،و معاهدة التنصيص (٧٩/١)، و مناهل العرفان في علوم القرآن (٢٣٣/٢).

(٤) قسِّمت ترجيحات ابن جزي على عدة طلاب وطالبات وهم :

- محمد علي عبدان الغامدي " دكتوراة " من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة . عام ١٤٢٩ هـ
- عبد العزيز إبراهيم محمد اليحي من أول سورة آل عمران إلى نهاية سورة المائدة . عام ١٤٢٥ هـ
- إبراهيم محمد عبد الخالق الغامدي من أول سورة الأنعام إلى نهاية سورة يوسف . عام ١٤٢٨ هـ
- هناء عبد الله سليمان أبو داود من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص. عام ١٤٣٠ هـ
- عبد الحي دخيل الله المحمادي من أول سورة العنكبوت إلى آخر سورة غافر. ١٤٢٨هـ
- وجنات محمد حسين جنبي من أول سورة الحشر إلى آخر سورة الحاقة . مسجلة و لم تناقش.
- إيمان زكي عطية . ماجستير " من أول سورة المرسلات إلى آخر سورة الأعلى . مسجلة و لم تناقش.
- طارق أحمد الفارس " ماجستير " من أول سورة الغاشية إلى آخر سورة الناس. عام ١٤٣٠ هـ

وطالبات ، فأحببت أن أكون إحدى المشاركات فيه ، لعلّي ألحق بالركب على قلة بضاعتي ، وعنوان هذا البحث هو :

ترجيحات ابن جُزي في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل) من أول سورة المعارج إلى آخر سورة الإنسان عرضًا ومناقشةً

۞ أهداف الموضوع كما يلي :

١. جمع ترجيحات ابن جُزيّ في تفسيره في القسم الخاص بي.

٢. دراسة هذه الترجيحات ومناقشتها مناقشة علمية.

٣. توضيح منهج ابن جُزيّ في الترجيح.

٤. إبراز جهود ابن جُزيّ في تحقيق أقوال المفسرين.

۞ أهمية الموضوع ، فإنها تتضح من خلال النقاط التالية

١. مكانة ابن جُزيّ ، وإتقانه للعلوم المختلفة.

٢. تأخر زمن ابن جُزي عن سابقيه من أئمة التفسير مما مكنه من الاطلاع على كتبهم والتدقيق في أقوالهم.

٣. القيمة العلمية التفسيرية لكتاب التسهيل فهو على وجازته كثير العلم شمل ما احتوته الكتب المتقدمة.

٤. حرص ابن جُزيّ على ذكر الأقوال المفيدة و الوجيهة واجتناب الإطالة في ذكر الخلاف.

٥. وضوح فكرة الترجيح عند ابن جُزيّ حيث خطَّ لنفسه منهجًا قائمًا على أسس علمية في تحرير الأقوال وبيان الراجح منها.

۞ أسباب اختيار الموضوع فهي كما يلي:

١. الاشتغال بفهم كتاب الله وهو خير ما أفنيت فيه الأعمار.

٢. أهمية دراسة الترجيحات ، إذ هي صفوة التفسير وخلاصته ، إذا قويت أدلتها .

٣. الوقوف على كثير من معاني كلام الله – ﷻ – والنظر في الراجح والمرجوح من أقوال المفسرين .

٤. إن مثل هذه الموضوعات تنمي لدى الباحث روح التدقيق والتحقيق ، حيث يقوم بمناقشة الأقوال والموازنة بينها والترجيح المبني على الدليل.

٥. سعة الموضوع ، وتداخل علومه ، مما يتيح لي فرصة الوقوف على جُلِّ علوم القرآن الكريم و الرجوع إلى أمهات كتب التفسير .

۞ مجال الدراسة :

جمع ترجيحات ابن جُزي وعرضها على أقوال المحققين من علماء التفسير وغيرهم ، من المتقدمين أو المتأخرين ، مع ذكر الموافق والمخالف ، و بيان القول الراجح وفق قواعد الترجيح.

۞الدراسات السابقة :

- ♦ ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير ، أعدّ ها البحث / علي بن محمد الزبيري، وهي عبارة عن أطروحة علمية قدمت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة،لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية،وقد طبعت في مجلدين.
- ♦ ابن جزي الكلبي وجهوده في التفسير من خلال كتابه: (التسهيل لعلوم التتريل) ، أعدّها الباحث /عبد الحميد محمد ندا . رسالة ماجستير في جامعة الأزهر . ١٩٨٠ م .
- ♦ التسهيل لعلوم التتريل لابن جزي الكلبي : تحقيق و دراسة نحويه ، أعدّها الباحث / طاهر عبد الحي محمد شبانة . رسالة دكتوراة في جامعة القاهرة ، قسم النحو والصرف . ١٩٩٥ م .
- ♦ التسهيل لعلوم التتريل لابن جزي الكلبي : دراسة وتحليل .أعدّها الباحث / إسماعيل فهمي عبد الإله رسالة ماجستير.
- ♦ التسهيل لعلوم التتريل لابن جُزيّ الكلبي : تحقيق و دراسة وتخريج الأحاديث والآثار من القسم الأول من أول الكتاب إلى آخر سوره النور ، أعدّها الباحث / سامي بن مساعد الجهني. رسالة ماجستير.
- ♦ ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التتريل) ، أعدّها الباحث / عبد الرحمن سعد على بركة ، منشورات كلية الآداب والتربية بجام عة سبها ليبيا، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤ م.
- ♦ ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير ، أعدّها الباحث / فراس يحيي عبد الجليل الهيتي . رسالة ماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، العراق ،عام ١٩٩٥ م .
- ♦ ابن جُزيّ ومنهجه ، أعدّها الباحث / إقبال عمر محبوب ، جامعة ا لقرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، عام ٢٠٠١ م .
- ♦ قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ – دراسة تطبيقية – ، أعدّها الباحث / عبد الله حميد عبد الله جمعة ،رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود قسم الثقافة الإسلامية، نُوقشت عام ١٤٢١ هـ .

۞ خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون مشتملاً على : مقدمةٍ ، وقسمين، وخاتمة ،وفهارس عامة .

أولا / المقدمة: وتشتمل على أهداف الموضوع ، وأهميته، وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهج الكتابة فيه.

ثانياً / القسم الأول: التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه " التسهيل " ومنهجه في الترجيح وفيه بابان :

الباب الأول : ترجمة موجزة لابن جُزيّ . وفيه فصلان :

الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية ، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : عصر ابن جُزيّ.

المبحث الثاني : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وشهرته .

المبحث الثالث : مولده ، ونشأته .

المبحث الرابع : عقيدته ، ومذهبه ، وقراءته.

المبحث الخامس : وفاته.

الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مكانته العلمية.

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : مصنفاته ، وآثاره .

الباب الثاني : التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جُزيّ في الترجيح : وفيه فصلان :

الفصل الأول :التعريف بكتاب التسهيل لابن جُزيّ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : القيمة العلمية لكتاب التسهيل .

المبحث الثاني : مصادر ابن جُزيّ في كتابه .

المبحث الثالث : منهج ابن جُزيّ في كتابه .

الفصل الثاني : منهج ابن جزي في الترجيح في تفسيره ، وفيه تمهيد ومبحثان :

التمهيد : تعريف الترجيح وموجبه عند ابن جُزيّ .

المبحث الأول : صيغ الترجيح عند ابن جُزيّ.

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ.

ثالثًا / القسم الثاني : ترجيحات ابن جزي من سور ة المعارج إلى سورة الإنسان عرضًا ومناقشةً .

- **أولًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المعارج**
- **ثانيًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة نوح.**
- **ثالثًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة الجن.**
- **رابعًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المزمل.**
- **خامسًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المدثر.**
- **سادسًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة القيامة.**
- **سابعًا : ترجيحات ابن جُزيّ في سورة الإنسان.**

رابعاً– الخاتمة: و فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

خامساً – الفهارس العلمية ، وتتضمن الفهارس الآتية :

١. فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
٢. فهرس الأحاديث الشريفة.
٣. فهرس الآثار.
٤. فهرس الأعلام المترجم لهم.
٥. فهرس الأخطاء المطبعية
٦. فهرس الغريب والمصطلحات المشروحة.
٧. فهرس الفرق.
٨. فهرس الأشعار.
٩. فهرس المصادر والمراجع.
١٠. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

أولا : ما يتعلق بالقسم الأول :

- اختصرت في ترجمة الإمام أبي القاسم ابن جُزيّ – رحمه الله – ؛ لأنه قد سبق أن كتب عنها

الشيخ علي محمد الزبيري — رحمه الله – في رسالته " ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير " وهي عبارة عن دراسة مسهبة لابن جزي ومنهجه .

- حصرتُ صيغ و وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ من قسم الدراسة وذكرت مثالًا واحدًا من قول ابن جُزي عليها.

ثانيًا : ما يتعلق بالقسم الثاني (ترجيحات ابن جزي) ، سرت فيها على النحو التالي :

١. استخرجت ترجيحات ابن جُزيّ التفسيرية من خلال تفسيره التسهيل لعلوم التتريل ، في المقدار المحدد للدراسة ، وقد بلغت (سبع وثمانين) مسألة ، واعتمدت في تحديدها على النحو التالي:
   - ❖ تصريح ابن جُزيّ بالراجح في المسألة .
   - ❖ تصريح ابن جُزيّ بردِّ أو تضعيف بعض الأقوال في تفسير الآية .
   - ❖ تفسيره للقول الراجح بصيغة الجزم ، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .
   - ❖ نسبة القول لمن يُقتدى به.
   - ❖ ذكره قول واحد في معنى الآية.
   - ❖ ترجيح القول المتقدم على غيره ، إذا كانت الأقوال في درجة واحدة في سياق كلامه.

٢. درست هذه الترجيحات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أهل العلم من مفسرين ، ولغويين وغيرهم ، وكتبتها على الرحو التالي :

- أُورِدُ نصَّ الآية التي ذكرها ابن جُزيّ — وله فيها ترجيح — في أول الصفحة مرتبة الآيات والسور حسب ترتيب المصحف الشريف وذلك برواية ورش عن نافع .
- إذا كان في الآية مسألتان أحدد ذلك بقولي : (وفي الآية مسألتان) و إن لم يوجد إلا مسألة واحدة فأقول : (مسألة). ثم وضعت عنوانًا مختصرًا لكل مسألة يدل على مضمونها .
- أتبعت ذلك بالقول الراجح ثم التزمت بعدها بإيراد مجمل قول ابن جُزيّ بنصه كاملاً لبيان صيغ الترجيح عنده ، وبيان الأقوال الأخرى التي ذكرها في الآية.

٣. العرض والمناقشة ، وفيها :

- ذكرت عدد الأقوال التي قيلت في تفسير الآية.
- صدّرت تلك الأقوال بالقول الراجح الذي رجَّحه ابن جُزيّ ، وعبرت عنه بالقول الأول ثم اتبعته بذكر من رُوي عنه هذا القول من السلف مبتدئة بقول الصحابة ثم التابعين ثم أتباع التابعين فمن بعدهم ممن صنف في التفسير — وقد أدرج فيهم من ليس منه م إذا دعت الحاجة لذلك – .

- ذكرت بعد ذلك قولين – في الغالب- ممن ظهر له في المسألة ترجيح .
- عرضت ترجيحات ابن جُزيّ على أقوال العلماء من المفسرين [(١)]وغيرهم في تفسير الآية

(١) كتب التفسير ، وغريب القرآن التي عرضت عليها ترجيح ابن جزي – مرتبة حسب وفيات أصحابها – هي :

❖ معاني القرآن للفراء
❖ مجاز القرآن لأبي عبيدة .
❖ تفسير القرآن للصنعاني
❖ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة
❖ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري
❖ معاني القرآن وإعرابه للزجاج .
❖ تفسير القرآن لابن أبي حاتم.
❖ نُكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للقصّاب .
❖ أحكام القرآن للجصاص .
❖ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي.
❖ تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين.
❖ الكشف والبيان للثعلبي .
❖ الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي
❖ التحصيل في مختصر التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي.
❖ النكت والعيون للماوردي.
❖ الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي .
❖ وتفسير القرآن . للسمعاني.
❖ المفردات في غريب القرآن للأصبهاني.
❖ معالم التنزيل للبغوي
❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري .
❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .
❖ أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي
❖ زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
❖ باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لبيان الحق النيسابوري .
❖ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي.
❖ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
❖ أنوار التنزيل للبيضاوي.
❖ مدارك التنزيل للنسفي .
❖ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي النيسابوري .
❖ لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن .
❖ تفسير البحر المحيط لأبي حيان.
❖ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي .
❖ عمدة الحفاظ للسمين الحلبي.

وذكرت من وافقهم ابن جُزيّ ممن تقدم ، ومن وافقه ممن تأخر عنه سواءً كانت هذه الموافقة تصريحاً أو تلميحًا مع ذكر الدليل إن وجد.

- ذكرت بعد ذلك الأقوال الأخرى التي قيلت في تفسير الآية مما ذكرها ابن جُزيّ وغيره مع نسبتها إلى السلف فمن بعدهم ممن تقدم ابن جزي أو تأخر عنه مع ذكر الدليل وحجته إن وجد.
- درست الأقوال وأدلتها ، وبيان وجوه القوة والضعف فيها مستنيرةً بأقوال أهل العلم فإن أمكن الجمع بينها فإليه ذهبت ، وإن لم يكن ، فقلت بالتوّجيح إلى القول الذي يسكن القلب إليه في تفسير الآية ، متجردة — إن شاء الله تعالى — من التعصب لرأي أو لشخص ، ولم أتعمد مخالفة ظواهر الأدلة لأوافق قول أحد بل اتبعت الأدلة حسب وسعي وطاقتي.
- صححت الأخطاء المطبعية الواردة في المطبوع من المخطوط .
- عزوت الآيات القرآنية — الواردة في الرسالة — إلى سورها ، بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية ، معتمدةً في ذلك على إنزالها من الحاسوب وفق برنامج خاص بالرسم لقراءة ورش عن نافع في قول ابن جُزيّ لأنه بنا كتابه عليها ، و برواية حفص عن عاصم

- ❖ تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
- ❖ تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي .
- ❖ الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي .
- ❖ اللباب في علوم الكتاب لابن عادل .
- ❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي .
- ❖ الدر المنثور لجلال الدين السيوطي.
- ❖ السراج المنير للشربيني .
- ❖ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود .
- ❖ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للخفاجي .
- ❖ حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.
- ❖ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني .
- ❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.
- ❖ فتح البيان في مقاصد للقنوجي .
- ❖ محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي
- ❖ تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي
- ❖ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي .
- ❖ التحرير والتنوير لابن عاشور .
- ❖ تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ عطية سالم.

في بقية الرسالة وإذا احتجت في الاستدلال إلى قراءة أخرى ضبطتها وفق تلك القراءة .

- خرّجت جميع الأحاديث في البحث تخريجًا مختصرًا ، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذلك ، وإن كان في غ يرهما فإني أُخرِّجه من مضانه ، ثم أذكر كلام المحدِّثين عليه من المتقدمين و المتأخرين ، فإن لم أجد أجتهد ت في ذلك ، و وضعت الأحاديث بين قوسين هلاليين (( )) .
- خرّجت الآثار تخريجًا مختصرًا ، اقتصرت فيه في الغالب على الإحالة إلى موضع الأثر بالجزء والصفحة ورقمه إن وجد ، وحكمت عليه إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
- وثقت النصوص المنقولة توثيقا علميًا من مصادرها ما أمكنني ذلك ، ولا أنقل بواسطة إلا إذا تعذر عليَّ الوصول إلى الأصل، و لم التزم ذكر أسماء المؤلفين مع المرجع ، والمعول عليه في معرفة معلومات المراجع كاملة الفهرس المختص بها.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم ترجمة مختصرة وافية بالغرض .
- عزوت الشواهد الشعرية إلى دواوينها ومصادرها المعتمدة .
- عرفت بالفرق والطوائف الوارد ذكرها في الرسالة.
- التزمت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء ومؤلفاتهم في صلب الرسالة أو هوامشها و لم أخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام كأن يكون النص المنقول لمتأخر ، ونحو ذلك.
- ضبطتُ بالشكل كل الأحاديث في البحث ، وما يحتاج إلى ضبط مما تُشكل قراءته و يلتبس نُطقه.
- قد أحتاج أحيانًا إلى إدخال كلامي في ثنايا نصٍّ منقول بلفظه لأحد العلماء فإني أضعه بين معقوفتين هكذا [...] ، وإذا حذفتُ شيئاً من النص المنقو ل وضعت مكانه نقاطاً هكذا ... .

الخاتمة :

وفيها أبرز النتائج و الوصايا التي توصلت إليها.

الفهارس :

ذيلت البحث بمجموعة من الفهار س العلمية التي تخدم البحث وتيسر الوصول إليه وهي : فهرس الآيات وسرت في توثيق الآية على رواية حفص ، و ما اختلفت عنه رواية ورش في عدّ الآي بينته بجانبه بوضع فاصل بينهما هكذا (/) ، وفهرس الأحاديث الشريفة ، وفهرس الآثار ، وفهرس الأعلام

وفهرس الفرق ، وفهرس الأشعار ، وفهرس المصادر والمراجع وأخيراً فهرس الموضوعات .
وجميع هذه الفهارس مرتبة على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول للكلمة سوى فهرس الآيات فحسب ترتيبها في المصحف ، والموضوعات حسب ترتيبها في البحث.

◇ شكر وتقدير وعرفان :

أشكر لله – ﷻ – الذي وفقني للاشتغال بكتابه الكريم ، و منحني من جميل العطايا والهبات فكم لطف بي وأعان ، وستر وفرّج ، ووفق وقرّب.

لكَ الحمدُ يارب والشكرُ ثم لكَ الحمدُ ما باحَ بالشكرِ فَمْ
لكَ الحمدُ في ما حالةٌ فقد خصَّني منكَ فضلٌ وعمْ [1]

فأحمدُه جلّ وعلا حمدًا كثيرًا طيبًا لا أحصي ثناءً عليه أهل الثناء والمجد.

ثم أتوجّه بشكري بعدَ شكرِ الله – ﷻ– لوالديَّ الكريمين أبي وأمي امتثالا لأمر الله– ﷻ –: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2] فلهما مني خالص ودي ، وعظيم امتناني ، وجزاهما الله عني خير ما جزى والدًا عن ولده ، وأسأل الله تعالى أن يمدَّ في عمرهما ،وينسأ في أثرهما ، ويجزل لهما المثوبة ، ويرزقهما الحياة الطيبة في الدارين.

ثم الثناء العاطر لفضيلة أ.د / عبد الرحيم بن يحي الحمود الغامديِّ . أشكر له النصح والتوجيه والتصويب والمتابعة ، فكم أجاد عليّ وأنعم برحابة صدر ، وجميل خلق ، ووفرة علم ، فأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء ، وأن يبارك في علمه وعمله ، ويبلغه فوق ما أمله في الدارين .

و لجامعتي المباركة : (جامعة أمِّ القرى) كل شكر وامتنان وأخصُّ بذلك كليةَ الدعوة ممثلةً في عميدها

(١) القائل : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي . المتوفى سنة (٤٥٦ هـ). تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة (٣٣٣).
(٢) سورة لقمان:١٤ .

و وكلائه ورئيس قسم الكتاب والسنة ومشايخي في مرحلة الماجستير.

والشكر الجزيل لفضيلة أ .د / أحمد بن نافع المورِّعي ، وفضيلة أ .د/ عبد الكريم بن مستور القرني على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، و تقويم اعوجاجها فجزاهما الله خير الجزاء ، وجعل ذلك في موازين حسناتهما.

واصلةً ثنائي لإدارة التدريب التربوي في وزارة التربية والتعليم على ا بتعاثي لأنفع نفسي وأمتي، فجزى الله القائمين عليه وكل من أعان في تيسير هذا الابتعاث.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الفاضلة أم بندر السريحي إزاء ما قدمت وأعانت ، وأسأل الله أن يتولى عني مكافأتها و يُقر عينها بصلاح ذريتها .

ولكلٍّ إخوتي و أخواتي، وكل من أسدى إليَّ معروفا وسددني بنصح أو توجيه أسال الله أن يجزي الجميع عني خير الجزاء.

وأخيراً ..

مضت الأيام والشهور ، وكان نصب عيني الوصول إلى الصواب من القول ، فاجتهدت وتحريت بما أعانني فيه المولى الكريم وفتح ، فما كان من صواب فمن الله تعالى وحده – فله الحمد والشكر – ، وما كان من نقص وخلل فمن نفسي ومن الشيطان – فاستغفر الله تعالى و أتوب إليه– ، و لا يسعني هنا ألا أن أقول كما قال الإمام الشاطبي[1] – رحمه الله – في قصيدته :

أَخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ ... يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ أَجْمِلاَ

وَظُنَّ بِهِ خَيْراً وَسَامِحْ نَسِيجَهُ ... بِالأَغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كانَ هَلْهَلاَ

وَسَلِّمْ لِإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ ... والأُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلاَ

(١)القاسم بن فيُّره بن خلف بن أحمد الرُّعيني، أبو محمد الشاطبي: إمام القراء. وُلد بشاطبة في الأندلس سنة (٥٣٨هـ)، له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والحديث وله النظم الرائق مع الورع والتقوى،تُوفي بمصر سنة (٥٩٠ هـ).
يُنظر : معرفة القراء الكبار (٥٧٣/٢) ، سير أعلام النبلاء (٢٦١/٢١) ،والأعلام (٥ / ١٨٠).

وَإِنْ كانَ خَرْقٌ فَأدرِكْهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلاَ [1].

وأسأل الله تعالى أن يهديني إلى سواء السبيل ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم و منجاة لي يوم الدين إنه قريب مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

إنجا دخيل الجدعاني
قسم الكتاب والسنة
تخصص التفسير وعلوم القرآن

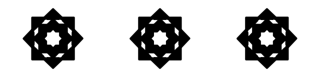
(١) حرز الأماني و وجه التهاني (٦-٧).

القسم الأول :

التعريف بابن جُزيّ وكتابه التسهيل ومنهجه في الترجيح

(وأن الله أنعم علي بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمه و شغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه..)

ابن جُزيّ رحمه الله

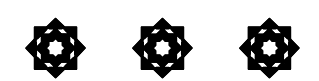


الباب الأول

ترجمة موجزة لابن جُزَيّ

وفيه فصلان :

- الفصل الأول : حياة ابن جُزَيّ الشخصية
- الفصل الثاني : حياة ابن جُزَيّ العلمية



الفصل الأول

حياة ابن جُزيّ الشخصية

وفيه خمسة مباحث :

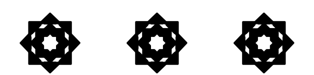
المبحث الأول : عصر ابن جُزَيّ.

المبحث الثاني : اسمه ، ونسبه ، وكنيته وشهرته

المبحث الثالث : مولده ، ونشأته .

المبحث الرابع : عقيدته ، ومذهبه ، وقراءته.

المبحث الخامس : وفاته.



المبحث الأول : عصر ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى –

إنَّ دراسة المؤثرات السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، أمرٌ له أهمية بالغة ع لى الفر د ؛ لأنها لها دور كبير في تكوين شخصيته ،وأفكاره واتجاهاته ، و حتى نتعرف على شخصية ابن جُزيّ لابد أن نرحل إلى عصره فنقف على أهم المجريات فيه.

الحالة السياسية

وُلد ابن جُزيّ – رحمه الله – في العقدِ الأخيرِ من القرن السابع إلى النصفِ الأولِ من القرن الثامن الهجريِّ ، وقد كانت هذه الفترةُ مليئةً بالأزماتِ المختلفة في العالم الإسلاميِّ .

وتدهورت أوضاع الأندلس بعد وفاة الحاكم المستنصر ، حيث عمَّت من بعده الفوضى لقيام أكثر من شخص يدعو الخلافة لنفسه.

عندها بدأ قيام ما يسمى بملوك الطوائف وأعلن أبو الحزم جَهّور[(١)] إلغاء الخلافة ثم قامت في هذه الفترة عِدّةُ دُويلات ، تتفاوت في المساحة والقوة ، و قُسّمت الأندلسُ إلى ستِّ مناطق رئيسةٍ تضُمُّ كلٌّ منها إمارةً أو أكثر حتى بلغت إماراتها نحو عشرينَ إمارةً [(٢)].

ثمَّ قيضَ الله تعالى للأندلس دولةً فتيةً ، وهي دولة المرابطين بقيادة أميرها يوسف بن تاشفين[(٣)] ، فأنقذها من وهدتِها [(٤)]، حيثُ انتصرَ في معركة الزلاقة [(٥)]في شهر رجبٍ سنة (٤٧٩ هـ) انتصارًا عزيزًا

---

(١) جهور بن محمد بن جهور، أبو الحزم ، ولد سنة (٣٦٤ هـ) . وكان بنو جهور أهل بيت وزارة مشهور في الأندلس وأبو الحزم – هذا – أمجدهم و أنجدهم. ولي الوزارة في أيام الدولة العامرية إلى أن انقرضت،وانقضت به الدولة الأموية (سنة ٤٢٢ هـ) ، واستقل أبو الحزم بقرطبة، وانتظمت له شؤونها، ودرأ عنها ملوك الفتنة، فعمَّها الأمن والرخاء.توفي سنة (٤٣٥ هـ).
يُنظر : العبر في خبر من غبر (١٨٥/٣)، ومقدمة ابن خلدون (٢٠٤/٤)،و الأعلام (٢ / ١٤١).

(٢) نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢١٥/١) ، والتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٣٤٨).

(٣) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم،المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري،أبو يعقوب،ولد في المغرب سنة (٤١٠هـ).كان حازمًا، ضابطاً لمصالح مملكته، ماضي العزيمة ،وأول من دُعي بأمير المسلمين . توفي في مراكش سنة (٥٠٠ هـ).
يُنظر : الكامل في التاريخ (٩٩/٩)، وشذرات الذهب (٤١٢/٣)،والأعلام (٨ / ٢٢٢).

(٤) نفح الطيب (٤٣٩/١) ، والتاريخ الأندلسي (٤٥٣).

(٥) **وقعة الزلاقة** : كانت بقيادة يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في دولة المرابطين وبين الجيش القشتالي بقيادة الفونش ، في يوم الجمعة الثاني عشر من رجب سنة (٤٧٩ هـ) حيث اجتمعا في العُدوة الشمالية لوادي (يانه) المسمى بالزلاقة ، وانته ت المعركة بانتصار الجيش الإسلامي . التاريخ الإسلامي (٣٤٣).

اهتزت له النفوس في الأندلس ، ورُدَّ الجيشُ القشتاليُّ على أعقابه خاسرًا.

ولكن دولةُ المرابطينَ لم تستمر طويلاً ؛ نتيجةً لطولِ الصراعِ في دفع عدوان إسبانيةِ الشماليةِ ومن عاونها من الدول الأوربية ، فحلّت بعدها دولةُ الموحدينَ التي جرت بينهم وبين النصارى وَقعةُ الآراكِ [1] التي انتصرَ فيها الموحدونَ وحققوا فيه ا أعظمَ نصر خلال حكمهم للأندلس ، إلاَّ أنَّ حكمهم لم يستمر كثيرًا ؛حيث كانت وقعةُ العقابِ [2] نذيرًا بانتهائِهم ، وبدأت دولتُهم تتدهورُ ولقيت انتفاضةً شعبيةً من داخل الأندلسِ ضدَّها[3].

وعلى مسرح الأحداث ظهرت شخصيتانِ تتنافسانِ على ملك الأندلس وهما :محمدُ بن يوسف بن هودٍ الجذاميِّ [4]، ومحمدُ بن يوسفَ النصريِّ المعروف بابن الأحمر[5].

أمَّا الأول: حقّق بعض الانتصارات على ولاة الموحدين ودخلت في طاعته بعض المدن ، إلا أنَّه هُزم أمامَ أسبانيا النصرانيةِ وسقطت عدةُ مدنٍ في أيدي النصارى منها قرطبة .

وأمَّا الآخر: وهو محمدُ بن يوسفَ ، فقد كان منافسًا خطيرًا لابن هودٍ ودخلت عدة مدنٍ في طاعتِه [6].

وفي هذه الفترةِ المليئةِ بالصراعات الداخلية والخارجية وُلد ابن جُزيٍّ في عام (٦٩٣ هـ) في عهدِ محمد بن محمد بن يوسفَ بن الأحمر الملقب بالفقيهِ ثاني ملوكِ بني الأحمرِ ، وتُوفّي في عهد يوسفَ بن إسماعيل ، سابع الملوك [7].

---

(١) **معركة الآراك** : كانت بين الجيش الإسلامي من الموحدين ، وبين جيش قشتالة بقيادة ملكها الفونش الثامن في حصن الأراك حيث انتصر فيها الموحدون انتصاراً عظيماً بقيادة أبي يوسف يعقوب المنصور . التاريخ الأندلسي (٢٢٥).

(٢) **معركة العقاب** : بعد الهزيمة التي لحقت بالجيش القشتالي أخذ ملكها يعد العدة للانتقام ، حيث عُقدت هدنة بين الطرفين لعشر سنوات ، وفي هذه الفترة توفي الخليفة المنصوري ، وخلفه ابنه الناصر الذي كان دون العشرين عاما ، وأخذ ملك قشتالة يهاجم الأرضي الأندلسية وعاونه في ذلك بقية ملوك أسبانيا فكانت واقعة العقاب على المسلمين ستة(٦٠٩هـ - ١٢١٢ م) .
يُنظر : نفح الطيب (٣٨٣/٤)،والتاريخ الأندلسي (٥٢٧).

(٣) يُنظر : نفح الطيب (٤٤٦/١)، والتاريخ الأندلسي (٥٢٢).

(٤) محمد بن يوسف بن هود، أبو عبد الله، م ن أعقاب بني هود الجذاميين من ملوك الطوائف آخر ملوك هذه الدولة الكبار . كان بينه وبين ابن الأحمر منافسة على الملك حتى آل الأمر لابن الأحمر بعد مقتله .توفي سنة (٥٨٥ هـ).
يُنظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٣) ، ومقدمة ابن خلدون (١٦٥/١) ،والأعلام ((٧ / ١٥٠).

(٥) محمد بن يوسف بن محمد، من آل نصر ابن الأحمر الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله، أمير المسلمين، الملقب بالغالب بالله ويقال له محمد الشيخ، ولد سنة (٥٩٥) بأرجوانة ، وأسس دولة بني الأحمر، في الأندلس، وتعرف بالدولة النصرية(٦٧١ هـ).
يُنظر : تاريخ ابن خلدون (٢١٤/٤)، و نفح الطيب (٣٦٤/٦)، والأعلام (٧ / ١٥١).

(٦) التاريخ الأندلسي (٥٥٢ – ٥٥٣).

(٧) نفح الطيب (٤٤٨/١ - ٤٤٩) .

الحالة الاجتماعية [1]:

يتكون المجتمع الغرناطي في القرنين الرابع والخامس من عدةِ أجناسٍ شتى وهي :

- **العرب** : دخلوا الأندلس على طوالع متتابعة إثر الفتح الإسلامي، وهم يرجعون في أصولهم إلى القبائل القحطانية ،والعدنانية ، فمنهم القرشيِّ ، والفهريِّ ، والأُمويِّ ، والأنصاريِّ والأوسيِّ والخزرجيِّ.
- **البربر** : كانوا جزءًا هامًا في الجيش الذي قاده طارق بن زياد [2]، وما أن وصلت أنباء النصر إلى المغرب حتى نزح عددٌ كبيرٌ منهم بغية الاستقرار في هذه البلاد.
- **المولدون** : وهم الجيل الجديد الذي نشأ من مصاهرة الأسبان والزواج منهم ، وعن طريق المجاورةِ والمصاهرةِ انتشر الإسلام في الأندلس ،وامتزجت دماءُ الفاتحين من العربِ ،والبربر بدماءِ أهل البلاد ، ونشأ من ذلك جيل جديد من آباء مسلمين عرفوا بالمولدين.
- **الذميون المعاهدون:** هم إمَّا نصارى الأسبان، وهم الأكثر، وإمَّا من اليهود من أسبانيا أو من خرج أسبانيا، أُحسن إليهم ببقائهم على أموالهم ودينهم بأداء الجزية.
- **الرقيق** : وهم موالي من أهل المغرب دخلوا في ولاء بني أمية ،ولقد نجحوا في تأسيس دولة بني أمية لمناصرتهم عبد الرحمن بن معاوية . هذا بالإضافة إلى موالي من الأسبان الذين دخلوا في ولاء بني أمية أمثال بنو قسي ، وبنو بارون ، وبنو غومس ابن قارلة ، وبنو مرتين.

وقد كان هذا التنوع في المجتمع الأندلسي إيجابيًا لوجود العلاقات الاجتماعية ، لكنه كان سلبيًا عند ضعف الدولة السياسي حيث نشبت الفتن والثورات.

الحالة الثقافية والفكرية

لقد ازدهرت الحركة الثقافية ،و الفكرية في بلاد الأندلس ازدهارًا كبيرًا، وأصبحت بلاد الأندلس مركزًا لانتشار العلوم المختلفة؛ لأن العلم كان معظّم عندهم، حيث تسارع العلماء في تلقي العلوم ونبغوا في علوم مختلفة و لم يقتصروا على فنٍ من فنونه.

---

(١) يُنظر : ابن جزي ومنهجه في التفسير (١ / ٩٧) ، تاريخ الأندلس (١١٩).

(٢) طارق بن زياد الليثي بالولاء . فاتح الاندلس، أصله من البربر، أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله .له فتوحات عظيمة في بلاد المغرب.تُوفي سنة (١٠٢ هـــ).
يُنظر : تاريخ الإسلام (٣٩٣/٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٠/٤)، الأعلام (٣ / ٢١٧).

قال التلمسانيّ [(١)]: «وأمَّا حال أهل الأندلس في فنون العلوم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعه ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس؛ لأن هذا عندهم في نهاية القبح . والعالم عندهم معظم من الخاصة ،والعامة يشار إليه ،ويحال عليه ،وينبه قدّره ،وذكره عند الناس ،ويُكرم في جوار ،أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك. ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ؛بل يقرءون جميع العلوم ،فالعالم منهم بارع ؛لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظّ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم ،فإن لهما حظاً عظيمًا عند خواصهم » [(٢)].

وكان تدريس الفقه والحديث والعربية هو الشيء الغالب على جماهير المدرسين والمؤدبين، فكانوا يقولون للكاتب والنحوي واللُّغوي فقيه ؛لأنها عندهم أرفع السمات [(٣)]وهم في تدريسهم يعتمدون كتب أهل المشرق في ذلك ؛ إذ أنهم أسبقهم ظهورا ، و أوسعهم حضارة .

فقد ارتحل زمرة من علماء الأندلس إلى المشرق لتلقي العلوم المختلفة مما كان له أثر في تقدم أهل الأندلس في فنون العلم.

فمن هؤلاء العلماء أبو القاسم الشاطبيِّ [(٤)] ، وخلف بن قاسم بن سهل الدَّباغ [(٥)] [(٦)]، وأبو عمرو الداني [(٧)] [(٨)]، وغيرهم كثير .

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى،أبو العباس المقري التلمساني ، ولد سنة (٩٩٢ هـ) ، مؤرخ ، وأديب ، وحافظ صاحب (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب). تُوفي سنة (١٠٤١ هـ).
يُنظر : فهرس الفهارس و الأثبات (٥٧٤/٢) ، و الأعلام (١ / ٢٣٧)

(٢) نفح الطيب (٢٢٠/١).

(٣) المرجع السابق (٢٢١/١).

(٤) المرجع السابق (٢٢/٢).

(٥) المرجع السابق (١٠٤/٢)

(٦) خلف بن قاسم بن سهل – أو سهلون – ابن أسود، الأزدي، أبو القاسم، المعروف بابن الدباغ ، وُلد سنة (٣٢٥ هـ). محدث أندلسي من أهل قرطبة قام برحلة واسعة في المشرق، وجمع (مسند حديث مالك بن أنس) و (مسند حديث شعبة بن الحجاج) و (أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين). تُوفي سنة (٣٩٣ هـ).
يُنظر : تاريخ مدينة دمشق (١٤/١٧) ، و الديباج المذهب (١١٤/١) ، و الأعلام (٢ / ٣١١).

(٧) نفح الطيب(١٣٥/٢).

(٨) عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية ، وُلد سنة (٣٧١ هـ).كان أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره . من أهل دانية بالأندلس. له مؤلفات كثيرة منها (التيسير في القراءات السّبع و الإشارة ، و المقنع في رسم المصاحف ونقطها). تُوفي سنة (٤٤٤ هـ).
يُنظر : الوافي بالوفيات (٢٠/٢٠)، و نفح الطيب(١٣٥/٢) ، و الأعلام (٤ / ٢٠٦).

ومما يدل على التقدم العلمي حرص الولاة والعامة على اقتناء الكتب حتى صار ذلك من مظاهر المباهاة بينهم . فيروى أن الحكم المستنصر [1]كان محبًا للعلوم مكرمًا لأهلها جمّاعًا للكتب في جميع أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله . قيل عنه : أنَّه كان على خزانة العلوم ،والكتب بدار بني مروان ، وأن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة[2] جُلبت إليها إليها بضائعه من كل قطر [3].

❋ ❋ ❋ ❋

(١) نفح الطيب (٣٨٢/١)

(٢) نفق : النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ،والآخر على إخفاء شيء وإغماضه ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا. مقاييس اللغة (٤٥٤/٥).

(٣) يُنظر : نفح الطيب (٣٩٤/١).

المبحث الثاني: اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وشهرته

اسمه ونسبه

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمن ابن يوسف بن جُزَيّ الكلبي [1].
ينحدر أصل ابن جُزيّ من قبيلة كلب اليمانية ، وتنسب إلى كلب بن برة بن تغلب ابن حلوان بن لحاف بن قضاعة[2].

كنيته

يكنى بأبي القاسم مع شهرة الحديث الصحيح ((سَمُّوا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي [3])).
وقد أزال ابن جُزيّ هذا الخلافَ [4] في كتابه "القوانين الفقهية" بقوله : « تنبيه :ورد النهي عن

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة (٣ / ٢٠) ، والديباج المذهب (٢٩٥/١) ، والدرر الكامنة (٨٩/٥)، و نفح الطيب (٥١٤/٥)، وفهرس الفهارس و الأثبات (٣٠٦/١) ، وابن جزي ومنهجه في التفسير (١ / ١٣٩).

(٢) المعارف (١٠٣/١)، والبدء والتاريخ (١١٨/٤) ، و بغية الطلب في تاريخ حلب (٥٦٠/١) ،ومقدمة ابن خلدون (٢٩٧/٢) .

(٣) لفظ الحديث عند البخاري من رواية أَنَسٍ رضي الله عنه قال كان النبي – ﷺ – في السُّوقِ فقال رَجُلٌ : يا أَبَا الْقَاسِمِ . فَالْتَفَتَ النبي – ﷺ – فقال : ((سَمُّوا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي)).
أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب المناقب ، باب كنية النبي – ﷺ – (١٣٠١/٣) ح (٣٣٤٥).
وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الآداب ، بَاب النَّهْيِ عن التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ ما يُسْتَحَبُّ من الْأَسْمَاءِ (١٦٨٢/٣) ح (٢١٣١) بمثله.

(٤) حكى الحافظ ابن حجر عن النووي أنه قال :«احتلف في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب :
الأول : المنع مطلقا سواء كان اسمه محمدا أم لا ثبت ذلك عن الشافعي.
والثاني: الجواز مطلقا ويختص النهي بحياته -ﷺ -.
والثالث : لا يجوز لمن اسمه محمد ، ويجوز لغيره .
قال الرافعي يشبه أن يكون هذا هو الأصح لأن الناس لم يزالوا يفعلونه في جميع الأعصار من غير إنكار ». فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٧٢/١٠).
قال الشيخ الألباني – رحمه الله – عند تخريجه لقول النبي –ﷺ – ((لا تجمعوا بين اسمي و كنيتي ، أنا أبو القاسم ، و الله يعطي و أنا أقسم)).
قال : (و لست أشك بعد ذلك أن الصواب إنما هو المنع مطلقا ، و سواء كان اسمه محمدا أم لا ، لسلامة الأحاديث الصحيحة الصريحة في النهي عن المعارض الناهض كما تقدم ، و هو الثابت عن الإمام الشافعي رحمه الله ، فقد روى البيهقي (٩ / ٣٠٩) بالسند الصحيح عنه أنه قال : " لا يحل لأحد أن يكتني بأبي القاسم كان اسمه محمدا أو غيره " . قال البيهقي : " و روينا معنى هذا عن طاووس اليماني رحمه الله " . و يؤكد ما تقدم حديث عن علي– ﷺ – أنه قال : يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إن وُلِدَ لي بَعْدَكَ أُسَمِّيهِ مُحَمَّدًا وَأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِكَ قال نعم قال فَكَانَتْ رُخْصَةً .أخرجه الترمذي (٢٨٤٦) و قال : " حديث صحيح " . و قواه الحافظ في " الفتح " (١٠ / ٥٧٣)...) . يُنظر : السلسلة الصحيحة (٦ / ٤٤٥)ح (٢٩٤٦).

بعض الأسماء فمنها التكنية بأبي القاسم ،وإنما منع ذلك في حياة رسول الله - ﷺ- خاصة ؛لأن أبا بكر الصديق ،وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما- قد كنَّى كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك» [1].

شهرته

اشتهر بابن جُزَيّ بالتصغير [2]وهي تسمية معروفة عند العرب.

قال السّمعاني [3]: « الجزي: هذه النسبة إلى جز، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه وهو محمد بن مروان بن ثوبان بن عبد الرحمن بن جز بن بكر بن عمرو بن سعد الجزي، كان جده جز بن بكر فيمن دخل الشام مع أبي عبيدة بن الجراح... » [4].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) القوانين الفقهية (٢٨٣).

(٢) ذكر التنبكتي في كتابه : (بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة) نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج (٢ / ٥٠) وكذلك في ابن جُزيء ومنهجه في التفسير (٨٣)،وهو خلاف المشهور .

(٣) عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السّ معاني المروزي، أبو سعد ، وُلد" بمرو "سنة (٥٠٦هـ).مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث. من كتبه (الأنساب ، و تاريخ ، و تذييل تاريخ بغداد). تُوفي سنة (٥٦٢ هـ).
يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٠٧/٢٢)، و الوافي بالوفيات(٦٠/١٩) ، والأعلام (٤ / ٥٥).

(٤) الأنساب للسمّعاني (٥٨/٢)، ومعجم البلدان (١٣٣/٢).

المبحث الثالث: مولده ونشأته

مولده

ولد أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ في يوم الخميس التاسع من ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة هجرية في مدينة غرناطة عاصمة الأندلس في ذلك العهد [١].

نشأته

نشأ ابن جُزيّ في بيت علم ،وفضل ،و نهل من معين العلم على يد والده ، ثم التفَّ على علماء عصره في التَّلقي والطلب ، والتدقيق والنظر حتى تأهل للتدوين والتأليف .

قال تلميذه ابن الخطيب : « كان على طريقة مثلي من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين. فقيهًا حافظًا قائمًا على التدريس مشاركًا في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب. حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال، جمَّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسنُ المجلس ممتع المحاضرة صحيح الباطن» [٢].

وقال: « قريعُ أصالة قديمه، وبارق ديمه، وذخيرةٌ في صوانِ أقطار عديمه، تفخر منه الحضرة بقرى مائها وهوائها، ونيرها الذي استقل بخط استوائها، والحرُّ يجُر بقريع نجاره» [٣].

وقال أحمد التلمساني – رحمه الله – : « وبيت بني جُزيّ بيت كبير مشهور بالمغرب والأندلس »[٤].

فما كان من سليل هذا البيت ، إلاَّ أن يسير على خطى آبائه و أجداه في النيل من العلم فنشأ محباً للعلم شغوفاً للطلب ،بل كان طلب العلم رأس أمره وجُلَّ اهتمامه ، ومن ذلك قوله :

وإن مرادي صحةٌ وفراغٌ ... لأبلغَ في علمِ الشريعةِ مبلغا

يكون به لي في الجنانِ بلاغٌ ... ففي مثل هذا فلينافس أولو النهي [٥]

---

(١) نفح الطيب (٥/٥١٦) ،و ابن جزي ومنهجه في التفسير (١ / ١٦٩).

(٢) الديباج المذهب (١/٢٩٥).

(٣) الكتيبة الكامنة (١ / ٤٦).

(٤) نفح الطيب (٧/٢٨٢).

(٥) الديباج المذهب (١/٢٩٦).

فابتدأ رحلته بكتاب الله تعالى فحفظ القرآن برواية ورش عن نافع حتى أتقنها ، ثم قرأ بقية القراءات السبع وتعلمها .

ثم تفقّه بمذهب الإمام مالك [1]السائد في عصره ، وأخذَ ينهلُ من نمير العلم له في كل علم سهم فعكف على علماء الحديث ، والتّفسير حتى رسخ في العلم ،وأصبح من جِلّة العلماء في التفسير والحديث والقراءات والفقه والأصول .

و لم يقتصر علمه –رحمه الله تعالى– على النَّيل من علوم الشّريعة ؛بل كان له با ع في النحو ، والأدب ملمًّا بالشعر مُنشًأ له في أغراض نبيلة ،وتولى الخطابة في الجامع الكبير في غرناطة ،و هو حديث السن فاتّفُق على أصالته .

قال ابن الخطيب : « وتقدّم بالجامع الأعظم خطيب حفله، وأمام فرضه ونفله، مع توفر أهله ، وتعدد شيخه في الاختيار وكهله، فوقع عليه الاتفاق، وانعقد الإصفاق، وعقد له في عصا منبره اللواء الخفاق » [2].

وما أن انتهى من الطلب حتّى شرع في تعليم القرآن ، واشتغل بتأليف الكتب مدققًا محررًا، يشرح ما استغلق فهمه ويقرب ما بعُد . وما ذاك إلا من نفس توَّاقة عاشت بين ذلك الجسد تحمله للعطاء بلا توقف .

كان من قوله : «وإن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن ،وتعلّمه ،وتعليمه ، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه .. » [3].

قال ابن الخطيب : «كان رحمه الله كثير الاجتهاد، منكب الهاد ، متوصلا لوصال السها ب السّ هاد وهجر المهاد، فدوّن وصرّف، وقرّط المسامع وشرّف » [4].

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عن د أهل السنة، وإليه تنسب المالكية،ولد في المدينة سنة (٩٣ هـــ) ، صنف " الموطأ "،وله رسالة في " الوعظ " وكتاب في " المسائل " ورسالة في " الرد على القدرية " ، وغيرها. توفي في المدينة سنة (١٧٩ هـــ).

يُنظر : صفة الصفوة (١٧٧/٢) ، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٤٠١/٢) ، والأعلام (٥ / ٢٥٧).

(٢) الكتيبة الكامنة (١ / ٤٦).

(٣) التسهيل (٢/١).

(٤) الكتيبة الكامنة (١ / ٤٦).

المبحث الرابع : عقيدته ، ومذهبه ، وقراءته

عقيدته :

سار ابن جُزيّ – رحمه الله – في الجُملة على مذهب أهل السنة ، والجماعة في تقرير أصول العقيدة والرد على الفرق المخالفة من المعتزلة[١] والخوارج [٢] .

ومن ذلك قوله في إثبات رؤية المؤمنين لله – ﷻ – يوم القيامة: «﴿ اِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٣]هذا من النظر بالعين ،وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة ، وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة ،وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ،وهذا باطل ؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر تقول :نظرتك .أي :انتظرتك ،وأما المتعدي بإلى ،فهو من نظر العين ،ومنه قوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَّنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ [٤]، وقال بعضهم : إلى هنا ليست بحرف جر ،وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم ،وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري [٥]بأن معناه : كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ،ويتعلق به ،وهذا بعيد، وقد جاء عن النبي – ﷺ – في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل ،فهي تفسير للآية »[٦].

إلا أنه ك ان على طريقة الأشاعرة [٧] في إثبات الصفات السبع ، حيث صرّح بذلك في كتابه

---

(١) المعتزلة : سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري ؛ لقولهما بأن الفاسق [مرتكب الكبيرة] لا مؤمن ولا كافر ومن معتقداتهم القول بنفي الصفات عن الله تعالى ، والقول بأن القرآن محدث ، و أن الله لا يرى في الآخرة ، وأن الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العباد .

يُنظر : الإبانة (٢٢/١) ، ومقالات الإسلاميين (١٥٥/١) ، والملل والنحل (٤٣/١).

(٢) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي – رضي الله عنهما – كما قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرا عليها.

يُنظر: مقالات الإسلاميين (٨٦/١)، و الملل والنحل (١١٤/١) ، و تلبيس إبليس(١١١/١).

(٣) سورة القيامة : ٢٢ .

(٤) سورة يونس : ٤٣ .

(٥) محمود بن محمد الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم ، وُلد سنة (٤٦٧ هـ) . مفسر ، نحوي ، لغوي ، أديب ، وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان. من كتبه (أساس البلاغة ،و المفصل ،و لمقامات ، والجبال والأمكنة والمياه) . تُوفي سنة – ٥٣٨ هـ).

يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠) ، وطبقات المفسرين لأدنه وي (١٧٢/١) ، والأعلام (٧ / ١٧٨).

(٦) التسهيل (١٦٥/٤).

(٧) الأشاعرة : هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري وقد كان على مذهب المعتزلة أربعين سنة ، ثم سار على طريقة ابن كلاب وتأثر بها

"القوانين " بقوله : قال : « الباب الثاني : في صفات الله تعالى عز شأنه وبهر سلطانه جرت عادة المتكلمين بإثبات سبع صفات وهي الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام» [1].

وتحدث عن هذه الصفات ثم قال : « والدّليل على ثبوت هذه الصفات ثلاثةُ أوجهٍ :

الوجه الأول: أنها صفات كمال فوجب وصف الله بها وأضدادها صفات نقص فوجب تتريهه عنها ولله المثل الأعلى.

الوجه الثاني:أنها تدل عليها آثار حكمته ، فإن اتقان الصّنعة دليلٌ على حياة الصانع وقدرته وعلمه وسائر صفاته.

الوجه الثالث: ما ورد من النّصوص الصرّيحة في القرآن والأخبار الصّحيحة » [2]

ومن خلال النظر في تفسير ابن جُزيّ – رحمه الله – أرى – و الله تعالى أعلم – أنه قال بالتأويل في بعض الصفات ، ومن الأمثلة على ذلك **قوله في صفة الوجه** :

وقال في قول الله تعالى : « ﴿وَلاَ تَدْعُ﴾ أي : لا تعبد مع الله ﴿إِلَـٰهاً ءَاخَرَ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [3]الآية أي إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات » [4]

وقال أيضا : « ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلإِكْرَامِ﴾ [5]. الوجه هنا عبارة عن الذات وذو الجلال صفة الذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال ولقد كرمنا بني آدم أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته» [6]

وممن قال بتأويل الوجه بالذات عبد القادر البغدادي [7] حيث قال : « المسألة الثالثة عشرة من هذا

بها ثم عاد إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، إلا أن المتأثرين بأبي الحسن الأشعري لم يرجعوا إلى ما رجع عنه أبو الحسن فأثبتوا صفات سبع و هي : هي: الحياة، والعلم، والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام وزاد الباقلاني ، و الجويني صفة ثامنة هي الإدراك) ونفوا ما عدها.

يُنظر : المقصد الأسنى (١/١٥٧)، والعقيدة الأصفهانية (١/٣٢)، و المواقف(٣/١٤٧)، والتحفة المدنية في العقيدة السلفية (١/١٢٥) ، ومعارج القبول (١/٣٧٧).

(١) القوانين الفقهية (١/٩).

(٢) المرجع السابق (١ / ١٠).

(٣) سورة القصص : ٨٨ .

(٤)التسهيل (٣/١١٣).

(٥) سورة الرحمن : ٢٥ .

(٦) التسهيل (٤/٨٤).

(٧) عبد القادر بن طاهر بن عبد الله، أبو منصور البغدادي، التميمي كان عالم متفنن، من أئمة الأصول من مؤلفاته (الملل والنحل ، و

الأصل في تأويل الوجه والعين من صفاته ، ثم ذكر قول المشبه ثم قال : " وزعم بعض الصفاتية أن الوجه والعين المضافين إلى الله تعالى صفات له، والصحيح عندنا أن وجهه ذاته، وعينه رؤيته للأشياء » [(١)].

وكذلك أوَّل صفة الإتيان والمجيء بقوله :

« ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ [(٢)]يأتيهم الله تأويله عند المتأولين يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا وهي عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غ ير تكييف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم لولا يكلمنا الله» [(٣)]

وقال : «﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [(٤)] تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد [(٥)]معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل» [(٦)]

وممن قال بهذا التأويل أبو الحسن الطبري [(٧)] في قوله : «فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾[(٨)]، وفي قوله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[(٩)] ، وفي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى

الفرق بين الفرق ، و أصول الدين) . تُوفي سنة (توفي سرق (٤٢٩ هـــ)

يُنظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٢٠٣/٣)، وسير أعلام النبلاء (٥٧٢/١٧)، وبغية الوعاة (١٠٥/٢)

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ / ٥٧٦).

(٢) سورة البقرة : ٢٠٨ .

(٣) التسهيل (٧٧/١).

(٤) سورة الفجر : ٢٤ .

(٥) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القرطبي، أبو الحكم البلوطي ، وُلد سنة (٢٧٣هـــ) . كان فقيها خطيباً شاعراً فصيحا ، بصيرا بالجدل، منحرفا إلى مذاهب أصحاب الكلام . من مؤلفاته (أحكام القرآن، و الإبانة عن حقائق أصول الديانة ، و الناسخ والمنسوخ). توفي سنة(٣٥٥ هـــ).

يُنظر : تاريخ العلماء بالأندلس (١٤٢/٢) ،ونفح الطيب (١٦/٢) ، والأعلام (٧ / ٢٩٤).

(٦) التسهيل (١٩٨/٤).

(٧) علي بن محمد بن المهدي أبو الحسن الطبري المتكلم الأشعري تأويل الأحاديث المشكلة الموضحة وبيانها بالحجة والبرهان. توفي بحدود سنة ٣٨٠هـــ.

يُنظر : الوافي بالوفيات (٩٠/٢٢) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ / ٥١٧).

(٨) سورة النحل:٢٦.

(٩) سورة الفجر:٢٢.

ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[1] .

قيل له: إن الله سبحانه قد صح أنه لا يجوز وصفه بالإتيان والمجيء الذي بمعنى الإنتقال والزوال، إذ كان ذلك من صفات الأجسام تعالى الله أن يكون جسما عرضا، وكلام العرب واسع له ظهر وبطن لاتباع العرب في المجازات وطرق الكلام. ومعنى البيان في قوله: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم ﴾الاستئصال في الهلاك والدمار بإرسال العذاب... وأما قوله:﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ فمعناه جاء حكم ربك وأمر ربك، ألا ترى أن الخاص والعام يقول: ضرب الأمير زيدا، وإن كان الأمير لم يباشر زيدا بالضرب، بل كان ذلك بأمره وحكمه عليه... »[2].

مذهبه

يعتبر ابن جُزيّ –رحمه الله تعالى– من أعيان المذهب المالكي ؛ لأنه المذهب السائد في المغرب وبلاد الأندلس ؛ لذا ترجم له ابن فرحون [3] في طبقات المالكية [4].

وقرر ذلك ابن جُزيّ في كتابه قوانين الأحكام الشرعية بقوله : «فهذا كتاب في قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه إذ هو الذي اختاره أهل بلادنا بالأندلس وسائر المغرب» [5].

وقال في موضع آخر : « وإذا قلنا المذهب فنعني مذهب مالك وفي ذلك إشعار بمخالفة غيره وإذا قلنا المشهور فنعني مشهور مذهب مالك» [6] .

ومن الملاحظ في مقدمة كتابه أنه لم يكن متعصباً لمذهبه بل ذكر ما يكون متفقا فيه بين المذاهب الأخرى ، ونبه على غير مذهبه .

---

(١) سورة البقرة:٢١٠.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ /٥٢٢ – ٥٢٣).

(٣) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري : عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدي نة. وهو مغربي الأصل، له (الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي، و تبصرة الحكام في أصول الأ قضية ، و درة الغواص في محاضرة الخواص). توفي سنة (٧٩٩ هـ) .

يُنظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥٢/١) ، والإعلام (١ / ٥٢).

(٤) الديباج المذهب (٢٩٥/١)

(٥) القوانين الفقهية (٧/١).

(٦) المرجع السابق (٨/١).

قال رحمه الله تعالى – : «ثم زدنا إلى ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين الإمام المسمى وبين الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي والإمام أبي حنيفة النعمان ابن ثابت والإمام أبي عبد الله بن حنبل لتكمل بذلك الفائدة ويعظم الانتفاع فإن هؤلاء الأربعة هم قدوة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشياع ... »[1].

قراءته

اعتمد ابن جُزي في تأليفه لكتابه التسهيل على قراءة نافع ؛ حيث ذكر ذلك في مقدمته بقوله :

«وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين :

أحدهما : أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب

الأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة وقال مالك بن أنس قراءة نافع سنة» [2] .

وهذه نبذة مختصرة عن الإمام نافع و راوييه

الإمام نافع المدني

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني ، أبو رويم .مولى جَعونة بن شعوي الليثي الشجعي أصله من أصبهان. أقرأ الناس دهرًا طويلًا[3].

شيوخه :

أخذ القراءة عن سبعين من التابعين ، ومن أشهرهم : مسلم الهذلي [4]، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني [5]، و يزيد بن القعقاع [6]، ويزيد بن رومان [1].

---

(١) القوانين الفقهية (٧/١).

(٢) التسهيل (٧/١).

(٣) يُنظر : معرفة القراء الكبار (١٠٧/١) ، و سير أعلام النبلاء (٣٣٦/٧).

(٤) مسلم بن جندب الهذلي المدني القاضي . ثقة ، فصيح ، قارئ من الثالثة . توفي سنة (١٠٦هـ).
يُنظر : الكاشف (٢٥٨/٢)، وتقريب التهذيب (٥٢٩/١).

(٥) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، أبو داود المدني . مولى محمد بن ربيعة ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة .توفي سنة (١١٧ هـ).
يُنظر : التاريخ الأوسط(٢٨٣/١) ،و معرفة القراء الكبار(٧٧/١).

(٦) يزيد بن أبي كبشة السكسكي الدمشقي، أبو جعفر . روى عن أبيه أبي كبشة جبريل بن يسّار ، ومروان بن الحكم . وعنه أبو بشر والحكم بن عتيبة وعلي بن الأقمر ومعاوية بن ذكره بن حبان في الثقات . توفي سنة (١٣٠ هـ)
يُنظر : الثقات (٥٤٣/٥)، وتهذيب التهذيب (٣١٠/١١).

تلاميذه

أقرأ الناس دهرا طويلا واستفاد منه خلق كثير من أشهرهم إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني [٢]، وأبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة [٣]، والليث بن سعد الفهمي[٤].

أشهر رواته

اشتهرت قراءة نافع بروايتي تلميذيه قالون و ورش .

قالون : عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقي. مولى بني زهرة قارئ أهل المدينة في زمانه ونحويهم.

قيل: أنه كان ربيب نافع وهو الذي لقبه قالون لجودة قراءته ، وتبتل لإقراء القرآن والعربية وطال عمره وبعد صيته . توفي سنة (٢٢٠ هـــ)[٥].

ورش : هو عثمان بن سعيد ورش أبو سعيد المصري المقرىء. وقيل :أبو عمرو . وقيل : أبو القاسم ولد سنة (١١٠ هـــ) قرأ القرآن وجوده على نافع عدة ختمات .

لقب بورش . قيل : لشدة بياضه والورش شيء يصنع من اللبن ويقال لقبه بالورشان وهو طائر معروف فكان يقول: « إقرأ يا ورشان وهات يا ورشان » ، ثم خفف. وقيل : ورش وكان لا يكرهه ويعجبه

---

(١) يزيد بن رومان الأسدي .أبو روح القارئ . مولى آل الزبير بن العوام . قرأ القرآن على عبد الله بن عياش ،وسمع من عروة بن الزبير وصالح بن خوات، وهو ثقة ثبت ، حديثه في الكتب الستة . توفي سنة (١٣٠هـــ).
يُنظر : الثقات (٥/٥٤٥) ، ومعرفة القراء الكبار (٧٦/١) ، والأعلام (٨ / ١٨٢).

(٢) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ، مولاهم المدني القارئ أبو إسحاق . أخذ القراءة عرضا عن شيبة بن نصاح ثم عرض على نافع وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان وبر ع في القراءة ، ونزل بغداد ونشر بها علمه وأقرأ بها . توفي سنة (١٨٠ وقيل: ١٧٧ هـــ).
يَنظر : معرفة القراء الكبار (١٤٤/١)،و تهذيب التهذيب(٢٥١/١).

(٣) عمرو بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم ، أبو عمرو . أحد الأئمة القراء السبعة مقدما في عصره عالم بالقراءة ووجوهها قدوة في العلم باللغة . توفي سنة (١٥٤ هـــ).
يُنظر : تهذيب الكمال (١٢٠/٣٤).

(٤) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي بالولاء، أبو الحارث . وُلد في قلقشندة سنة (٩٤هـــ).إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها . وله تصانيف. ولابن حجر العسقلاني كتاب " الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية " في سيرته. تُوفي سنة (١٧٥ هـــ).
يُنظر : المعرفة والتاريخ (٤١/١) ، وتذكرة الحفاظ (٢٢٤/١) ، والأعلام (٥ / ٢٤٨).

(٥) معرفة القراء الكبار (١٥٥/١).

ويقول أستاذي نافع سماني به . توفي بمصر سنة (١٩٧ هـ)[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) الجرح والتعديل (١٥٣/٦) ، والمعجم في مشتبه أسامي المحدثين (٢٠٣/١) ،ومعرفة القراء الكبار (١/ ١٥٢ – ١٥٥).

المبحث الخامس : وفاته

في ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعما ئة (٧٤١ هــ) في موقعة طريف[١] [٢]مع النصارى ،قُتل بعد أن أبلى فيها بلاء حسناً. وكان من شعره يوم الوقيعة قوله :

قَصْدي المؤمل في جَهْري وإسْرَاري ومَطْلَبي من إلهي الواحد البَاري

شهادةٌ في سبيل الله خالصةٌ تمحُو ذُنُوبي وتُنْجيني منَ النَّارِ

إنَّ المعاصِي رجْسٌ لا يطهِّرُهَا إلا الصَّوَارِمِ في أيْمَان كفَّارِ

ثم قال : في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات [٣].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وبلغّه ما سأل

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) **طريف** : اسم شبه الجزيرة التي تقع في الساحل الجنوبي لبلاد الأندلس (أسبانيا حاليا) ، وهي تقابل مدينة سبتة المغربية على الساحل المغربي ، وسميت (طريف) بهذا الاسم نسبة إلى طريف بن مالك مولى موسى بن نصير أول من دخل جزيرة الأندلس .
يُنظر : تاريخ ابن خلدون (١٥٠/٤) ، ومعجم البلدان (٢٦٣/١) ، ونفح الطيب (١٦٠/١).

(٢) **معركة طريف** : وقعت هذه المعركة بين المسلمين بقيادة أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المزيني جاز البحر إلى جزيرة الأندلس برسم الجهاد ونصرة أهلها على عدوهم حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك العدوة ، فاجتاح أراضي النصارى وحصل على الغنائم ، فما كان من النصارى أن كونوا أسطولا بحريا استقر بالمضيق ومنعوا الإمداد عن جيش المسلمين فغاروا عليهم وأوقعوا الهزيمة بالمسلمين ، وقتل فيها خلق كثير .
يُنظر : شذرات الذهب (١٢٧/٦) ، و نفح الطيب (١٥/٥)

(٣) نيل الابتهاج (٢ / ٥١) ، والتاريخ الأندلسي (٥٨٩) ، وابن جُزيّ ، ومنهجه في التفسير (١ / ١٧٠).

المبحث الأول : القيمة العلمية لكتاب التسهيل

صنف ابن جُزيّ كتابه التسهيل[1] ، وأودع فيه دررًا نفيسة ، فعلى صغر حجمه حوى كثيرا من العلوم ، بسهولة عباراته وعمق إشارته ، **ومما يبين لنا القيمة العلمية لكتاب التسهيل عدة أمور وهي :**

- اهتمامه بعلوم القرآن ؛ إذ هي من مقاصد تأليفه للكتاب حيث قال : «وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم » [2].

  فتحدث في مقدمته عن أسباب النزول ، وأسماء السور ، والمكي والمدني ، ومقاصد القرآن والناسخ والمنسوخ ، وعقد بابًا في جوامع القراءة ، وبابًا في البلاغة وأدوات البيان، وغيرها من العلوم التي جمعها في مقدمته.

- احتوى كتاب التسهيل على جملة وافرة من الأحاديث ، والآثار التي أغلبها من المقبول ، مما يدل على حرص ابن جزي رحمه الله على التفسير بالمأثور.
- تحدث عن طبقات المفسرين ، ومن نقل عنهم من الصحابة والتابعين .

قال — رحمه الله – في مقدمته : «واعلم أن المفسرين على طبقات . فالطبقة الأولى الصحابة وأكثرهم كلاما في التفسير ابن عباس [3]وكان على بن أبي طالب – ﷺ – [1] يثني على تفسير ابن عباس ويقول

---

(١) **للكتاب نسخ عديدة واعتمدت على نسختين في تصويب الأخطاء المطبعية وهي :**

الأولى :رقم التسلسل: ٦٠٧٧٦، رقم الحفظ : ج/٤٤/٠٤/٠٢، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٦٩٠، الميكروفيلم : ١٢٦٩٠ – مطبوع : ذخائر التراث ٧٢/١ .الأزهري ٢١٦/١. ورمزت لها بالرمز "ز".

والثانية :رقم التسلسل : ٦٣٦٥٨، رقم الحفظ : ج/٤٥/٠٢/١٢، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٨٠٢، الميكروفيلم : ١٢٨٠٢ – طبع : ذخائر التراث ٧٢/١ . مكان الحفظ : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.ورمزت لها بالرمز "د".

طبعات الكتاب : طُبع الكتاب عدة طبعات وهي :

طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣ هــ – ١٩٧٣ م ، وطبعة ١٤٠٣ هــ ، تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الكتاب العربي .

و طبعة :دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هــ– ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة

وطبعة :أم القرى ، القاهرة ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض .

وطبعة :دار الأرقم ، بيروت ، ١٤١٦ هــ . تحقيق عبد الله الخالدي .

وطبعة : المكتبة العصرية ، ١٤٢٦ هــ – ٢٠٠٥ م .

(٢) التسهيل (٣/١).

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس : حبر الامة، الصح أبي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الاحاديث الصحيحة .توفي سنة (٦٨ هــ). يُنظر : الاستيعاب (٩٣٣/٣).و الإصابة (١٤١/٤).

كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال ابن عباس : ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب . ويتلوهما عبد الله بن مسعود[٢]، وأبي بن كعب[٣] وزيد ابن ثابت[٤] وعبد الله بن عمر بن الخطاب [٥]،وعبد الله بن عمرو بن العاص[٦]، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن .

والطبقة الثانية :التابعون ،وأحسنهم كلاما في التفسير الحسن بن الحسن البصري [٧] ،وسعيد بن جبير [٨]، ومجاهد[١] مولى ابن عباس ، وعلقمة [٢]صاحب عبد الله بن مسعود ،ويتلوهم عكرمة [٣]،وقتادة

---

(١) عَليّ بنُ أَبِي طالب بن عَبْد المُطَّلِب بنِ هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ، أَوّل الناس إِسلاماً في قول كثير من العلماءِ على ما نذكره وهاجر إِلى المدينة وشهد بدراً وأُحداً والخندق وبيعه الر ضوان وجميع المشاهد مع رسول الله إِلا تبوك . قتل رضي الله عنه في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. ينظر : أسد الغابة (٤/١٠٠) ، والإصابة في تمييز الصحابة (٥٦٤/٤).

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن : صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الاسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الامين . توفي سنة ٣٢ هـ. ينظر : الاستيعاب (٩٤٥/٣)، و الإصابة في تمييز الصحابة (٢٣٣/٤).

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر أبو الطفيل سيد القراء الأنصاري الخزرجي ، كان من أصحاب العقبة الثانية ، وشهد بدرا والمشاهد . ت (٢٢ هـ) في خلافة عمر وقيل بقي إلى خلافة عثمان . يُنظر : تقريب التهذيب (٩٦/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢٧/١).

(٤) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ، أبو سعيد وقيل : أبو ثابت . وقيل: غير ذلك في كنيته . استصغر يوم بدر ويقال إنه شهد أحدا ويقال أول مشاهده الخندق كان من الراسخين في العلم مات سنة (٤٣ ، وقيل ٤٥) .

يُنظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٥٩٢/٢) ، وتقريب التهذيب (٢٢٢/١).

(٥)عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن : صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية . كان جريئا جهيرا. نشأ في الاسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة.توفي سنة (٧٣ هـ). ينظر : أسد الغابة(٣٤٧/٣) ، و الإصابة (١٨١/٤).

(٦) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر . ويقال : أبو عبد الرحمن ، أسلم قبل أبيه وكان من فضلاء الصحابة ، عالما بالقرآن ، وقال ابن أبي عاصم مات بمكة سنة (٦٨ ، وقيل ٦٩ هـ).

يُنظر : تهذيب الكمال (٣٥٧/١٥) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (١٩٢/٤).

(٧) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد . وُلد سنة (٢١ هـ) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه .توفي بالبصرة (١١٠ هـ).

يُنظر : معرفة القراء الكبار (٦٥/١) ، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤)،و الوافي بالوفيات (١٩٠/١٢) ، والأعلام (٢ / ٢٢٦).

(٨) سعيد بن جبير بن هشام مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة أبو عبد الله .كان فقيها عابدا ورعا فاضلا . توفي سنة (٩٥

[4]، والسدي[5] ،والضحاك ابن مزاحم [6] وأبو صالح [7]،وأبو العالية [8]» [9].

- جعل باباً في تفسير معاني اللغات التي يكثر دورانها في القرآن أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف.
- اهتمامه بالترجيح بين الأقوال على قواعد علمية قررها في مقدمته ، وسار عليها في تفسيره.
- خطَّ ابن جزي لنفسه خطوطاً عريضة تعطي القارئ لأول وهلة منهجه الذي سار عليه وذلك

هـــ).
يُنظر : الثقات (٤/٢٧٥)،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/٢٧٢).

(١) مجاهد بن جبر بن السّائب المخزومي ، أبو الحجاج ، شيخ القراء والمفسرين ، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب . توفي سنة (١٠٤ هـــ) .
يُنظر : حلية الأولياء (٣/٢٧٩)، و طبقات الفقهاء (١/ ٥٨) .

(٢) علقمة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم وكان يشبه بابن مسعود ﷺ – توفي سنة (٦٢) على الأصح .
يُنظر : تهذيب الهذيب (٧/٢٤٤)،والبداية والنهاية (٨/٢١٧). العبر في خبر من غبر (١/٦٦).

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس ، تابعي من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، توفي سنة . حلية الأولياء (٣/٣٢٧)، وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان (٣/٢٦٥)، تهذيب التهذيب (٧/٢٣٤).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب ، مفسّر حافظ ، تابعي تكلم في القدر ، وربما دلس في الحديث . روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيب ، وأبو العالية ، وعطاء وابن سيرين . توفي سنة (١١٥ ، وقيل سنة ١١٧ هـــ).
يُنظر : الثقات (٥/٣٢١) ، و تذكرة الحفاظ (١/١٢٢) ، وتهذيب التهذيب (٨/٣١٥) .

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، أبو محمد ، صاحب التفسير ، والمغازي والسير ، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس ،روى عن أنس وابن عباس ، وعنه أسباط بن نصر ، والحسن بن صالح . قال ابن عدي : مستقيم الحديث . توفي سنة (١٢٧).
يُنظر : التاريخ الكبير (١/٣٦١)، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤)، وتهذيب التهذيب (١/٢٧٣).

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ، صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم ،روى عن أبي هريرة وابن عباس ، وأبي سعيد وغيرهم ، وروى عنه عبد الرحمن بن عوسجة وغيره . قال ابن حبّان : في جميع ما روى نظر ؛ إنما اشتهر بالتفسير توفي سنة (١٠٥ هـــ).
يُنظر : تهذيب الكمال تهذيب الكمال (١٣/٢٩١) ، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٩٨) ، وطبقات المفسرين (١/١٠).

(٧) ذكوان المدني ، أبو صالح السّمّان ، روى عن سعد وأبي الدرداء ، وعائشة ، وأبي هريرة – – وعنه بنوه سهيل ، وعبد الله ، وصالح وعطاء ، وسمع عنه الأعمش . قال أحمد : ثقة ، ثقة . توفي سنة (١٠١ هـــ) .
يُنظر : معرفة الثقات (١/٣٤٥)،و التعديل والتجريح (٢/٥٦٨) ، وتهذيب الكمال (٨/٥١٣) .

(٨) رفيع بن مهران الرياحي مولاهم ، أبو العالية ، مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي-ﷺ- بسنتين . توفي سنة (٩٣ هـــ).
يُنظر : تهذيب التهذيب (٣/٢٤٦) ، والثقات (٤/٢٣٩).

(٩) التسهيل (١/٩-١٠).

ضمن مقدمتين شاملتين تدل على قيمته العلمية قال فيها : « وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا إذ جعلته وجيزا جامعا **قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد :**

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين ،وتقريباً على الراغبين فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ،وتنقيح فصولها ،وحذف حشوها ،وفضولها ،ولقد أودعته من كلٍ فنٍ من فنونِ علم القرآن اللُّباب المرغوب فيه دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ،ولا تفريط ثم إني عزمت على إيجاز العبارة ،وإفراط الاختصار وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة ،وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب ؛لأنها من نبات صدري وينابيع ذكري ومما أخذته عن شيوخي – رضي الله عنهم –أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر .

الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات ،وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المجملات .

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها ،والصحيح ،وتمييز الراجح من المرجوح وذلك أن أقوال الناس على مراتب ، فمنها الصحيح الذي يعول عليه ،ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ومنها ما يحتمل الصحة والفساد» [1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) التسهيل (٣/١).

المبحث الثاني : مصادر ابن جزي في كتابه

كان ابن جزي رحمه الله ذا علم وافر ومعرفة واسعة بشتى العلوم . الأمر الذي مكنه من سبر أقوال المتقدمين بالتحرير والتدقيق ، وذلك لتأخره عنهم فاستطاع الاطلاع على ما ألفه العلماء قبله واستخراج فوائد هذه العلوم ، ويظهر ذلك من خلال ذكر ا لكتب التي اطلع عليها في كتابه ، فقد ذكر في مقدمته جملة من العلماء الذين استقى منهم معلوماته في . إلا أنه حين يذكر المصدر فإنه يقصد بذلك أحد **أمرين وهما** : (الخروج من عهدته ، و نصرته إذ كان قائله ممن يُقتدى به) .

قال ابن جزي رحمه الله : (...وأما إذا صرحت باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين إما للخروج عن عهدته وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدي به على أني لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسي أو مما أختاره من كلام غيري...) [(١)]، ويمكن تقسيم مصادره [(٢)]بحسب العلوم إلى :

أولا: مصادره من كتب التفسير :

١. كتاب جامع البيان للإمام محمد ابن جرير الطبري [(٣)].

قال فيه : «ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها» [(٤)].

٢. شفاء الصدور لأبي بكر بن حسن النقاش[(٥)] .

٣. الكشف والبيان للثعلبي[(١)] .

---

(١)التسهيل(١/٣).

(٢) من خلال منهج ابن جزي في ذكر الأقوال نلاحظ أنه لم يصرح في كثير من الأحيان بذكر المصدر الذي استقى منه المعلومة ، ولذلك اقتصرت في ذكره مصادره على ما ذكره في مقدمته .ولتوسع في هذا المبحث يُنظر : ابن جُزي ومنهجه في التفسير (١ / ٢١٧) وما بعدها .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ، أبو جعفر الإمام الجليل المجتهد ، وُلد سنة (٢٢٤ هـ) ، أحد أئمة الدنيا علماً وديناً رأس في التفسير والفقه علامة في التاريخ ، وأيام الناس ، وكان كثير الترحال في طلب العلم . من كتبه (تاريخ الطبري ، و اختلاف الفقهاء ، و المسترشد في علوم الدين ، و جزء في الاعتقاد . استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته (٣١٠ هـ) .

يُنظر : سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) ، و تذكرة الحفاظ (٧١٠/٢ - ٧١٦)، والأعلام (٦ / ٦٩).

(٤) التسهيل(١٠/١).

(٥) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش ، ولد سنة (٢٦٦ هـ) ، وهو إمام أهل العراق في القراءات والتفسير من كتبه (شفاء الصدور ، و الإشارة في غريب القرآن، و الموضح في القرآن ومعانيه، والمعجم الكبير في أسماء القراء وقراءاتهم) توفي سنة (٣٥١ هـ). يُنظر : وفيات الأعيان (٢٩٨/٤) ، و الأعلام (٦ / ٨١).

٤. النكت والعيون للماوردي [٢].

قال في الثلاثة السابق ذكرهم :« وممن صنف في التفسير أشياء أبو بكر النقاش والثعلبي والماوردي إلاّ أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح وقد استدرك الناس على بعضهم»[٣].

٥. حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي [٤]:

قال فيه: « وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن . فمنهم من أحسن وأجاد ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد . ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه الحقائق .وقال بعض العلماء : بل في البواطل ، وإذا انتصفنا قلنا : فيه حقائق و بواطل» [٥].

٦. الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب[٦].

قال فيه : « ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب الهداية في تفسير القرآن وكتابا في غريب القرآن وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه وكتابا في إعراب القرآن إلى غير ذلك من تآليفه فإنها نحو ثمانين تأليفا أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير»[٧].

٧. التحصيل في مختصر التفصيل للمهدوي [٨].

---

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، أبو إسحاق كان أحد أوعية العلم ، وكان صادقا موثقا بصيرا بالعربية طويل الباع في الوعظ.ت (٤٢٧ هـ) . يُنظر : معجم الأدباء (١٩/٢) ، و سير أعلام النبلاء (٤٣٥/١٧- ٤٣٧)، و بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة(٣٥٦/١).

(٢) علي بن حبيب الماوردي ، أبو الحسن ، وُلد سنة (٣٦٤ هـ) . كان أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف النافعة . من كتبه (أدب الدنيا والدين ، و الأحكام السلطانية ، والنكت والعيون ، و الحاوي) . تُوفي سنة (٤٥٠ هـ) .
يُنظر : طبقات الفقهاء (١٣٨/١) ، وسير أعلام النبلاء (٦٤/١٨) ، والأعلام (٤ / ٣٢٧) .

(٣) التسهيل (١٠/١).

(٤) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، أبو عبد الرحمن ، ولد في نيسابور سنة (٣٢٥ هـ) قال الذهبي: (شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية).من كتبه (طبقات الصوفية ،ومقدمة في التصوف ،و مناهج العارفين ،و رسالة في غلطات الصوفية) .توفي سنة (٤١٢ هـ).
يُنظر : سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٧) ، و الأعلام (٦ / ٩٩).

(٥) التسهيل (٨/١).

(٦) مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد ، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية . ولد بالقيروان سنة ٣٥٥ هـ) ، وهو من أهل التبحر في علوم القرآءات والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التآليف في علم القرآن طاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها . من كتبه (التبصرة في القراءات السبع ،والمنتقى في الأخبار،والإيضاح للناسخ والمنسوخ ، والموجز في القراءات ،و الإيجاز في الناسخ والمنسوخ). توفي بقرطبة سنة (٤٣٧ هـ).
يُنظر : معجم الأدباء (٥/ ٥١٧)، و طبقات المفسرين للداودي (١١٤/١) ، و الأعلام (٧ / ٢٨٦).

(٧) التسهيل (١٠/١).

(٨) أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي التميمي، أبو العباس ، مقرئ أندلسي أصله من المهدية بالقيروان . من كتبه (هجاء مصاحف

قال فيه:«وأما أبو العباس المهدي فمتقن التآليف حسن الترتيب جامع لفنون علوم القرآن» [١].

٨. الكشاف للزمخشري.

مما نقل عنه كثيرا في كتابه الزمخشري ، وخاصة في الإعراب و البلاغة ، إلا أنه في نقله عنه كان محررا للقول ، مدققا ، ناقدا .

أوضح رأيه عنه بقوله : «ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزمخشري فمسدد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان ، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم وحمل آيات القرآن على طريقتهم فتكدّر صفوه وتمرر حلوه فخذ منه ما صفلودع ما كدر » [٢].

٩. كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيّة[٣] .

قال فيه: «وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها ، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها ، وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة » [٤].

١٠. القرنوي[٥]: قال فيه :«وأما القرنوي فكتابه مختصر وفيه من التصوف نكت بديعة» [٦].

١١. التفسير الكبير للفخر الرازي [٧].

قال فيه : « وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام ونمقه بترتيب المسائل وتدقيق النظر في بعض المواضع ، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم ربما يحتاج إلى تلخيص»[٨].

الأمصار على غاية التقريب والاختصار ، والتيسير في القراءات ، وري العاطش ، والهداية). توفي في نحو سنة (٤٤٠ هـ). الأعلام (١ / ١٨٤).

(١) التسهيل (١٠/١).

(٢) المرجع السابق (١٠/١).

(٣) عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي ، أبو محمد ، وُلد سنة (٤٨١هـ) . كان فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث واللغة والنحو . تُوفي سنة (٥٤٦ هـ) .
يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٣٣/٢٠) ، وطبقات المفسرين لأدنه وي (١٧٥/١).

(٤) التسهيل (١٠/١).

(٥) لم أقف على حقيقة الاسم . قد يكون الغزنوي ، أو القرنوي .

(٦) التسهيل (١٠/١).

(٧) محمد بن عمر بن الحسن التميمي ، البكري ، أبو عبد الله الرازي . وُلد سنة (٤٤٤ هـ) . إمام مفسر ،فاق أهل زمانه في المعقول والمنقول ، وعلوم الأوائل من كتبه (مفاتيح الغيب ، و لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ،و معالم أصول الدين) . توفي سنة (٦٠٤ هـ) .
يُنظر : الوافي بالوفيات (١٧٥/٤) ، وشذرات الذهب (٢١/٥) ، والإعلام (٦ / ٣١٣) .

(٨) التسهيل (١٠/١).

ثانياً : مصادره في علوم القرآن :

❖ في القراءات[1] :

كتب أبي عمرو الداني ، ومنها : التيسير في القراءات السبع ، والإشارة ، والمقنع في رسم المصاحف ونقطها ، والاهتداء في الوقف و الابتداء ، و الموضح المذاهب القراء ، وجامع البيان في القراءات وطبقات القراء .

قال فيه : «وأما أبو عمرو الداني فتآليفه تنيف على مائة وعشرين إلا أن أكثرها في القرآن و لم يؤلف في التفسير إلا قليلا»[2].

❖ غريب القرآن

١. غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة [3].

قال فيه : « وصنف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه»[4].

٢. معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج[5].

٣. معاني القرآن لأبي جعفر النحاس[6].

٤. الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني لأبي علي الفارسي[7].

---

(١) ابن جزي و منهجه في التفسير(١ / ٢٩٤).

(٢) التسهيل (١/١٠).

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد .ولد ببغداد سنة (٢١٣هـــ) ، يعتبر من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. من كتبه (تأويل مختلف الحديث ،و أدب الكاتب ،و المعارف، ومشكل القرآن) . توفي ببغداد سنة (٢٧٦ هـــ).

يُنظر : الديباج المذهب (١/٣٥)،و طبقات المفسرين للأدنه وي (١/٤٤) ، والأعلام (٤ / ١٣٧) .

(٤) التسهيل (١/١٠).

(٥) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، ولد في بغداد (٢٤١ هـــ) ، عالم بالنحو واللغة ،وكان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد . من كتبه (معاني القرآن ،و الاشتقاق،وخلق الإنسان ،و الأمالي في الأدب واللغة). توفي سنة (٣١١ هـــ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (١/٥٢) ، وبغية الوعاة (١/٤١١) ، و الأعلام (١ / ٤٠).

(٦) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، مفسر، أديب ، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري . من كتبه (تفسير القرآن ،و إعراب القرآن ، و تفسير أبيات سيبويه ، و ناسخ القرآن ومنسوخه). توفي بمصر سنة (٣٣٨ هـــ).

البداية والنهاية (١١/٢٢٢) ، النجوم الزاهرة (٣/٣٠٠) ، و والأعلام (١ / ٢٠٨).

(٧) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي، أحد الأ ئمة في علم العربية. ولد في فسا سنة (٢٨٨ هـــ) تجول في كثير من البلدان. من كتبه (التذكرة في علوم العربية، وتعاليق سيبويه ،والحجة في علل القراءات). توفي سنة (٣٧٧ هـــ) .

٥. غريب القرآن لمنذر بن سعيد البلوطي.

قال ابن جزي : « وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين كأبي إسحق الزجاج وأبي علي الفارسي وأبي جعفر النحاس وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي كتابا في غريب القرآن وتفسيره»[١].

٦. العمدة في غريب القرآن لمكي بن طالب.

❖ **أحكام القرآن لابن العربي**[٢].

قال فيه : «فأما ابن العربي فصنف كتاب أنوار الفجر في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن فلما تلف تلافاه بكتاب قانون التأويل إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه وألف في سائر علوم القرآن تآليف مفيدة وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة» [٣].

❖ كتب أبي جعفر بن الزبير . ومنها (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التتريل) [٤].

قال ابن جُزيّ : « ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه وله فيه تحقيق ونظر دقيق»[٥].

ثالثاً : مصادره من كتب السنة :

- تفسير القرآن لعلي بن أبي طلحة[٦].
- مسند المفضل بن مهلهل السعدي[١].

يُنظر : تاريخ بغداد (٢٧٥/٧) ، وفيات الأعيان (٨٠/٢) ، الأعلام (٢ / ١٧٩).

(١) التسهيل (١٠/١).

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإ شبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي . قاضي من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة (٤٦٨هـ). برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين.من كتبه (العواصم من القواصم، و عارضة الأحوذي في شرح الترمذي ،و أحكام القرآن). تُوفي سنة(٤٥٣ هـ).

(٣) التسهيل (١٠/١).

(٤) مطبوع . بتحقيق د.محمود كامل أحمد ، وتحقيق د. سعيد الفلّاح .

(٥) التسهيل (١٠/١).

(٦) علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي أبو الحسن ويقال أبو محمد ويقال أبو طلحة مولى العباس بن عبد المطلب سكن حمص أرسل عن بن عباس و لم يره . روى عن أبي الوداك جبر بن نوف الهمداني ،وراشد بن سعد المقرائي ،وعبد الله بن عباس مرسل بينهما مجاهد ،ومجاهد بن جبر المكي ،وروى عنه أرطاة بن المنذر وبدل بن ميسرة ،وثعلبة بن مسلم الخثعمي . روى له مسلم وأبو داود والنسائي وبن ماجة .توفي سنة (١٤٣ هـ).
يُنظر: تهذيب الكمال (٤٩٠/٢٠)، وتقريب التهذيب (٤٠٢/١).

- مصنف عبد الرزاق الصنعاني[٢].
- صحيح الإمام البخاري [٣].
- مسند عبد بن حميد[٤].

قال ابن جُزيّ : «ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف وألف الناس فيه كالمفضل وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وعلي بن أبي طلحة» [٥].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) المفضل بن مهلهل السعدي ، أبو عبد الرحمن الكو في ، ثقة ثبت ، صاحب سنة وفضل ، حدث عن منصور وبيان بن بشر ومغيرة والأعمش ونحوهم ، وعنه حسين الجعفي وأبو أسامة ويحيى بن آدم والحسن بن الربيع وآخرون . قال أحمد العجلي كان ثقة ثبتا صاحب سنة وفضل توفي سنة (١٦٧ هـ).

يُنظر : تهذيب الكمال (٤٢٢/٢٨)، و سير أعلام النبلاء (٤٠٠/٧).

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، أبو بكر الصنعاني ، ولد سنة (١٢٦هـ) أحد الأئمة الأعلام الحفاظ .توفي سنة (٢١١ هـ).

يُنظر : التاريخ الكبير (١٣٠/٦)، و ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣٤٢/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٩).

(٣) محمد بن إسماعيل بن المغيرة ، أبو عبد الله الجعفي البخاري ،ولد سنة (١٩٤ هـ). صاحب صحيح البخاري والتصانيف. روى عنه الترمذي والنسائي ، وكتابه أجل كتب الإسلام في الحديث و أفضلها. وتوفي سنة (٢٥٦ هـ).

يُنظر : تهذيب التهذيب (٤١/٩)، وطبقات الحفاظ (٢٥٢/١).

(٤) عبد بن حميد بن نصر الكشي ، أبو محمد الحافظ .كان ممن جمع وصنف .روى عن علي بن عاصم ومحمد بن بشر العبدي وعبد الرزاق وخلائق، وعنه مسلم والترمذي وابن خزيم الشاشي وعمر البجيري.توفي سنة (٢٩٤ هـ).

يُنظر : الثقات (٤٠١/٨) ،و الكاشف (٦٧٦/١)،وطبقات الحفاظ (٢٣٨/١).

(٥) التسهيل (١٠/١).

المبحث الثالث : منهج ابن جُزيّ في كتابه

بين ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى– في مقدمته منهجه الذي سار عليه في كتابه ، لِيُسهل للقارئ نيل ثمرته وخلاصة فكرة ، ونستطيع أن نجمل منهجه في تفسيره كالآتي :

- ♦ رتبَّ ابن جُزيّ تفسيره حسب ترتيب المصحف الشريف مبتدأً بسورة الفاتحة إلى سورة الناس.
- ♦ سار ابن جُزيّ في تفسيره على تجزئة الآيات مفسرا لأهم الجمل فيها تاركا الواضح منها دون تفسير ، و لم يفسر جميع الآيات في السورة.
- ♦ بنى كتابه على قراءة نافع .
- ♦ السِّمة البارزة لكتاب التسهيل الميل إلى الاختصار والإيجاز إذ يعد ذلك من مقاصد تأليفه.
- ♦ ليس لابن جُزيّ منهج مطّرد في ترتيب المادة التفسيرية التي يعرض فيها الآية ، فتارة يقدم القول الراجح ، وتارة العكس ، وتارة يقدم سبب النزول ،وتارة يقدم المعنى العام .
- ♦ اهتم ابن جُزيّ باللغة والإعراب ، أما الشواهد الشعرية فلا تكاد تذكر .
- ♦ اعتنى ابن جزي بالتفسير بالمأثور ، فإنه إذا صح عنه لا يتعداه إلى غيره .
- ♦ لا يعزو ابن جُزي في الغالب الأحاديث التي يذكرها ، ولا يحكم عليها .
- ♦ لا يذكر مرجعه عند ذكره لأقوال العلماء .
- ♦ يهتم كثيرا بالتفسير المنقول عن ابن عباس – رضي الله عنه – .
- ♦ يذكر ابن جُزيّ أقوال التابعين دون التصريح بأسمائهم .
- ♦ أكثر من النقل عن ابن عطية و الزمخشري .
- ♦ اقتصر في كتابه من القصص على ما يتوقف التفسير عليه.
- ♦ جعل مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن.
- ♦ تكلم عن اثنا عشر مقاما من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.
- ♦ ذكر من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل أو ما يفيد في فهم المعنى.

فتلك مجمل الأصول والسمات التي سار عليها ابن جُزيّ في تفسيره وكان لها الأثر في تميزه وجودة منهجه ومن ثَّم قوة ترجيحه .

❁ ❁ ❁ ❁

الفصل الثاني

منهج ابن جزي في الترجيح في تفسيره

وفيه تمهيد ، ومبحثان :

التمهيد : تعريف الترجيح وموجبه عند ابن جُزيّ

المبحث الأول : صيغ الترجيح عند ابن جُزيّ

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ



تمهيد

تعريف الترجيح

لغة : مصدر رَجَّح يُرَجِّ ، يقال : رجح الراجح الوازن و رجح الشيء بيده رزنه ونظر ما ثقله و أرجح الميزان أي أثقله حتى مال [١].

قال ابن فارس [٢]:«رجح الراء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة وزيادة يقال رجح الشيء وهو راجح إذا رزن» [٣].

واصطلاحاً : عُرف عند الأصوليين بعدة تعريفات منها :

«وفاء أحد الظنين على الآخر» [٤]

وقيل : « تَقْوِيَةُ إحْدَى الْإِمَارَتَيْنِ على الْأُخْرَى بِمَا ليس ظَاهِرًا مَأْخُوذٌ من رُجْحَانِ الْمِيزَانِ» [٥].

وقيل : « الترجيح إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر» [٦].

والمراد به في التفسير : « تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه ، أو لتضعيف أو ردِّ ما سواه» [٧].

موجبات الترجيح

إن الخلاف في الأقوال من الأمور التي وقعت للسلف ؛ بحسب اجتهادهم وفهمهم و أكثر اختلافهم من باب اختلاف التنوع .

---

(١) لسان العرب (٢/٤٤٥).

(٢)أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين . وُلد سنة (٣٢٩ هـ) .من أئمة اللغة والأدب من مؤلفاته (مقاييس اللغة والمجمل ،و الصاحبي ، وجامع التأويل). تُوفي سنة (٣٩٥ هـ).
يُنظر : الأعلام (١ / ١٩٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٨٩).

(٤) قاله ابن العربي في المحصول (١/١٤٩).

(٥) قاله الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه (٤/٤٢٥).

(٦) قاله الجرجاني في التعريفات (١ / ٧٨).

(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [(١)]– رحمه الله – : « الخلاف بين السلف في التفسير قليل وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد» [(٢)].

وعلى هذا الاختلاف تباينت أقوال المفسرين من بعدهم ، والوصول إلى القول الصواب في الآية بغية كل مفسر ؛ لفهم القرآن على ما أراد الله تعالى .

ويظهر الترجيح بين الأقوال التي وقع الخلاف فيها بين المفسرين ، وأمَّا ما اتفقوا في بيانه لا يعدُّ خلافا إذ الواجب إتباعه ، **ثم أن هذا الخلاف لا يخلو من أحد أربعة أمور** [(٣)]:

١. إمَّا أن تكون جميع الأقوال محتَمَلة في الآية ، وبقوة الاحتمال نفسها ، أو قريباً منه ومن نصوص الكتاب والسنة ما يشهد لكل واحد منها . "فمثل هذه الأقوال صحيحة و يستقيم حمل الآية على جميع الأقوال".
٢. و إمَّا أن تكون الأقوال متعارضة مع بعضها يتعذر حمل الآية عليها جميعاً ." وهو اختلاف التضاد "[(٤)] وهما : القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً ، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر[(٥)].
٣. وإمَّا أن تكون الأقوال ليست متعا رضة مع بعضها ، وإنما يكون بعضها معارضاً لدلالة آيات قرآنية ، أو لنصوص صحيحة من السنة ، أو لإجماع الأمة.
٤. و إمَّا أن تكون الأقوال المختلفة في الآية ليس بينها تعارض لا مع بعضها و لا مع آيات أو أحاديث أو إجماع – وهي محتملة ، غير أن بعضها أولى من بعض .

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد ا لسلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام.وُلد في حران سنة (٦٦١ هـــ) كان كثير البحث في فنون الحكمة، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان / من كتبه (السياسة الشرعية، والفتاوى، و الإيمان ،و الجمع بين النقل والعقل) . تُوفي سنة (٧٢٨ هـــ).
المقصد الأرشد (١٣٢/١) ، وطبقات الحفاظ (٥٢٠/١) ، و الأعلام (١ / ١٤٤).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣٣/١٣).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٤٢).

(٤) ومثال ذلك اختلاف المفسرين من السلف ، ومن بعدهم في المراد " بالقرء " في قوله تعالى :﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ اختلفوا على قولين : الأول : أن المراد بها الأطهار .و الثاني : يراد بها الحِيَض .
وهذا من اختلاف التضاد إذ لا يمكن الجمع بين القولين ، فالمرأة مطلوب منها أن تتربص ثلاثة أطهار ، أو ثلاث حِيَض ، ولا يُطلب منها أن تتربص بهما جميعاً .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٥٩).

وهذه الاحتمالات الثلاث الأخيرة عليها مدار الترجيح ، ومَحلُّه.

ونجد ابن جزيّ بين منهجه الذي توخاه لنفسه وكيف تعامل مع هذا الاختلاف فقال : « واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

الأول : اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى ، فهذا عده كثير من المؤلفين خلافا ، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولا واحدا وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين أو بما يقرب منها أو بما يجمع معانيها.

الثاني : اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ،وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ،وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه ،فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف ؛لأن كل قول منها مثال ،وليس بكل المراد ولم نعده نحن خلافا بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث : اختلاف المعنى فهذا هو الذي عددناه خلافا ورجحنا فيه بين أقوال الناس» [(1)].

فموجب الترجيح عنده ما تعددت فيه الأقوال نظرا لتعدد المعاني ، فعمد إلى التصحيح والتضعيف من خلال وجوه الترجيح التي ذكرها في مقدمته إذا كانت الأقوال غير محتملة في تفسير الآية .

❁ ❁ ❁ ❁

(١)التسهيل (١/ ٦ -٧).

المبحث الأول : صيغ الترجيح عند ابن جُزي

يعدُّ ابن جُزي من العلماء اللذين اعتنوا بالترجيح بين الأقوال ، إذ جعل ذلك من مقاصد تأليفه لكتابه . وقرر منهجه في ترجيح الأقوال بقوله : «الفائدة الرابعة تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح وذلك أن أقوال الناس على مراتب فمنها الصحيح الذي يعول عليه ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ومنها ما يحتمل الصحة والفساد ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة وكل قول» [1]

صيغ الترجيح :

أولًا : ذكر القول دون حكايته عن أحد والسكوت عما عداه من الأقوال .

نصَّ ابن جزي على ذلك بقوله : «وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسي أو مما أختاره من كلام غيري» [2].

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾[3]

« الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه» [4].

ثانيًا : التصريح باسم قائل القول يعتبر ترجيحا لهذا القول إذا كان قائله ممن يقتدى به .

قرر ذلك ابن جزي بقوله : «وأما إذا صرحت باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين إما للخروج عن عهدته وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدي به » [5].

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ [6]«واختلف كم بقي فرضا فقالت عائشة عاما»[7].

(١)التسهيل(٣/١).
(٢) المرجع السابق.
(٣) سورة المعارج:١٩ .
(٤) التسهيل(١٤٧/٤).
(٥)التسهيل (٣/١).
(٦) سورة المزمل : ١ .
(٧) التسهيل (١٥٦/٤).

ثالثًا : ذكر القول الراجح بصيغة الجزم وتقديمه وذكر القول المرجوح بصيغة التضعيف

وهذه الطريقة واضحة الدلالة في تقديم القول الراجح بصيغة الجزم على المرجوح الذي ورد بصيغة الضعيف ؛ إلا أنها ليست في قوة التنصيص بالقول الراجح ، ولكن ابن جزي عدها من صيغ الترجيح عنده بقوله : « ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه قيل كذا »[1] ، فإذا ذكر في الأقوال في تفسير الآية و لم ينص على ترجيح أحدها فإن المتقدم منها هو الراجح عنده.

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾[2]«يعني جهنم ، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقق ، وقيل : أراد عرضهم على النار ،وعبر عنه بالإدخال»[3].

رابعًا : ذكر قولين أو أكثر وتقديم أحدهما بالذكر ترجيحا للمتقدم منهما .

قال ابن جزي : « ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه قيل كذا قصدا للخروج من عهدته[4].

ومعنى ذلك إذا ذكر عدة أقوال ، و لم ينص على أحدها بالترجيح ، وكانت جميعها متساوية في سياق كلامه ، فإن المتقدم منها هو الراجح عنده ، وهو معنى قوله :" إشعارا " والإشعار معناه الإعلام»[5].

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[6]« اختلف في هذا اليوم على قولين أحدهما : أنه يوم القيامة،والآخر: أنه في الدنيا. والصحيح أنه يوم القيامة؛ لقول رسول الله – ﷺ – في حديث مانع الزكاة: ((ما من صاحب ذهب،ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه،وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد))[7] يعني يوم

---

(١) التسهيل (٣/١).

(٢) سورة نوح : ٢٦ .

(٣) التسهيل (١٥١/٤).

(٤)التسهيل(٣/١).

(٥) لسان العرب (٤١٠/٤).

(٦) سورة المعارج : ٤ .

(٧) لفظ الحديث من رواية أبي هريرة مرفوعاً ((ما من صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي منها حَقَّهَا إلا إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحُ من نَارٍ فَأُحْمِيَ عليها في نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بها جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ له في يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ)). أخرجه مسلم في " صحيحه "، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٦٨٠/٢) ح (٩٨٧).

القيامة»[١]

خامسًا : التنصيص على تحسين قول وتفضيله على غيره :

إذ كان أحد الأقوال أرجح أو أظهر أو أقوى من غيره قُدم عليها ،وهو ما يسميه العلماء تقديم الأولى .

قال ابن جُزي : «ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر» [٢].

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى : ﴿رَّبِّ إغْفِرْ لِے وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ﴾ [٣]« قيل بيته المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة » [٤].

سادسًا الحكم على القول بباطل أو خطأ أو ضعيف أو بعيد ترجيحا للقول الآخر .

يراد بهذه الطريقة حصر القول الراجح وقبوله ورد المرجوح بالحكم عليه .

قال ابن جزي : « ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد» [٥] .

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [٦]« من هنا هنا للتبعيض أي : يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا ؛لأ ن الإسلام يجب ما قبله ، و لم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم لأن ؛ ذلك في مشيئة الله تعالى . وقيل : إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن ؛ من لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب . وقيل: هي لبيان الجنس. وقيل: لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان في المعنى ، والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه» [٧]

هذه غالب الصيغ الصريحة وغير الصريحة التي استخدمها ابن جزي في ترجيحه بين الأقوال .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) التسهيل (١٤٦/٤).
(٢) التسهيل (٣/١).
(٣) سورة نوح : ٣٠ .
(٤) التسهيل (١٥٢/٤).
(٥)التسهيل (٣/١).
(٦) سورة نوح : ٥ .
(٧)التسهيل (١٤٩/٤).

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ

أولًا : الترجيح بالنظائر القرآنية

إن تفسير القرآن بالقرآن يعدُّ من أهمِّ وجوه التفسير والترجيح التي اعتمدها المفسرون سلفا وخلفا .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فإن قال قائل : فما أحسنَ طرقِ التفسير؟ فالجواب: إنَّ أصحّ الطّرقِ في ذلك أن يفُسرَّ القرآن بالقرآن ،فما أُجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضعٍ آخر» [1].
وقرر ذلك ابن جُزي بقوله في وجوه الترجيح : «تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال» [2].
ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [3]قال: «
« والروح هنا جبريل _ عليه السلام _ بدليل قوله :﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾[4]. قيل: الروح ملائكة حفظة على الملائكة ، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل ، وقيل: الروح جنس أرواح الناس وغيره م »[5].

ثانياً : الترجيح بالحديث النبوي

إن أعلم الخلق بمراد الله تعالى رسوله – ﷺ – ، فإذا ثبت الحديث الصحيح وكان في تفسير الآية ولا معارض له وجب المصير إليه وحمل الآية عليه .
قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « فقد تبيَّن ببيان الله – جل ذكره – أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه ، وندبه وإرشاده وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه، وحدوده ،ومبالغ فرائضه ،ومقادير

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٣/١٣).
(٢) التسهيل (٩/١).
(٣) سورة المعارج : ٤ .
(٤)سورة الشعراء:١٩٣ .
(٥) التسهيل (١٤٦/٤).

اللازم بعض خلقه لبعض ،وما أشبه ذلك من أحكام آية التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله لأمته وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالةً أمته على تأويله » [1].

وقرر ذلك ابن جزي – رحمه الله تعالى – في مقدمته بقوله : «حديث النبي –ﷺ – ، فإذا ورد عنه – عليه السلام – تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح» [2].

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير قول الله عز وجل :﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ اِلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَاباً رَّصَداً ﴾[3]. « والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية قالوا كنا نقول ولد ملك أو مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع» [4].

ثالثاً : الترجيح بدلالة قول الجمهور

من القواعد المعتبرة عند الاختلاف النظر في قول الجمهور « فإذا انفرد مفسر في تفسير آية من كتاب الله تعالى بقول خالف فيه عامّة المفسرين و لم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية فهو قول شاذ وقول الجماعة أولى بالصواب » [5].

قال الشيخ الشنقيطي [6] – رحمه الله تعالى – : «وقد تقرر في الأصول أن كثرة الرواة من المرجحات وكذلك كثرةُ الأدلةِ. كما عقده في مراقي السعود في مبحث الترجيح باعتبار حال المروي بقوله الرجز:

---

(١) جامع البيان (١ / ١٩٥) .

(٢)التسهيل (١/٩).

(٣) سورة الجن : ٩ .

(٤) التسهيل (١٥٣/٤).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢٨٨).

(٦) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي . وُلد سنة (١٣١١هـ). مفسر من علماء شنقيط ، استقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض ، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة له كتب ، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن ، و منع جواز المجاز ، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، و دفع إيهام الاضطراب عن آي ا لكتاب) تُوفي بمكة سنة (١٣٩٣ هـ). الأعلام (٦ / ٤٥).

وكثرةُ الدَّليل والرّوايةِ مرجّحٌ لدى ذوي الدِّرايةِ

والقول بعدم الترجيح بالكثرة ضعيف» [1].

وقد قرر ابن جُزيّ ذلك بقوله : «أن يكون القولُ قولَ الجمهور وأكثر المفسرين ؛فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه » [2].

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾[3]« نداء للنبي - ﷺ - ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي وفي تسمية النبي - ﷺ - بالمزمل ثلاثة أقوال: أحدها : أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور» [4].

رابعاً : الترجيح بقول من يُقتدى بهم من السلف

المراد بالسلف في اللغة : قال ابن فارس — رحمه الله - : «سلف السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق من ذلك السلف الذين مضوا والقوم السلاف المتقدمون» [5].

واصطلاحاً : المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف [6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : «وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام ،والعلم الصحيح ،والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة

(١) أضواء البيان (١٦٦/١).

(٢) التسهيل (٩/١).

(٣) سورة المزمل :١ .

(٤) التسهيل (١٥٦/٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٩٥/٣).

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الف رقة المرضية (١ / ٢٠) ، و قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره (٣٠٨) .

الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين» [1].

إنَّ الأخذ بقول الصحابي الذي شاهد التتريل وتشرّف بصحبةِ خيرِ العالمين له ميزانهُ وثقلهُ عند أهل العلم ؛لأن« أقوالهم في التَّفْسِيرِ أصوب من أقوال من بَعْدَهُمْ » [2].

ويأتي بعد أقوال الصحابة في فهم كتاب الله تعالى النظر في أقوال التابعين فقد رجع كثير من المفسرين أمثال الطبري ، والبغوي [3] ، وابن كثير[4]، وغيرهم إلى أقوالهم ؛ لأنهم عاصروا الصحابة و أخذوا عنهم ، و لاستقامة ألسنتهم وفهمهم بأسرار العربية . فأقولهم أقرب إلى الصواب من غيرهم ، ويكفي في الشهود بقدرهم أنهم من القرون المفضلة بعد الصحابة ؛ لقول النبي – ﷺ –: ((خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[5].

قال ابن تيمية – رحمه الله – : « إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين » [6].

وقال ابن جُزي – رحمه الله تعالى – في تقرير ذلك : « أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» [7].

---

(١)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٦٤/١٣).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٥٣/٤).

(٣) الحسين بن مسعود بن الفرّاء البغوي، أبو محمد، ولد سنة (٤٣٦ هـــ)، وهو العلامة القدوة الحافظ، محيي السنة، صاحب القدم الراسخة في الفقه، والتفسير والحديث. من كتبه (التهذيب في فقه الشافعية، و شرح السنة ، و لباب التأويل في معالم التتريل) . توفي سنة (٥١٥ هـــ).

يُنظر : سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)، و الوافي بالوفيات (٤١/١٣)، و طبقات الحفاظ (٤٥٧/١) ، والأعلام (٢ / ٢٥٩).

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي، أبو الفداء . ولد سنة (٧٠١ هـــ)، وكان حافظاً، مفسًرا، مؤرخاً، فقيهاً.من مؤلفاته ((البداية والنهاية ، وشرح صحيح البخاري ، وطبقات الفقهاء الشافعيين ، وتفسير القرآن الكريم) توفي سنة(٧٧٤ هـــ) .

يُنظر : ذيل تذكرة الحفاظ (٥ / ٣٦)، طبقات الحفاظ (٥٣٤/١) ، والأعلام (١ / ٣٢٠).

(٥) لفظ الحديث (خَيْرُ الناس قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ قال إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا على الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ).

أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، بَاب فَضَائِلِ أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وَمَنْ صَحِبَ النبي صلى الله عليه وسلم أو رَآهُ من الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ من أَصْحَابِهِ (١٣٣٥/٣) ح (٣٤٥١).

وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، بَاب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (١٩٦٣/٤) ح (٢٥٣٣) بمثله

(٦)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٦٨/١٣ – ٣٦٩).

(٧) التسهيل (٩/١).

مثال ذلك : قال ابن جُزي عند تفسير قول الله تعالى:﴿ قَمْطَرِيرا ﴾ [1] «قال ابن عباس معناه طويل»[2].

ومن خلال دراسة الأقوال وجدت أن ابن جُزي وافق في قوله ما روي عن الصحابة والتابعين إلا أنه لا يصرح بذكر أسمائهم غالباً ومن أمثلة ذلك : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[3].

قوله في معنى الأطوار قال : «أي: طورا بعد طور ؛ يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله » [4]. وهذا قول ابن عباس [5] – رضي الله عنه – ، وقال به مجاهد [6]، وعكرمة [7] ، والضحاك والضحاك [8] وقتادة [9]، و السُّدِي [10]،ومطر[11] [12] ،وابن زيد[13]– رحمهم الله– .

خامساً : • الترجيح بدلالة اللغة أو الإعراب أو التصريف أو الاشتقق

من الطرق التي سار عليها المفسرون سلفا وخلفا الرجوع لمعنى الآية إلى كلام العرب ، فهم أهل الفصاحة والبيان ، وأنزل الله تعالى القرآن على نبيه بلسان قومه كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن

(١) سورة الإنسان : ١٠

(٢) التسهيل(٤/١٦٨).

(٣) سورة نوح : ١٤ .

(٤) التسهيل (٤ / ٢٧٩).

(٥) أخرجه الطبري عنه : جامع البيان ٩٥/٢٩. ولفظه يقول : (نطفة ثم علقة ثم مضغة) .

(٦) أخرجه الصنعاني عنه في تفسيره (٣١٩/٣) ، ولفظه قال : (العلقة ثم المضغة ثم الشيء بعد الشيء) ، وأخرجه الطبري بسنده عنه بنحوه : جامع البيان(٩٦/٢٩).

(٧) تفسير القرآن العظيم(٤٢٦/٤).

(٨) أخرجه الطبري عنه : جامع البيان(٩٦/٢٩) ، ولفظه يقول : (من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة) .

(٩) أخرجه الطبري عنه : جامع البيان ٩٦/٢٩ ، ولفظه قال : (نطفة ثم علقة ثم خلقا طورا بعد طور).

(١٠) تفسير القرآن العظيم ٤٢٦/٤

(١١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عنه : الدر المنثور (٢٩١/٨) ، ولفظه قال : (نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما طورا بعد طور وخلقا بعد خلق) .

(١٢) مطر بن طهمان الوراق أبو رجاء الخراساني سكن البصرة روى عن الحسن سئل أبو زرعة عن مطر الوراق فقال: صالح – كأنه لين أمره.

يُنظر : التاريخ الكبير (٤٠٠/٧)، والجرح والتعديل (٢٨٧/٨).

(١٣)أخرجه الطبري عنه : جامع البيان(٩٦/٢٩) ، ولفظه قال : (طورا النطفة ثم طورا أمشاجا حين يمشج النطفة الدم ثم يغلب الدم على النطفة فتكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكسي العظام لحما).

رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] ، وقال تعالى :﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2]؛ لذا كان لزاما على من من يفسر كلام الله تعالى أن يكون ملما باللغة العربية وعلومها على قدر يؤهله لتفسير كلام الله تعالى .
قال ابن عباس– رضي الله عنه – في أوجه تفسير القرآن : « وجه تعرفه العرب من كلامها [3] ، ومن ذلك قوله : كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ،فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها .يقول: أنا ابتدأتها » [4]

واعتمد ابن جزي الترجيح بدلالة اللغة في وجوه الترجيح عنده بقوله : « أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق» [5] .

وظهر ترجيحه بعدة طرق :

١. **الترجيح بناء على المعنى الذي تدل عليه لغة العرب .**

ومن ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[6] «معنى لواحة مغيرة يقال لوحة للسفر إذا غيره والبشر جمع بشرة وهي الجلدة ،فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها . وقيل لوّاحة من لاح إذا ظهر ، والبشر الناس أي تلوح للناس وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام» [7].

٢. **الترجيح بناء على الإعراب ، ومن ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى :**

﴿ إِلَّا قَلِيلاً ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾ [8]«في معنى هذا الكلام أربعة أقوال الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ أو من﴿قَلِيلًا﴾ وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو

(١) سورة إبراهيم:٤.
(٢) سورة الدخان:٥٨.
(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٧٥/١٣).
(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (١٥٩/٧).
(٥) التسهيل (٩/١).
(٦) سورة المدثر : ٢٩ .
(٧)التسهيل (١٦١/٤). (١٤٩/٤).
(٨) سورة المزمل : ٢ – ٣ .

ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه» [1].

٣. الترجيح بناء على التصريف و الاشتقاق .

معنى التصريف في اللغة : جاء في مادة " صرف" الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء من صرف. يقال صرفه يصرفه صرفا فانصرف [2].

وفي الاصطلاح : التصريف تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها وعلم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب [3].

والاشتقاق في اللغة : من " شق" و الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء ثم يحمل عليه ويشتق منه على معنى الاستعارة[4].

وفي الاصطلاح : الاشتقاق نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيبا ومغايرتهما صيغة[5]

قال الزركشي [6]: «وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشبعة عن معنى واحد فالعلم به أهم من من معرفة النحو فى تعرف اللغة ؛لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر» [7].

وقال ابن جُزي : «وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته ، فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان ،والنحو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب وهي أحكام الكلام المركب .

والآخر : التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها » [8].

ومثال ذلك قوله عند قول الله تعالى :﴿ إِنَّاسَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً ﴾[1] «أي : قال ذلك بعضهم

---

(١)التسهيل (١٥٦/٤).

(٢)مقاييس اللغة (٣٤٢/٣) ، ولسان العرب(١٨٩/٩).

(٣) التعريفات (٨٢/١).

(٤)مقاييس اللغة (١٧٠/٣).

(٥) التعاريف (٦٦/١).

(٦)محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين . وُلد سنة (٧٤٥ هـــ).عالم بفقه الشافعية والأصول. له مؤلفات كثيرة في عدة فنون منها (البحر المحيط ،وإعلام الساجد بأحكام المساجد ، والديباج في توضيح المنهاج).تُوفي سنة (٧٩٤ هـــ).
يُنظر : الدرر الكامنة (١٣٣/٥) ،وشذرات الذهب (٣٣٥/٦) ، والأعلام (٦ / ٦١).

(٧) البرهان في علوم القرآن (٢٩٧/١).

(٨)التسهيل (٨/١).

لبعض وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب» [٢].

سادساً : الترجيح بدلالة السياق

يعد الترجيح بدلالة السياق من أهم الطرق التي استخدمها المفسرون في الترجيح بين الأقوال لارتباط الكلام بما قبله ، وما بعده ؛ لأنه من « أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته» [٣].

قال مسلم بن يسار[٤]– ﷺ – : «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده» [٥].

وقال العز بن عبد السلام [٦]:«إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى» [٧].

تعريف السياق في اللغة :

قال ابن منظور [٨]: «السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدود الشيء يقال: ساقه يسوقه سوقا » [٩].

تعريف السياق اصطلاحاً :

مجموع القرائن اللفظية الحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه ولاحقه به

---

(١) سورة الجن : ١ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤).

(٣)بدائع الفوائد (٨١٥/٤).

(٤) مسلم بن يسار البصري ،أبو عبد الله ، تابعي ،ثقة ، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠٠ هـــ، وقيل ١٠١ هـــ).
يُنظر : تهذيب الكمال (٢٧ / ٥٥١)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٥١٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١ / ١٧)، وقواعد الترجيح (١ / ١٢٧).

(٦)عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن ، الشيخ الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء عز الد ين ،أبو محمد السلمي الدمشقي ،ثم المصري ولد سنة (٥٧٧ هـــ) جمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية واختلاف أقوال الناس ومآخذهم حتى قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد . توفي سنة (٦٦٠ هـــ)
يُنظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٠٩/٢)، و الأعلام (٤ / ٢١).

(٧) قواعد الترجيح (١ / ١٢٩).

(٨) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأ نصاري الرويفعى، وُلد سنة (٦٣٠ هـــ) ،الإمام اللغوي الحجة.
أشهر كتبه (لسان العرب ، ومختار الأغاني ، ونثار الأزهار في الليل والنهار) . تُوفي سنة (٧١١ هـــ).
يُنظر : بغية الوعاة (٢٤٨/١) ، والأعلام (٧ / ١٠٨).

(٩)مقاييس اللغة (١١٧/٣).

.[1]

ويقسم السّياق القرآني إلى : سِباق ، ولحاق .

فالسِّباق : يقال سبقه يسبقه ويسبقه تقدمه [2].

واللِّحاق هو : أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره. يقال : لحق فلان فلانا فهو لاحق وألحق بمعناه [3].

وعدَّ العلامة ابن جُزيّ – رحمه الله تعالى – هذا الوجه من وجوه الترجيح عنده حيث قال : «أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده» [4] ، **ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى** : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[5] « جمع خالدين على معنى من يعص لأنه في معنى الجمع والآية في الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم في النار والدليل على أنها في الكفار وجهان :

أحدهما : أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار» [6].

سابعاً: بتقديم الحقيقة على المجاز

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى ، فمنهم من يحملها على حقيقتها ، و منهم من يحملها على المجاز ، فيقدم قول من قال بالحقيقة على القول الآخر ؛ لأنه الأصل في الكلام[7].

---

(١) أثر السياق مع تطبيقات على كتاب البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري (٧٩).

(٢)مقاييس اللغة (١٢٩/٣) ،والقاموس المحيط (١١٥٢/١)،و الكليات (٥٠٨/١).

(٣)مقاييس اللغة (٢٣٨/٥).

(٤) التسهيل (٩/١)

(٥) سورة الجن : ٢٣ .

(٦) التسهيل (١٥٥/٤).

(٧) اختلف العلماء في وقوع المجاز ، فذهب أبو إسحاق الاسفرائيني إلى منع وجوده في اللغة ، وقال بمنعه في القرآن داود الظاهري ، وابنه محمد ، و شيخ الإسلام ابن تيمية ،وتبعه تلميذه ابن القيم ، والشنقيطي . وذهب آخرون إلى القول بالمجاز في اللغة ، والقرآن منهم الفرّاء وأبو عبيدة، وابن قتيبة ، وابن عطية)، وغيرهم .

والذي يظهر – والله أعلم بالصواب – أن محل الخلاف بين الطرفين في القرينة ، فلو حُررت لما حدث الخلاف ، فما من مجاز أعمل في الأسماء والصفات ، والأمور الغيبة إلا والقرينة فيه غير صحيحة ، فإذا حفظ هذا الجانب ، وكان في غيره من المعاني لا إشكال فيه –والله تعالى أعلم – .

يُنظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٢٧٧/١٢)، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١١٠٥/٣) منع جواز

ويراد بالحقيقة في اللغة : مأخوذ من قولهم حق إذا وجب .

قال ابن فارس في مادة " حق " : « الحاء والقاف أصل واحد وهو يدل على إحكام الشيء وصحته» [1]

واصطلاحا : الحقيقة اسم لكل لفظ هو موضوع في الأصل لشيء معلوم» [2].

ويُعرف المجاز لغة : « يقال :جوز جاز المكان وأجازه وجاوزه وتجاوزه إذا سار فيه وخلفه وحقيقته قطع» [3].

واصطلاحاً : «استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة بينهما مع قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي » [4].

وعرَّفه ابن جُزيّ بقوله : «المجاز وهو اللفظ المستعمل في غير مواضع له لعلاقة بينهما» [5]

قال الإمام ابن عبد البر[6] : «وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه - ﷺ - على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق ؛لأنه يقصُّ الحق ،وقوله الحق- تبارك وتعالى- » [7]

وقال ابن جُزيّ في وجوه الترجيح عنده : «تقديم الحقيقة على المجاز ،فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من ا لحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة» [8] .

ومثال ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى :**﴿ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيباً ﴾**[9]«لولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء ويجعل يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم ، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة. فقيل : إن

المجاز في المترل للتعبد والإعجاز (٨ ، وما بعدها) ، و المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع (١١٨ وما بعدها) .

(١) مقاييس اللغة (١٥/٢).

(٢) أصول السرخسي (١٧٠/١) ، وقواعد الفقه (٢٦٧/١).

(٣) لسان العرب (٣٢٦/٥) ، مقاييس اللغة (٤٩٤/١).

(٤) التلخيص في أصول الفقه (١٨٥/١)، وأصول السرخسي (١٧٠/١) ، و قواعد الترجيح (٢ / ٣٨٨).

(٥) التسهيل(١٣/١).

(٦) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر . وُلد بقرطبة سنة (٣٦٨هـ) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، يقال له حافظ المغرب. من كتبه " الدرر في اختصار المغازي والسير ،و العقل والعقلاء ، و الاستيعاب ، و جامع بيان العلم وفضله).

يُنظر : وفيات الأعيان (٦٦/٧) ، وطبقات الحفاظ (٤٣١/١) ، و الأعلام (٨ / ٢٤٠).

(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/٥)، قواعد الترجيح (٢ / ٣٩٢) .

(٨) التسهيل (٩/١).

(٩) سورة المزمل : ١٦ .

ذلك حقيقة. وقيل : إنه عبارة عن هول ذلك اليوم. وقيل: إنه عبارة عن طوله»[1].

ثامناً : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص

يعدُّ الترجيح بالعموم عند اختلاف الأقوال من الأدلة المعتبرة لأنه إذا أمكن حمل الآية على المعنى كلي يجمع كل الأقوال الأخرى يُحمل على العموم لأنه الأصل .

ويعرف العام بأنه : اللفظ الذي يستغرق الصالح له من غير حصر [2].

وللعموم صيغ متعددة وهي : كل " ، و " مَن " ، و " ما " ، و " جمع " ، و " عامة " ، و " كافة " و " أين " ، و " كيف " ، و " إذا " الشرطية ، والجمع المعرّف بلام الجنس ، أو المضاف إليها ، واسم الجنس المحلّى بلام الجنس ، أو بالإضافة ، والأسماء الموصولة ، والنكرة في سياق النفي ، أو النهي ، أو الشرط ، أو الاستفهام [3].

وقرر ابن جُزيّ القول بالعموم عنده حيث قال : « تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص» [4] .

ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[5] «قيل : معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك. واللفظ أعمُّ من ذلك »[6].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) التسهيل (١٥٨/٤).

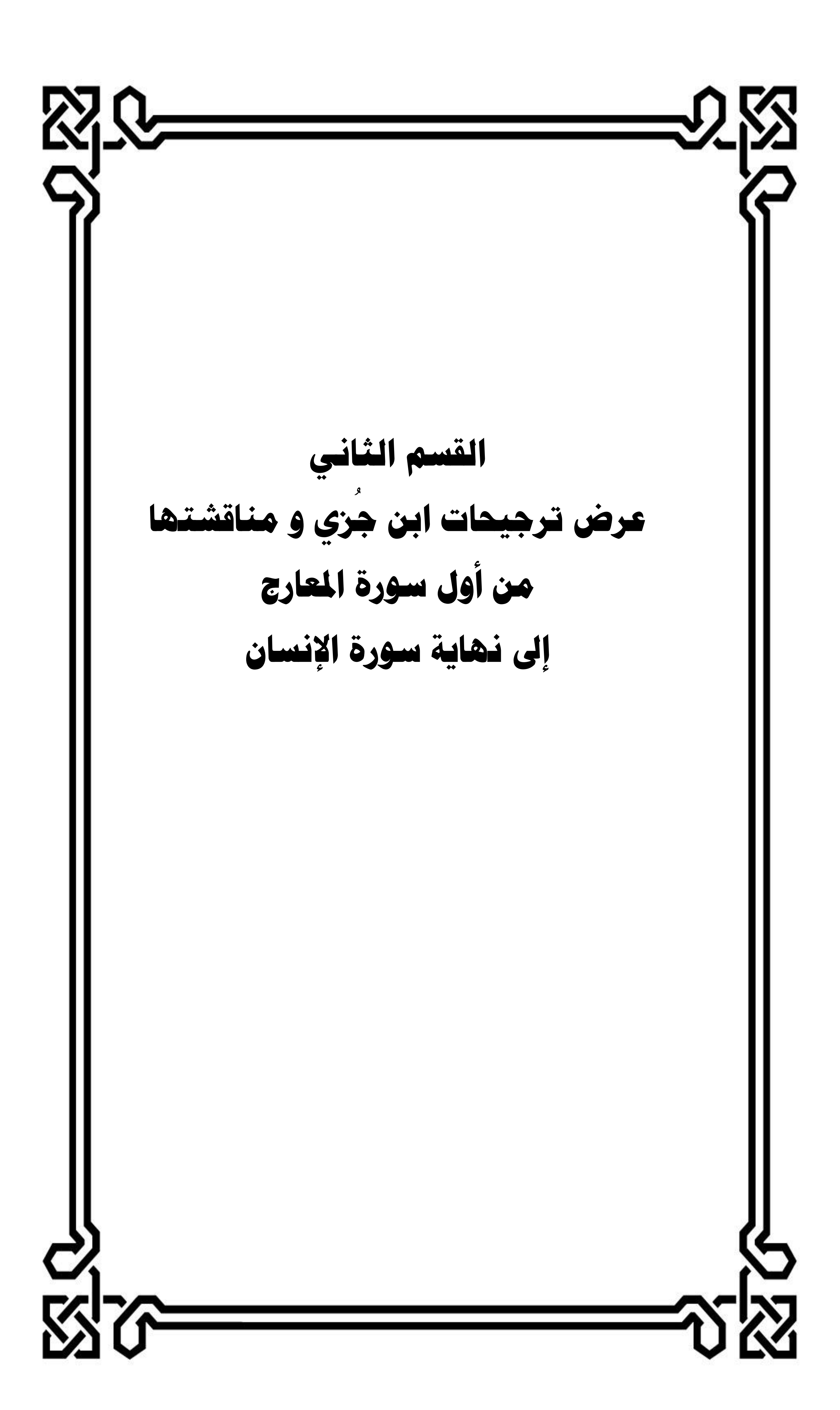
(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤١/٢).

(٣) يُنظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول (٢٠٦/١ - ٢١١) ، و الإتقان في علوم القرآن (٤١/٢).

(٤) التسهيل (٩/١).

(٥) سورة الإنسان: ٢٥.

(٦) لتسهيل (١٥٧/٤).



القسم الثاني

عرض ترجيحات ابن جُزي و مناقشتها

من أول سورة المعارج

إلى نهاية سورة الإنسان



أولًا: ترجيحات ابن جُزيّ في سورة المعارج

قول الله– ﷻ –:﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾[1].

مسألة (١): في معنى "المعارج ".

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المعارج هي المراقي إلى السماء.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾جمعُ مَعْرَج،وهو المصعد إلى علو كالسلَّم، والمدارج التي يرتقي بها.

قال ابن عطية: هي هنا مستعارةٌ في الفضائل والصفّاتِ الحميدة. وقيل: هي المراقي إلى السماء وهذا أظهر ؛لأنه فسرَّها بما بعدها من عروج الملائكة» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس[3]– رضي الله عنه –.

وقال به السمرقندي [4]، وابن أبي زمنين [5]،و الواحدي[6] و الزمخشري ، والبيضاوي [7] والنسفي [1]

---

(١) سورة المعارج:٣ .

(٢) التسهيل (٢٧١/٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عنه في "تفسير القرآن" (٣٣٧٣/١٠) ح (١٨٩٨٣)، ولفظه قال : (ذي الدرجات)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٧/٨) ونسبه للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مرد ويه بنحو لفظ ابن حاتم .

(٤) علي بن يحيى ، علاء الدين السمرقندي ثم القرماني ، مفسر من علماء الحنفية. اشتغل في بلاده بالعلم الشريف وبلغ من العلوم مرتبة الفضل، ثم سلك مسلك التصوف ونال من تلك الطريقة حظا جسيما له كتب، منها " تفسير القرآن وهو المسمى " بحر العلوم ". تُوفي سنة (٨٨٠ هــ).
يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٣٣٥/١) ، الأعلام (٥ / ٣٢).

(٥) محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، أبو عبد الله ، المعروف بابن أبي زمنين، ولد سنة (٣٢٤ هــ)، فقيه، ومفسر مالكي من الوعاظ الأدباء . من كتبه (أصول السنة ، و منتخب الأحكام ، و تفسير القرآن) . توفي سنة (٣٩٩ هــ).
يُنظر : سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧)، و طبقات المفسرين للأدنه وي (٩٣/١) ، والأعلام (٦ / ٢٢٧).

(٦) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري ، أبو الحسن، الشافعي، صاحب التفسير وإمام علماء التأويل، كان طويل الباع في العربية واللغات. من كتبه (البسيط ، و الوسيط ، و الوجيز ، و أسباب النزول) .توفي سنة (٤٦٨ هــ)
يُنظر : سير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٨- ٣٤٢)،و طبقات المفسرين للأدنه وي (٧٨/١) ، والأعلام (٤/ ٢٢٥).

(٧) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو سعيد قاض فقيه، أصولي مفسر، من كتبه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طوالع الأنوار، و

والنسفي [1][2]، و وافقهم جلالُ الدين المحلِّيُّ [3]، وقدَّمه الشوكانيّ[4] و الألوسي[5] ، واقتصر عليه القاسمي [6] وابن عاشور [7][8]- رحمهم الله-.

قال ابن أبي زمنين : « ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي المراقي إلى السماء» [9].

وقال البيضاوي : «﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب العمل الصالح ،أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم ،أو في دار ثوابهم ،أو مراتب الملائكة أو في السموات، فإنّ

منهاج الوصول إلى علم الأصول) توفي سنة (٦٨٥ هـــ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٥٤/١)، وطبقات الشافعية (١٧٢/٢) ،و بغية الوعاة (٢ / ٥٠)، والأعلام (٤ / ١١٠).

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات فقيه، حنفي، مفسر كبير، لم مؤلفات جليلة منها (كتر الدقائق ، والمنار و كشف الأسرار) .توفي سنة (٧١٠ هـــ)

يُنظر : الدرر الكامنة (١٧/٣)، والأعلام (٤ / ٦٧) .

(٢) بحر العلوم (٤٧١/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٤/٥)،والوسيط (٤ / ٣٥١)، و الكشاف (٦١١/٤)،وأنوار التتريل (٣٨٦/٥)، ومدارك التتريل (٢ / ٢٩٠).

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، ولد في القاهرة سنة (٧٩١ هـــ) . كان علّامة في الذكاء والفهم وكان غرّ ة عصره في سلوك طريق السلف على قدم من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .من مؤلفاته (كتر الراغبين في شرح المنهاج في فقه الشافعية. ، و البدر الطالع، في حل جمع الجوامع في أصول الفقه، و شرح الورقات). توفي سنة (٨٦٤ هـــ).

يُنظر : الضوء اللامع لأهل القرن التسع (٣٩/٧)، وشذرات الذهب (٣٠٣/٧)، و الأعلام (٥ / ٣٣٣).

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أبو علي الصنعاني . ولد سنة (١١٣٧هـــ)، كان مفسراً فقيهاً مجتهدً من كبار علماء اليمن. من مؤلفاته (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، وإتحاف الأكابر) . توفي سنة (١٢٥٠ هـــ) .

يُنظر : البدر الطالع (٤٨٠/١)، الأعلام (٦ / ٢٩٨) .

(٥) محمود بن عبد الله الحسيني، أبو الفضل، ولد سنة (١٢١٧هـــ)، مفسر محدث أديب مجتهد من المجتهدين من أهل بغداد. من كتبه (روح المعاني ، و نشوة المدام في العود إلى دار السلام ، و غرائب الاغتراب).توفي سنة (١٢٧٠ هـــ)

يُنظر : الأعلام (٧ / ١٧٦) .

(٦) جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. ولد سنة (١٢٨٣ هـــ)،وكان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. من كتبه (دالائل التوحيد ، و الفتوى في الإسلام ، و إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق) توفي سنة (١٣٣٢ هـــ). يُنظر : الأعلام (٢ / ١٣٥) .

(٧) محمد بن الطاهر بن عاشور ، ولد سنة (١٢٩٦ هـــ) ، وكان رئيس المفتين المالكيين بتونس و شيخ جامع الزيتونة . من كتبه (مقاصد الشريعة الإسلامية و أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، و الوقف وآثاره في الإسلام) .

توفي سنة (١٣٩٣ هـــ) يُنظر : الأعلام (٦ / ١٧٤) .

(٨) تفسير الجلالين (٧٦٥/١) ،و فتح القدير (٢٨٨/٥) ، وروح المعاني (٥٦/٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٩٨٢) والتحرير والتنوير (١٥٦ / ١٢) .

(٩) تفسير القرآن العزيز (٣٤/٥).

الملائكة يعرجون فيها»[1].

القول الثاني : أنَّ معنى ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ : ذو العلو والدرجات والفواضل والنِّعم ، وهو قول ابن عباس [2] – ﷺ – .وقال به مجاهد[3] ، وقتادة [4]، واختارَه الإمامَ الطّبري ،وقال به مكي بن أبي أبي طالب، والمهدوي، وقدَّمه القرطبي ، واقتصر عليه السعدي [5]– رحمهم الله تعالى–.

قال الإمام الطبري: «﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ يعني : ذو العلو والدرجات والفواضل والنعم» [6].

وقال القرطبي : « ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: ذو العلو والدرجات الفواضل والنعم . قاله بن عباس وقتادة . فالمعارجُ مراتب إنعامه على الخلق» [7]

وهذا القول داخل في معنى القول الأول .

القول الثالث: أنَّ "المعارج" مستعارةٌ في الرُّتبِ والصفات الحميدة. ذكره ابن عطيةّ، وأبو حيان [8] والثعالبي [9]، ونسبوا هذا القول لابن عباس وقتادة [10].

---

(١)أنوار التنزيل (٥/٣٨٦).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٩/٧٠)، ولفظه (يقول : العلو والفواضل) ، وأخرج الطبري بسنده عنه قال : (﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي الدرجات).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٢٩/٧٠)، ولفظه قال :(معارج السماء) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٧٠) ، ولفظه قال:(﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي الفواضل والنعم).

(٥) جامع البيان (٢٩/٧٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٦٩٨) ، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ / ١٧٣)،و الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨١) ، وتيسير الكريم الرحمن (١/٨٨٥).

(٦) جامع البيان (٢٩/٧٠).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨١).

(٨) محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الج ياني، ولد في غرناطة سنة (٦٥٤ هــ)،وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة كان شيخ النحاة في عصره، والعلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد. من كتبه (منطق الخرس في لسان الفرس ، و تحفة الأريب في غريب القرآن، و منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) توفي سنة(٧٤٥ هــ).

يُنظر : معرفة القراء الكبار (٢/٧٢٣)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (١/٢٧٨)، وطبقات الشافعية (٣/٦٧) ، والأعلام (٧ / ١٥٢).

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، أبو زيد . ولد سنة(٧٨٦ هــ)، وكان مفسرا، فقيهاً، ورعاً عاملاً زاهداً ناصح لكتاب الله وسنة رسوله– ﷺ – . من كتبه (الأنوار في المعجزات النبوية، و روضة الأ نوار ونزهة الأخيار و جامع الأمهات في أحكام العبادات) . وتوفي سنة (٨٧٥ هــ) .

يُنظر : الضوء اللامع (٤ / ١٥٢)، والأعلام (٣ / ٣٣١)

(١٠) المحرر الوجيز (٥/٣٦٥)،والبحر المحيط(٨/٣٢٧)، والجواهر الحسان(٤/٣٣٨).

قال أبو حيان : « ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ المعارجُ لغةُ : الدرج ،وهنا استعارة .قال ابن عباس وقتادة : في الرتبِ والفواضل والصفات الحميدة »[1].

القول الرابع: أنّ ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ هي غرفٌ جعلها الله لأوليائه في الجنة.ذكره القرطبي [2] والشوكاني، والقنوجي [3][4]– رحمهم الله–.

الترجيح :

الراجح ــ والله تعالى أعلم بالصواب ــ أنَّ "المعارج" هي "المراقي ". وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن سياق الآية جاء بتفسير المعارج بعروج الملائكة ، والأصلُ في العروج الارتقاء [5].

قال ابن جُزيّ : « "عَرَجَ " يَعْرُجُ بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع : صعد وارتقى ومنه المعارج » [6] .

فهذا يدلُّ على أنّها مراقي ترتقي فيها الملائكة بأمر الله تعالى . ومن ذلك ما أخبر عنه– ﷺ – بقوله : ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وهو أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ[7])) وهذا القول موافق للقاعدة الترجيحية :(إدخال الكلام في معاني ما قبلَه وما بعده أولى

لم أجد في كتب التفسير نسبة هذا القول (مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة) لابن عباس وقتادة، ولعل هذا القول من كلام ابن عطية ونقله عنه أبي حيان والثعالبي، والله تعالى أعلم .

(١) البحر المحيط(٣٢٧/٨).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متبحر في العلم . من كتبه (قمع الحرص بالزهد والقناعة ، و الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، و التذكار في أفضل الأذكار). توفي سنة (٦٧١ هـــ).
يُنظر :طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٤٦/١)،و شذرات الذهب (٥/ ٣٣٥)، والأعلام (٥ / ٣٢٢).

(٣) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب . ولد في قنوج (بالهند)سنة (١٢٤٨هـــ) وهو من رجال النهضة الإسلامية المجددين .له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية و الهندسية.من كتبه (أبجد العلوم ، و فتح البيان في مقاصد القرآن ، وحصول المأمول من علم الأصول). وتوفي سنة(١٣٠٧ هـــ).
يُنظر : الأعلام (٦ / ١٦٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، وفتح القدير(٢٨٨/٥)،وفتح البيان (١٤ / ٣٠٨) .

(٥) مقاييس اللغة (٣٠٤/٤).

(٦)التسهيل (٢٤/١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ وَقَوْلِهِ عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ وَقَّتَهُ عليهم، باب فضلِ صلاة العصر (٢٠٣/١) ح (٥٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب فَضْلِ صَلَاتَيْ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا (٤٣٩/١) ح (٥٣٠).

من الخروج به عن ذلك) [(١)]. **ومما يؤيده** :

١. أنَّ المقصدَ من ذكر المعارج ومدى ارتفاعها إثباتُ العلوِّ المطلقِ لله تعالى ذاتاً وقدرًا وشرفاً والذي يدل على هذا قوله تعالى : (تعرج إليه) فعلوه – سبحانه وتعالى – من صفات المدح الملازمة لذاته، فليس له حيّز أو مكانٌ أو جهةٌ – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – [(٢)].

٢. أنَّ الأقوالَ الأخرى لا تسلمُ من المعارضة ، فقول ابن عطية : أنَّ المعارج مستعارةٌ في الرُّتب والصِّفات الحميدة . صرفٌ للفظِ عن ظاهره ، ومن قال بأنَّها : الروح أو غرف في الجنة " يردّه السّياق لبيان العلو والعظمة على ما ذكرنا. والله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٥٢) .

(٢) ينظر : جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات (٢ /١٠٢٠)، وشرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة (٣٠٦) .

قول الله – ﷻ – :﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[1].في الآية ثلاث مسائل وهي :

❁ (٢)المسألة الأولى : في المراد بالرُّوح.

ترجِّيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " الروح " في هذا الموضع هو جبريل ـ عليه السلام ـ

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « والرُّوح هنا جبريل ـ عليه السلام ـ بدليل قوله :﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[2]. وقيل : الروح ملائكة حفظةٌ على الملائكة، وهذا ضعيفٌ مفتقِرٌ إلى صحة نقل. وقيل: الرُّ وح جنسُ أرواحِ الناس وغيرهم» [3].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للطبري، والسمرقندي ، والثعلبي، واقتصر عليه مكي بن أبي طالب ، والبغوي،وقدَّمه الزمخشري وابن عطية، والقرطبي، و أفرده بالذكر البيضاوي و وافقهم الخازن[4]، وأبو حيَّان ونسبه للجمهور،و قال به الشوكاني،والألوسي[5]–رحمهم الله–.

القول الثاني: أنَّ الرُّوح خلقٌ من خلقِ الله كهيئة الناس وليس بالناس، وهو قول أبو صالح [6]، و

---

(١) سورة المعارج:٤.

(٢)سورة الشعراء:١٩٣ .

(٣) التسهيل (١٤٦/٤).

(٤)علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن . وُلد سنة (٦٧٨ هـ) .عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. له تصانيف منها (لباب التأويل في معاني التنزيل ، وعدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، و مقبول المنقول). تُوفي سنة (٧٤١ هـ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٦٧/١) ، والأعلام(٥/٥).

(٥) جامع البيان (٧٠/٢٩)، وبحر العلوم (٤٧١/٣) ، والكشف والبيان(٣٦/١٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٦٩٨) ومعالم التنزيل(٣٩٢/٤)، والكشاف(٤/ ٦١٢)، والمحرر الوجيز(٣٦٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨) وأنوار التنزيل(٣٨٧/٥)، و لباب التأويل (٦ / ٢٧٥)، و البحر المحيط (٣٢٧/٨)، وفتح القدير (٢٨٨/٥)، و روح المعاني (٥٦/٢٩) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، وفتح القدير (٢٨٨/٥)، وروح المعاني (٥٦/٢٩).

ذكره السمّعاني [(١)]، والقرطبي،وابن كثير،وابن عادل[(٢)]، والشربيني[(٣)]،والشوكاني [(٤)]– رحمهم الله– .

القول الثالث: أنَّ " الرُّوح " هي: روح الميت حين تُقبض.أورده ابن الجوزي[(٥)]، والقرطبي وأبو حيان، وابن عادل، والشوكاني عن أبي قُبيصة [(٦)(٧)]– رحمهم الله جميعًا–.

واستُدل عليه بقول النبي– ﷺ – : « إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ . قَالَ: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا... » [(٨)].

---

(١) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي، أبو المظفر، ولد سنة (٤٢٦ هــ)، وحيد عصره في وقته فضلا وطريقة وزهدا وورعا من بيت العلم والزهد تفقه بأبيه وصار من فحول أهل النظر.من كتبه (القواطع في أصول الفقه و الانتصار لأصحاب الحديث ، والمنهاج لأهل السنة).توفي سنة (٤٨٩ هــ).
يُنظر :طبقات الشافعية (٢٧٣/١)، و طبقات المفسرين للأدنه وي (١٤٣/١).

(٢) عمر بن علي بن سراج الدين، أبو حفص الحنبلي عالم في التفسير، جَمَّاعةٌ له، توفي سنة (٨٨٠ هــ) وقيل بعدها بقليل .
يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٤١٨/١)، والأعلام (٥ / ٥٨) .

(٣) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة، له تصانيف. منها (السراج المنير و الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، و شرح شواهد القطر و مغني المحتاج) توفي سنة (٩٧٧ هــ) .
يُنظر : الأعلام (٦ / ٦) .

(٤) تفسير القرآن(٤٥/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، والقرآن العظيم (٤١٩/٤)، واللباب (١٩ / ٣٩٤)، و السراج المنير (٨ / ٩٤)، وفتح القدير (٢٨٨/٥).

(٥)عبد الرحمن بن علي البكري القرشي الحنبلي، جمال الدين أ بو الفرج الجوزي . ولد سنة (٥١٠ هــ)، وكان علامة السير والتاريخ، صاحب التصانيف المتنوعة،وبحر في التفسير، إلا أنه خاض في التأويل . من كتبه (تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، و الأذكياء وأخبارهم ، و مناقب عمر بن عبد العزيز) وفي سنة (٥٩٧ هــ).
يُنظر : وفيات الأعيان(١٤٠/٣)، شذرات الذهب (٣٢٩/٤) ، الإعلام (٣ / ٣١٣).

(٦) زاد المسير (٣٥٩/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٨)، والبحر المحيط ٣٢٧/٨، واللباب (١٩ / ٣٩٤)، وفتح القدير (٢٨٨/٥).

(٧) قبيصة بن جابر بن وهب الأ سدي الكوفي .تابعي من رجال الحديث، الفصحاء، الفقهاء. يعد في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة . روى عن زياد بن سمية وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وروى عنه عامر الشعبي وعبد الملك بن عمير وأبو حصين عثمان بن عاصم الأسدي توفي سنة (٦٩ هــ).
يُنظر : التاريخ الكبير (١٧٥/٧) ، و الثقات (٣١٨/٥) ، و تهذيب الكمال (٤٧٢/٢٣) .

(٨) لفظ الحديث من رواية أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– عَنِ النبي – ﷺ– أنه قال : ((إن الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلاَئِكَةُ فإذا كان الرَّجُلُ الصَّالِ حُ قالوا: اخرجي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كانت في الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخرجي حَمِيدَةً و أبشري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. قال: فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ ذلك حتى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بها إلى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لها. فَيُقَالُ من هذا ؟فَيُقَالُ :فُلاَنٌ فَيَقُولُونَ: مَرْحَباً بالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كانت في الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادخلي حَمِيدَةً و أبشري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. قال: فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ لها حتى ينتهي بها إلى السَّمَاءِ التي

الترجيح :

أولى الأقوالِ بالصوَّاب – والله تعالى أعلم – أنَّ المراد "بالرُّوح" في هذا الموضع جبريل– عليه السلام– وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ وجَمهرة المفسرين[1]؛ لورود تسميته– عليه السلام – بذلك في الكتاب العزيز في قول الله– تعالى-: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[3] .وهو موافق للقاعدة الترجيحية: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدمٌ على ما عدم ذلك)[4].**ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. ذكر جبريل – عليه السلام– تشريفاً وتعظيمًا، وهو من بابِ عطف الخاص على العام .أُخِّر هنا وقُدِّم في قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[5] للتهويل والتضخيم [6].

٢. أنَّ الأقوال الأخرى لا تسلم من الاعتراض .فالقول الثاني مفتقر لصحة الدليل، والقول الثالث: قد يحمل على قبض روح العبد المؤمن عند الوفاة، وسياق الآية يدل على عظم الخطب يوم القيامة.

٣. أنَّ هذا القول عليه جُلّ عبارات المفسرين . وهو من قواعد الترجيح عند ابن جُزي حيث قال : « أن يكون القول قول الجمهور ، وأكثر المفسرين ؛ فإنَّ كثرةَ القائلين بالقول يقتضي ترجيحه» [7]. و الله تعالى أعلم .

فيها الله –عز وجل– وإذا كان الرَّجُلُ السَّوْءُ قالوا: اخرجي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كانت في الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخرجي ذَمِيمَةً و أبشري بحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ من شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ .فَلاَ يَزَالُ حتى يخرج ثُمَّ يُعْرَجَ بها إلى السَّمَاءِ فَيُسْتَفتَحُ لها. فَيُقَالُ :من هذا فَيُقَالُ :فُلاَنٌ. فَيُقَالُ :لاَ مَرْحَباً بالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كانت في الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارجعي ذَمِيمَةً فإنه لاَ يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إلى الْقَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَيُقَال له مِثْلُ ما قِيلَ له في الحديث الأَوَّلِ وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السَّوْءُ فَيُقَالُ له مِثْلُ ما قِيلَ في الحديث الأَوَّلِ)).

أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٦٤) ح (٨٧٥٤) و أخرجه ابن ماجه بنحوه (١٤٢٣/٢) ح (٤٢٦٢)، والنسائي في "السنن الكبرى (٤٤٣/٦) ح (١١٤٤٢) .

قال الشيخ الألباني : صحيح . يُنظر : صحيح الجامع الصغير و زيادته (١ / ٣٩٦).

(١) المحرر الوجيز (٣٦٥/٥)، والبحر المحيط(٣٢٧/٨).

(٢) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤ .

(٣) سورة القدْر:٤ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح (١ /٣١٢)

(٥)سورة النبأ:٣٨ .

(٦) البحر المحيط (٣٢/٨). تفسير القرآن العظيم (٤١٩/٤)، واللباب (١٩ / ٣٩٤)، و السراج المنير (٨ / ٩٤).

(٧)التسهيل (١/ ٩).

❁ (٣)المسألة الثانية : المراد باليوم في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ اليوم في هذا الموضع هو يوم القيامة.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال:« اختلف في هذا اليوم على قولين أحدهما : أنه يوم القيامة،والآخر: أنه في الدنيا. والصحيح أنه يوم القيامة؛ لقول رسول الله - ﷺ - في حديث مانع الزكاة: ((ما من صاحب ذهب،ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه،وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد)) [١] يعني يوم القيامة»[٢].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان، وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول ابن عباس [٣] - رضي الله عنه - . وقال به عكرمة [٤] والضحَّاك [٥]، وقتادة [٦]، و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، والسمعاني، والزمخشري والقرطبي ،وابن عاشور[٧] رحمهم الله -.

قال الزمخشري: «وقد جعل ﴿فِي يَوْمٍ﴾ من صلة وَاقِعٍ ، أي : يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألفَ سنة من سنينكم ، وهو يوم القيامة ،إما أن يكون استطالةً له لشدّته على الكفار . وإما ؛لأنه على الحقيقة كذلك» [٨].

---

(١) سبق تخريجه في ص (٤٩).

(٢) التسهيل (١٤٦/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧١/٢٩)، ولفظه (فهذا يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة) ونسبه ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " لابن أبي حاتم ، وقال إسناده صحيح (٤٢٠/٤)، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٢٧٩/٨)، وعزاه لابن المنذر، والبيهقي بمثله.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧١/٢٩)،ولفظه قال : (يوم القيامة).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧١/٢٩)،ولفظه (يعني يوم القيامة) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧١/٢٩)، ولفظه (ذاكم يوم القيامة).ونسبه السيوطي لعبد بن حميد بنحوه . الدر المنثور (٢٨٠/٨).

(٧) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٣٤/٥)، وتفسير القرآن (٤٥/٦)، و الكشاف (٦١٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٢/١٨) والتحرير والتنوير (١٢ / ١٥٧).

(٨) الكشاف (٦١٢/٤).

القول الثاني: إطلاق اليوم هنا على أنَّه يوم من أيام الدنيا، أي : أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعده غيرهم قطعه في خمسين ألفَ سنةٍ [(١)]. وهو مروي عن مجاهد [(٢)] وقال به الطبري ، وقدّمه البغوي ، والبيضاوي [(٣)]– رحمهم الله– .

قال الطبري: «﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يقول: كان مقدارُ صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماوات السبع » [(٤)].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ المراد باليوم في الآية هو يوم القيامة ، وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه؛ لأخبار النبي – ﷺ – بعذاب مانع الزكاة يوم القيامة ، وأنَّ مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنة ، فجاء تخصيصه بحديث رسول الله – ﷺ – . و (إذا ثبت الحديث وكان نصًّا في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره) [(٥)]. **ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ يوم متعلق بما قبله وهو ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ، و قوله تعالى :﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ معترضة بين الظرف وعامله ، أي : سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؛ لأنّ السؤال الصادر من الكفار في قول الله تعالى :﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ إنما هو سؤال استهزاءٍ برسول الله وتكذيبًا له [(٦)].

قال مجاهد – رحمه الله – : «﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ أي : دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة ، قال : وهو

---

(١) زاد المسير (٣٦٠/٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧١/٢٩)، ولفظه قال : (منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات مقدار خمسين ألف سنة) .

(٣)جامع البيان (٧٠/٢٩)، ومعالم التنزيل(٣٩٣/٤)، و أنوار التنزيل(٣٨٧/٥).

(٤) جامع البيان(٧٠/٢٩).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٩١).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٧/٨) ، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال :(هو النضر بن الحارث. قال :﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾).

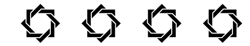
قولهم ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1] »[2].

٢. أنَّ هذا العروج واقع في يوم القيامة بخلاف عروج الأمر في سورة السجدة عند قول الله تعالى :

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[3]

أنه في الدنيا.وهو قول مجاهد[4]،والضّحاك [5]وقتادة [6] – رحمهم الله –

واختاره الإمام الطبري بقوله: « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في التزول وخمس مئة في الصعود لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التتريل» [7]. والله تعالى أعلم .



(١) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٢)جامع البيان (٦٩/٢٩).

(٣) سورة السجدة:٥ .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٩١/٢١)، ولفظه (في يوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة لأن ؛ ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٩١/٢١)، ولفظه قال : (تعرج الملائكة إلى السماء ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه وهو مسيرة ألف سنة).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٩١/٢١)، ولفظه (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم من أيامكم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا خمس مئة سنة نزوله وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة).

(٧) جامع البيان (٩٣/٢١).

(٤) المسألة الثالثة : هل مقدار اليوم على الحقيقة أم المجاز في قول الله تعالى ﴿:
تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أن مقدار اليوم خمسون ألفَ سنة حقيقة.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة ؟ وهذا هو الأظهر. أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال: يوم طويل إذا كان فيه مصائب،وهموم»[١].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جزي بأنَّ طول هذا اليوم بمقداره واقع للفصل الحساب بين العباد وهو قول ابن عباس – رضي الله عنه – ، وهذا المعنى أظهره ابن جُزيّ موافقاً لابن عطية والقرطبي و وافقهم أبو حيان وابن عاشور[٢] — رحمهم الله–.

قال ابن عطية: « وقال ابن عباس وغيره بل اليوم المشار إليه يوم القيامة ، ثم اختلفوا فقال بعضهم قدّره في الطول قدر خمسين ألفَ سنة وهذا هو ظاهر قول النبي– ﷺ– : ((ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له صفائح من نار يومَ القيامةِ تكْوى بها جبهتهُ وظهره وجنباه في يومٍ كان مقداره ألف سنة » [٣].

وحكى الرازي عن الحسن — رحمه الله – أنه قال: «وليس يعني أن مقدار طوله هذا فقط؛ إذ لو كان كذلك لحصلت له غاية، ولنفيت الجنة والنار عند انتهاء تلك الغاية ، وهذا غير جائز، بل المراد : أن موقفهم للحساب حين يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدُّنيا بعد ذلك يستقر أهل النار في النار، نعوذ بالله منها» [٤].

---

(١) ينظر : التسهيل (٤/١٤٦).

(٢) المحرر الوجيز (٥/٣٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٢٨٢)، و البحر المحيط (٨/٣٢٧) .

(٣)المحرر الوجيز (٥/٣٦٥).

(٤) التفسير الكبير (٣٠/١٠٩).

القول الثاني: أنَّ هذا المقدار على وجه التمثيل لبيان ارتفاع المعارج أو طول يوم القيامة . قال به البيضاوي،وأبو السعود [١] [٢]، وممن أورده الزمخشري ، وابن عطية، والرازي،و أبو حيان والشوكاني والألوسي [٣]- رحمهم الله- .

قال الشوكاني: «ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاعِ تلك المعارج وبعد مداها أو لطول يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر ويشبهون اليوم القصير بإبهام القطاة [٤]، والطويلَ بظلِّ الرُّمح ومنه قول الشاعر[٥]:

ويومٍ كظلِّ الرُّمحِ قصَّرَ طولَه دُم الزقِّ عنَّا واصطفافُ المزاهرِ»[٦]

الترجيح

القول الذي تميل إليه النفس - والله تعالى أعلم بالصواب- أنَّ مقدارَ اليومِ على حقيقته، وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه؛ لأنه ظاهر النصوص من الكتاب والسنة، والأولى الحمل عليها. **ومما يؤيده:**
أنَّ هذا المقدار إنما يكون في حق الكافر دون المؤمن، ومن ذلك ما رُوي عن رسول الله - ﷺ - أنه سُئل: يَوْماً كان مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ما أَطْوَلَ هذا الْيَوْمَ؟
فقال رسول اللَّهِ - ﷺ - : ((والذي نفسي بيده إنه لَيُخَفَّفُ على الْمُؤْمِنِ حتى يَكُونَ أَخَفَّ عليه من صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا في الدُّنْيَا))[٨]. و(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجحٌ له)

---

(١) أنوار التنزيل (٣٨٧/٥)، وإرشاد العقل السليم (٣٠/٩)

(٢)محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود . وُلد سنة (٨٩٨ هـ) مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. من كتبه (إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم ،وتحفة الطلاب ،ورسالة في المسح على الخفين). تُوفي سنة (٩٨٢ هـ).
يُنظر : شذرات الذهب (٣٩٨/٨) ،و الأعلام (٧ /٥٩).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٦٠)، والمحرر الوجيز (٣٦٥/٥)، والتفسير الكبير(١٠٩/٣٠)، والبحر المحيط (٣٢٧/٨)، وفتح القدير (٢٨٩/٥) وروح المعاني (٥٧/٢٩).

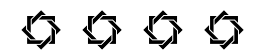
(٤) قطا يقطو ثقل مشيه .و القطا طائر معروف سمي بذلك ؛لثقل مشيه واحدته قطاة والجمع قطوات .
يُنظر : لسان العرب(١٨٩/١٥).

(٥) الشعر ليزيد بن الطثرية،الحماسة البصرية (٣٨٤/٢)، وجمهرة الأمثال(١٩/٢).

(٦) فتح القدير (٢٨٩/٥)

(٨) أخرجه أحمد في مسنده من طريق الحسن بن موسى ، عن أبي لهيعة ، عن دارج به (٧٥/٣) ح (١١٧٣٥)، وأبي يعلى في مسنده عن أبي سعيد الخدري به (٥٢٧/٢) ح (١٣٩٠).
إسناده ضعيف : درَّاج في روايته عن أبي الهيثم .

[1]. والله تعالى أعلم .



ولـه شاهد بمعناه أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعا : (يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يُهَوِّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ) (١٦/٣٢٨) ح (٧٣٣٣).
قال الشيخ الألباني : صحيح . يُنظر : الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٩٣).

(١) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

قول الله – ﷻ – : ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾[1].

❁ (٥) مسألة : في المراد بالمهل.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بالمهل في الآية هو: دردري الزيت[2].

مجمل ما ذكره في الآية:

قال:« والمهل هو دَرْدَرِيُّ الزيت ،شبّهالسماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة.

وقيل هو: ما أذيب من الفضة ونحوها ،شبه السماء به في تلونه »[3].

العرض و المناقشة:

في المسألة على أربعة أقوال:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول مجاهد[4]، و قال به ابن أبي زمنين والراغب الأصفهاني [5]، والرازي، و وافقهم ابن كثير، والمراغي[6]، وابن عاشور [7]– رحمهم الله تعالى .

قال ابن عاشور: « و المُهل: دُردِيّ الزيت. والمعنى: تشبيه السماء في انحلال أجزائها بالزيت وهذا كقوله﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ »[8].

وقد فسرّ ابن جُزي المهل بأنه دردري الزيت في موضع متقدم ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَإِن

---

(١) سورة المعارج:٨ .

(٢) دردي الزيت وغيره ما يبقى في أسفله . لسان العرب (١٦٦/٣).

(٣) لتسهيل(٢٧٢/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٤٠/١٥)، ولفظه قال : (القيح والدم الأسود كعكر الزيت) .

(٥) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب ، أديب، من الحكماء العلماء . من كتبه (محاضرات الأدباء ، و الذريعة إلى مكارم الشريعة ،و الأخلاق) ، توفي سنة (٥٠٢ هـ).
يُنظر : البلغة (٩١/١) ، والأعلام (٢ / ٢٥٥).

(٦)أحمد بن مصطفى المراغي مفسر مصري، من العلماء . تخرج بدار العلوم ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها . و عُين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم . تُوفي سنة (١٣٧١ هـ).
يُنظر : الأعلام (١ / ٢٥٨)

(٧) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥)، و المفردات في غريب القرآن (٤٧٦/١، والتفسير الكبير (١١١/٣٠)، وتفسير القرآن العظيم (٤٢١/٤)، وتفسير المراغي (١٠ / ١٩٥)، والتحرير والتنوير (١٢ / ١٥٩).

(٨) سورة الرحمن:٣٧.

يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾[1].
قال « وهو دُردِيّ الزيت إذا انتهى حرّه روي[2] ذلك عن النبي - ﷺ -» [3].

القول الثاني: أنَّ "المُهْل" ما ذابَ من الرصاص والنحاس والفضة. ذكره الزمخشري، وابن عطية وابن الجوزي، والقرطبي، والسعدي[4][5]- رحمهم الله -.

القول الرابع: أنَّ " المُهْل " هو القيح، والدم الأسود. ذكره ابن الجوزي ،والقرطبي والقنوجي والشوكاني [6]- رحمهم الله تعالى-.

الترجيح

القول الذي تطمئن إليه النفس - والله تعالى أعلم بالصواب- أنَّ "المهل" يجمع كلَّ المعاني المذكورة آنفا لأنَّ ما ورد عن السلف من الأقوال فهو تفسير للمعنى بألفاظ متقاربة ولا خلاف بين هذه الأقوال.
قال ابن فارس: «الميم والهاء واللام أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على تؤدةٍ ، والآخر جنسٌ من الذائبات» [7].

---

(١) سورة الكهف:٢٩.

(٢) لفظ الحديث عند الترمذي قال : (كَعَكَرِ الزَّيْتِ فإذا قَرَّبَهُ إلى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فيه).
أخرجه الترمذي في سننه،كتاب الصلاة، باب ما جاء في صفة شراب أهل الجنة، (٧٠٤/٤)،ح(٢٥٨١)، وفي كتاب التفسير، باب ومن سورة سأل سائل (٤٢٦/٥) ح(٣٣٢٢) . كلاهما عن رشدين بن سعد. قال الترمذي في الموضع الأول : هذا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث رِشْدِينَ بن سَعْدٍ وَرِشْدِينُ قد تُكُلِّمَ فيه وقال في الموضع الثاني :هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث رِشْدِينَ .قال الشيخ الألباني : ضعيف . ينظر : صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦ / ٨١).

(٣) التسهيل (١٨٧/٢).

(٤) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سِعدي، أبو عبد الله، ولد سنة (١٣٠٧ هــ) من قبيلة تميم، كان ذا معرفة تامة بالفقه والأصول والفروع، واشتغل بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم. توفي سنة (١٣٧٦ هــ).
يُنظر : مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ /٧- ٩) .و الأعلام (٣ / ٣٤٠) .

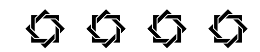
(٥) الكشاف (٦١٢/٤)، والمحرر الوجيز (٣٦٦/٥) وزاد المسير (١٣٥/٥)، و الجامع لأحكام القرآن (٢٨٤/١٨)، وتيسير الكريم الرحمن (٨٨٦/١) .

(٦) زاد المسير (١٣٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٤/١٨)، و فتح البيان (١٤ / ٣١٢)، وفتح القدير (٢٨٩/٥) .

(٧) مقاييس اللغة (٢٨٢/٥).

وقال الإمام الطّبري – رحمه الله تعالى – :« وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها فمتقاربات المعنى وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرة وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت فقد انتهى أيضا حرة» [1].

و يتأيد بالقاعدة التفسيرية : (إذا احتمل اللفظ معاني عدةً، و لم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها)[2].والله تعالى أعلم .



(١) جامع البيان ١٥/٢٤٠ .

(٢) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧) .

قول الله –ﷻ– :﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾[1].

❀ (٦) مسألة :في المراد بالعهن .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جُزيّ أنَّ العهن هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه.

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية:

قال : «العهن هو الصوّف شبّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه. وقيل: هو الصوّف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان؛لأن الجبالَ منها بيضٌ وسودٌ وحُمرٌ » [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول مجاهد[3]، وقتادة [4]. و قال به الطبري، و الزجّ اج و ابن عطية، و وافقهم أبوحيان، وابن كثير، والسعدي [5]– رحمهم الله –.

قال أبو حيَّان: « لما نُسفت طارت في الجوِّ كالصوّف المنفوش إذا طيرته الريح .قال الحسن : تسير الجبال مع الرياح ثم تنهد ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء » [6]

القول الثاني: أنَّ العِهْن هو الصوّف الأحمر، وهو قول الحسن البصري [7]، وذكره ابن أبي زمنين والثعلبي، البغوي، والقرطبي، والشوكاني [8]– رحمهم الله–.

---

(١) سورة المعارج:٩ .

(٢)التسهيل (١٤٦/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسند عنه : جامع البيان(٧٣/٢٩)، ولفظه (كالعهن قال: كالصوف)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٨١/٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر بمثله .

(٤) أخرجه الطبري بسند عنه : جامع البيان (٧٣/٢٩)، ولفظه (كالعهن قال :كالصوف) .

(٥) جامع البيان (٧٣/٢٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٥ / ١٧٢) ، و المحرر الوجيز (٣٦٦/٥) ، والبحر المحيط (٣٢٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٢١/٤)، وتيسير الكريم الرحمن (٨٨٦/١) .

(٦) البحر المحيط (٣٢٨/٨).

(٧) نسبه البغوي في معالم التنزيل (٣٩٣/٤)، والشوكاني في فتح القدير (٢٨٩/٥) .

(٨) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥)، والكشف والبيان (٣٧/١٠)، و معالم التنزيل (٣٩٣/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (٢٨٤/١٨)، وفتح القدير (٢٨٩/٥) .

القول الثالث: أنَّ العِهْن هو الصوّف المصبوغ ألواناً، قال به السمعاني،و الراغب الأصفهاني والبغوي، والزمخشري، والرازي ، والبيضاوي، والنسفي، و الخازن، والسمين الحلبي [(١)] والبقاعي [(٢)] وأبو السعود ، والشوكاني، و الشنقيطي [(٣)]- رحمهم الله -.

قال الرازي: « ومعنى العهن في اللغة: الصوّف المصبوغ ألواناً وإنما وقع التشبيه به ؛لأن الجبال جُددٌ بيضٌ وحُمرٌ مختلف ألوانها و غرابيب سود فإذا بسَّت وطُيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح »[(٤)].

الترجيح

الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — أنَّ المراد "بالعهن" الصوف المصبوغ، وهو ما رجَّحه أصحاب القول الثالث؛لأنه جمع بين الوصفين الانتفاش و اختلاف اللون وكلا الوصفين له ما يؤيّده، فأما التشبيه بانتفاش الجبال بينه الله- ﷻ -بقوله :﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[(٥)].

وأمَّا تخصيص الصوّف بالمصبوغ ألوانا فقد ورد في كلام العرب أنهم لا يقولون عِهنٌ إلا إذا كان مصبوغا و إلا فهو صوف[(٦)].

قال الراغب الأصفهاني:«العهن الصوف المصبوغ قال كالعهن المنفوش وتخصيص العهن لما فيه من

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين . مفسر، عالم بالعربية والقراءات.من كتبه (تفسير القرآن، و القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، والدر المصون). توفي سنة (٧٥٦ هــ).
يُنظر : طبقات الشافعية (١٨/٣) ،و شذرات الذهب (١٧٩/٦) ،و الأعلام (١ / ٢٧٤).

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُ باط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين . وُلد سنة (٨٠٩ هـــ).مؤرخ أديب. من كتبه (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ، وعنوان العنوان ،ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور).تُوفي سنة (٨٨٥ هـــ).
يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٣٤٧/١) ،و الأعلام (٥٦/١).

(٣) تفسير القرآن (٤٦/٦)، والمفردات في غريب القرآن (٣٥١/١)، و معالم التنزيل (٣٩٣/٤)، والكشاف (٤٦٠/٤) و التفسير الكبير (١١١/٣٠)،و أنوار التنزيل (٣٨٨/٥)، و مدارك التنزيل (٢٩١/٤)، و لباب التأويل (٦ / ٢٧٦) والدر المصون (٦ / ٣٧٥) ، ونظم الدرر (٨ / ١٤٧)، و إرشاد العقل السليم (٣١/٩)، وفتح القدير (٢٨٩/٥) وأضواء البيان (٥١٢/٧).

(٤)التفسير الكبير (١١١/٣٠).

(٥) سورة القارعة:٥.

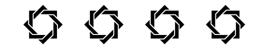
(٦) يُنظر: تهذيب اللغة (١٠٤/١)،والمزهر في علوم اللغة وأنواعها (٣٤٩/١)، والمدهش (٤٨/١).

اللون» [١]).

قال الشنقيطي– رحمه الله تعالى –: «وأصلُ العهن أخصُّ من مطلق الصوف ؛ لأنه الصوف المصبوغ خاصةً ومنه قول زهير بن أبي سلمى[٢] في معلقته:

كأنَّ فتاةَ العهنِ في كلِّ منزلٍ نزلن به حبُّ الفنا لم يحطم »[٣].

والقرآنُ نزل بلغتهم وهذا الوصف معروفا لديهم (فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها) [٤]. و الله تعالى أعلم .



---

(١) المفردات في غريب القرآن (٣٥١/١).

(٢) زُهَيْر بن أبي سُلْمَى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية.

يُنظر : طبقات فحول الشعراء (٥١/١).

(٣) أضواء البيان (٥١٢/٧).

(٤) يُنظر : قواعد التفسير (١ / ٢٣٢).

قول الله –ﷻ – :﴿ وَلاَ يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾[1].

❁ (٧) مسألة : في العلّة في انتفاء المساءلة بين الأحمّاء .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الحميم لا يسأل عن حميمه يوم القيمة؛ لأنه لا يقدر له على شيء.

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: «الحميم هنا الصديق، والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرةً ولا إعانةً ؛ لعلمه أنه لا يقدر له على شيءوقيل: لا يسأله عن حاله لأن؛ كلَّ أحد مشغول بنفسه» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا لابن أبي زمنين، وابن عطية، ووافقهم السمين الحلبي والبقاعي[3]– رحمهم الله –.

قال ابن أبي زمنين : « ولا يسأل حميم حميما تفسير الحسن لا يسأل قريبٌ قريبه أن يحمل عنه من ذنوبه شيئًا كما كان يحمل بعضُهم في الدنيا عن بعض» [4].

القول الثاني: أي: لا يسأل قريب قريبه عن شأنه لشغله بشأن نفسه. وهو قول قتادة[5].

واختاره الإمام الطبري، وأفرده بالذكر مكي بن أبي طالب ، و السمعاني، والبغوي، والزمخشري وقال به الرازي، والقرطبي، والبيضاوي، و القمي النيسابوري، وابن كثير، وجلال الدين المحلّي وأبو السعود والشوكاني،والألوسي، و القاسمي، والمراغي، وابن عاشور، و عطية سالم [6]، والسعدي [7] رحمهم الله

---

(١) سورة المعارج:١٠.

(٢) التسهيل (١٤٦/٤) .

(٣) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥)، و المحرر الوجيز (٣٦٦/٥)، والدر المصون (٦ / ٣٧٥)، ونظم الدرر (٨ / ١٤٧).

(٤) تفسير القرآن العزيز (٣٥/٥).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧٣/٢٩)، ولفظه: (يشغل كل إنسان بنفسه عن الناس)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٨١/٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بمثله.

(٦)الشيخ عطية محمد سالم هو أحد علماء المدينة المنورة، و قد ولد عام ١٣٤٦ هـ بقرية المهدية إحدى قري محافظة الشرقية بمصر. واصل دراسته الدينية بعد مجيئه إلى المدينة المنورة عام ١٣٦٤ هـ في حلقات المسجد النبوي الشريف.من مؤلفاته تتمة تفسير "أضواء البيان" لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من أول سورة الحشر إلى آخر سورة الناس وتسهيل الوصول إلى علم الأصول و الأدب في صدر الإسلام" بالاشتراك مع آخرين . لم أقف على كتاب ذكر وفاة الشيخ – رحمه الله تعالى – ينظر : علماء ومفكرون عرفتهم (٢ / ٢٠١).

(٧) جامع البيان (٧٤/٢٩)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٠٤) ،و تفسير القرآن (٤٦/٦)، و معالم التتريل (٣٩٣/٤)

الله

قال مكي – رحمه الله- : « ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي : ولا يسأل قريب ولا صديق عن قريب ه لشغله بنفسه » [(١)].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ السبب في انتفاء السؤال بين الأحِمَّاء يوم القيامة لشغل كل إنسان بشأن نفسه، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ؛ لأن هذه العلة أنسب لسياق الآية بعدها في قوله تعالى : ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾[(٢)] . فعود الضمير في قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ على القرناء ؛حيث يبصر كلٌّ إنسان قرينه فيعرفه ثم يفر منه لانشغاله بنفسه . **ومما يؤيده عدة أمور وهي:**

١. النظائر القرآنية: حيث وصف الله تعالى حال الإنسان يوم القيامة .ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[(٣)] .
٢. أنَّ هذا المعنى أبلغ في التهويل ؛لأن كلَّ إنسان فيه من الهموم ،والكروب ما تشغله عن غيره وقد ورد بيانه في حديث الشفاعة من حديث أبي هُرَيْرَةَ [(٤)]- ﷺ - قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إليه الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ منها نَهْسَةً ،وقال: ((أنا سَيِّدُ الْقَوْمِ يوم الْقِيَامَةِ هل تَدْرُونَ بِمَ يَجْمَعُ الله الْأَوَّلِينَ ،وَالْآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمْ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَتَدْنُو منهم الشَّمْسُ ، فيقول بَعْضُ الناس: ألا تَرَوْنَ إلى ما أَنْتُمْ فيه إلى ما بَلَغَكُمْ ألا تَنْظُرُونَ إلى من يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ فيقول بَعْضُ الناس : أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يا آدَمُ أنت أبو الْبَشَرِ

والكشاف (٦١٢/٤) وزاد المسير (٣٦١/٨)، و التفسير الكبير (١١١/٣٠) ،والجامع لأحكام القرآن (٢٨٥/١٨)، و أنوار التنزيل (٣٨٨/٥)، و غرائب القرآن (٦ / ٣٧٥)، و تفسير القرآن العظيم (٤٢١/٤)، وتفسير الجلالين(٧٦٥/١)،و إرشاد العقل السليم (٣١/٩)،وفتح القدير (٢٨٩/٥)، وروح المعاني (٥٩/٢٩)، ومحاسن التأويل (٩ / ٣٩٨٣)، و تفسير المراغي (١٠ / ١٩٧)، والتحرير والتنوير (١٢ / ١٥٩)، وأضواء البيان (٢٦٧/٨) وتيسير الكريم الرحمن (٨٨٦/١) .

(١)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٠٤).

(٢) سورة المعارج:١١ .

(٣)سورة عبس:٣٤ -٣٧ .

(٤) عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أبو هريرة .كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. قدم المدينة ورسول الله – ﷺ – بخيبر فأسلم سنة(٧ هـ) ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم. تُوفي سنة (٥٩ هـ).
يُنظر : الاستيعاب (١٧٦٨/٤) ، و تهذيب التهذيب (٢٨٨/١٢).

خَلَقَكَ الله بيده وَنَفَخَ فِيكَ من رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لك وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ ، ألا تَشْفَعُ لنا إلى رَبِّكَ؟ ألا تَرَى ما نَحْنُ فيه وما بَلَغَنَا ؟ فيقول: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قبله مثله ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مثله وَنَهَانِي عن الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غَيْرِي...)) »[1] . والله تعالى أعلم .



(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، بَاب قولِ الله عز وجل : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ (١٢١٥/٣)ح (٣١٦٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهلِ الجنةِ مترلاً (١٨٤/١) ح (١٩٤).

قول الله –ﷻ– :﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾[1].

❀ (٨) مسألة : في المراد بالشوَّى .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " الشوى": أطراف الجسد.

مجمل ما ذكره ابن جزي في الآية:

قال: «الشوَّى أطراف الجسد. وقيل: جلد الرأس؛ فالمعنى أن النار تنزعها ثم تعود» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول: ما قال به ابن جُزي موافقاً للمروي عن أبي صالح [3]، و مجاهد [4]والضّ حاك [5]،و قال به أبو عبيدة [6]، ومكي بن أبي طالب ، والواحدي ، والأصفهاني[7]، ونسبه السمعاني للأكثرين[8] – رحمهم الله – .

قال أبو عبيدة: « واحدها شواة وهي اليدان والرجلان والرأس من الآدميين»[9].

القول الثاني: أنَّ الشوى جلدة الرأس. وهو قول ابن عباس [10]– ﷺ – ، وقال به الحسن البصري

---

(١) سورة المعارج:١٦ .

(٢) التسهيل (٤/١٤٧).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٩/٧٧)، ولفظه قال :(نزاعة للحم الساقين)، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٨٢)، ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر بمثله.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عنه : مصنف ابن أبي شيبة (٧/٥٥) ح (٣٤١٧٠)، ولفظه قال :(الشوى الأطراف).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان : (٢٩/٧٧)، ولفظه (تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا) .

(٦) معمر بن المثنى التيمي بالولاء،البصري، أبو عبيدة النحوي . وُلد سنة (١١٠ هـــ) من أئمة العلم بالأدب واللغة. من كتبه (نقائض جرير والفرزدق ، و مجاز القرآن ،ومآثر العرب). تُوفي سنة (٢٠٩ هـــ).

يُنظر : المعارف (١/٥٤٣) ، و بغية الوعاة (٢/٢٩٤) ، و الأعلام (٧ /٢٧٢).

(٧) مجاز القرآن (٢٧٨)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٠٩) ، والوسيط (٤ / ٣٥٢) و المفردات في غريب القرآن(١/٢٧١).

(٨) تفسير القرآن (٦/٤٧).

(٩)مجاز القرآن (٢٧٨).

(١٠) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٩/٧٦)، ولفظه قال : (تنزع أم الرأس) .

[1]، و بيان الحق النيسابوري[2] [3]. وممن ذكره الزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعود[4] – رحمهم الله الله –.

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب– أنَّ معنى الشوّى في الآية يحمل على كلا القولين، وما ورد عن السلف في تفسير اللفظ من معان فهي عبارات متقاربة المعاني، و (إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها[5])، ويؤيده:

استعمال اللغة: فالشوّى يطلق على أطراف الجسم . يقال : «فرس عبل الشوّى ضخم القوائم و الرجلان و سائر الأطراف و قحف الرأس و ظاهر الجلد واحدته شواة»[6].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى– : «وقوله ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن لظى : إنها تنزع جلدةَ الرأس وأطراف البدن . والشوّى : جمع شواةٍ وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلا. يقال :رمى فأشوى إذا لم يصب مقتلا . فربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشى[7]:

قالت قُتَيْلَةُ مال ه قد جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُه [8]

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٩/٧٧)، ولفظه قال : (للهام تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده نضيجا)،و أخرجه الصنعاني في تفسيره بمثله (٣/٣١٧).

(٢) محمود بن أبي الحسن النيسابوري، أبو القاسم الغَزنَوي، كان عالماً، بارعاً، مفسّراً، لغويّاً، فقيهاً يلقب " ببيان الحق " توفي حدود سنة (٥٥٣ هـ) .

يُنظر : معجم الأدباء (٥ / ٤٨٨) وبغية الوعاة (٢ / ٢٧٧).

(٣) باهر البرهان (٣ / ١٥٥٠) .

(٤)الكشاف(٤/٦١٣)، و أنوار التنزيل (٥/٣٨٩)، و إرشاد العقل السليم (٩/٣٢).

(٥) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧) .

(٦) المعجم الوسيط(١/٥٠٢)،و تاج العروس من جواهر القاموس (٣٨/٤٠١)، ومقاييس اللغة (٣/٢٢٤).

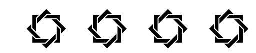
(٧) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات . كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر . عاش عمرا طويلا، وأدرك الإسلام و لم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره توفي سنة (٧هـ) .

يُنظر : طبقات فحول الشعراء (١/٥٢) ، والأعلام (٧ / ٣٤١).

(٨) المحرر الوجيز (٥/٣٦٧)، و الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨٨)، وروح المعاني (٢٩/٦٠).

وربما وصف بذلك الساق كقولهم في صفة الفرس : عبل الشوى [١] ، نهد الجزاره[٢]يعني بذلك قوائمه وأصل ذلك كله ما وصفت» [٣].

وقال الإمام البخاري : « ﴿ لِّلشَّوَىٰ ﴾ الْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ والأطراف وَجِلْدَةُ الرَّأْسِ . يُقَالُ لها شَوَاةٌ .وما كان غير مَقْتَلٍ فَهُوَ شَوًى» [٤]. (وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها) [٥].والله تعالى أعلم .



(١) وهو كقول الأصمعي :

سَليمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنجُ النَّسا له　　　حَجَباتٌ مُشْرفاتٌ على الفال

يُنظر : تهذيب اللغة (١٥/٢٧٠).

(٢) هذه عجز بيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة من قصيدة مطلعها :

يا جارتي ما كنتِ　　　جارهْ　　　بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عُفَارَهِ

يُنظر : تهذيب اللغة (١/٧٩) ، وتاج العروس (١٠/٤١٨).

(٣) جامع البيان(٢٩/٧٦).

(٤) صحيح البخاري (٤/١٨٧٢).

(٥) التفسير اللغوي للقرآن (٥٩١) .

قول الله – عَجَلَّ – : ﴿ إِنَّ ٱلإنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾[1] .

❀ (٩)مسألة : في المراد بالإنسان في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الإنسانَ اسم جنس ؛أي جنسُ الإنسان .

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: «﴿ إِنَّ ٱلإنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه » [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للزمخشري، و تبعه النسفي ، و وافقهم أبو حيان وهو ظاهر كلام ابن كثير، وما قاله ابن عاشور، و عطية سالم [3]– رحمهم الله –.

قال الزمخشري: « أُريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين»[4].

وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله: «ولفظ الإنسان هنا مفرد ولكن أريد به الجنس أي جنس الإنسان في الجملة بدليل استثناء المصلين بعده في قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[5]ومثله قوله تعالى ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[6] »[7].

(١) سورة المعارج:١٩ .

(٢) التسهيل(١٤٧/٤).

(٣) الكشاف (٦١٤/٤)، ومدارك التنزيل (٤/ ٢٩١)، و البحر المحيط(٣٢٩/٨)، و تفسير القرآن العظيم (٤٢٢/٤)، والتحرير والتنوير (١٢ / ١٦٦)، و أضواء البيان(٢٦٨/٨).

(٤) الكشاف (٦١٤/٤).

(٥) سورة المعارج:٢٢ .

(٦) سورة العصر:١-٣.

(٧)أضواء البيان(٢٦٨/٨).

القول الثاني: أنَّ الإنسان يراد به الإنسان الكافر. وهو قول ابن عباس [1] - رضي الله عنه - وقال به الضحاك [2] ، واختاره الطبري، وابن أبي زمنين، ومكي بن أبي طالب ، وابن عطية ، والقرطبي [3]- رحمهم الله-.

واستُدل عليه بأمرين:

١. دلالة السياق فقد جاء في وصف الكافر بالهلع وهو الجزع والحرص " إلا المصلين " ثم استثنى الله تعالى من هذا الوصف المصلين فهم على خلافه.

٢. الاستدلال بحديث رسول اللَّهِ - ﷺ - : ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ،فَكَانَ خَيْرًا له)) [4]. فثبوت الخيرية للمؤمن في كلتا حالتيه مخرج لغيره، وهو الكافر الذي ينطبق عليه وصف الهلع [5].

قال الإمام الطبري : « ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الكافر ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ والهلع: شدّة الجَزَع مع شدّة الحرص والضجر» [6].

وقال مكي بن أبي طالب : «﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [7] إلا الذين يطيعون الله بأداء فرائضه ، فليسوا بداخلين في عدد من خلق هلوعًا وهو كافر بربه» [8].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ المراد بالإنسان في هذا الموضع الجنس، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ، ومن معه أي: كلُّ إنسانٍ خُلق هلوعا إلاَّ المصلين؛ لأن (الألف واللام الداخلة على

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٧٨/٢٩)، ولفظه قال: (هو الذي قال الله : ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾. ويقال :الهلوع هو الجزوع الحريص وهذا في أهل الشرك) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه : (المرجع السابق) (٧٨/٢٩)، ولفظه (إن الإنسان يعني الكافر خلق هلوعا يقول هو بخيل منوع للخير جزوع إذا نزل به البلاء فهذا الهلوع).

(٣) جامع البيان (٧٨/٢٩)، و تفسير القرآن العزيز (٣٦/٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٣٣١٢) ، والمحرر الوجيز(٣٦٨/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، بَاب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ(٢٢٩٥/٤) ح (٢٩٩٩)

(٥) جامع البيان (٧٨/٢٩)، وأضواء البيان(٢٦٨/٨).

(٦) جامع البيان (٧٨/٢٩).

(٧) سورة المعارج:٢٢.

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٣٣١٢).

الأوصاف و أسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه) [1]. **ويؤيده عدة أمور وهي:**

١. النظائر القرآنية: كقول الله – ﷻ – : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [3].

٢. السياق: فإن الله– ﷻ –استثنى المصلين من عموم هذه الصِّفة.

٣. حمل القول على العموم أولى، والقول الثاني داخل فيه ضمنًا.

٤. أنَّ الهلع يُراد به الجزع وقلة الصبر [4] ، وعلى هذا الوصّف ينصرف إلى جنس الإنسان الذي فُطِر عليه ، ولا يخرج منه إلا بتوفيق الله – ﷻ – له.

قال ابن القيم [5]– رحمه الله تعالى – : « فهذا شأنُ الإنسان من حيثُ ذاته ونفسه وخروجه عن هذه الصفات بفضل ربه وتوفيقه له ومنته عليه، لا من ذاته فليس له من ذاته إلا هذه الصفات وما به من نعمة فمن الله وحده فهو الذى حببَّ إلى عبده الإيمان، وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ،وهو الذي كتب في قلبه الإيمان وهو الذي يثبت أنبياءه ورسله وأولياءه على دينه وهو الذي يصرف عنهم السوء والفحشاء» [6].

٥. أنَّ الهلع قُدر كونًا كالسائر الشرور ، لحكمة الله تعالى في ذلك ؛ لكنَّ الله تعالى لا يأمر به بل يبغضه، ويأمر بخلافه .قال الله تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [7] .والله تعالى أعلم .

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن (١٩) .

(٢) سورة العلق:٦–٧.

(٣) سرورة الأنبياء:٣٧.

(٤) تهذيب الأسماء (٣٥٧/٣).

(٥)محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله ، وُلد سنة (٦٩١هـ)، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء،له مؤلفات كثيرة منها (أحكام أهل الذمة ، و مفتاح دار السعادة ،و الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة). تُوفي سنة (٧٥١ هـ).
يُنظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٣٧/٥) ، والأعلام (٦ / ٥٦).

(٦) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (١٢٦/١).

(٧) سورة المائدة:٦.

قول الله – ﷻ – :﴿ وَالذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾[1]

❁ (١٠) مسألة : في معنى القيام بالشهادة .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى القيام بشهادة التحقيق لها.

مجمل ما ذكره ابن جزي في الآية:

قال : «...ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها فقيل: هو التحقيق لها كقوله – ﷺ – : ((على مثلِ الشمس فاشهدوا))[2]. وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع »[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ أنَّ معنى القيام بالشهادة التحقيق لها، ومراده بالتحقيق الإتقان للشهادة بصحة ما يشهد به.

قال ابن فارس: « حق الحاء والقاف أصل واحد. وهو يدل على إحكام الشيء وصحته »[4]. وممن ذكره ابن عطية، والثعالبي[5].

قال ابن عطية: «أي يحفظون ما يشهدون فيه، ويتيقنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي – ﷺ –: ((على مثل الشمس فاشهد)) »[6].

---

(١) سورة المعارج:٣٣ .

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٦٩/٤) ، وابن عدي في الكامل (٢٠٧/٦) ، و أبو نعيم في حلية الأولياء (١٨/٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١١٠/٤) ح (٧٠٤٥) وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.وقال الذهبي قي التلخيص : واه. قال ابن الملقّن في البدر المنير : (قلت : فيه نظر ، فإن في إسناده محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف كان الحميدي يتكلم فيه ،وقال النسائي ضعيف) . (٦١٧/٩) ، و قال ابن حجر : (وفي إِسْنَادِهِ محمد بن سُلَيْمَانَ بن مَسْمُولٍ ،وهو ضَعِيفٌ ، وقال الْبَيْهَقِيُّ : لم يُرْوَ من وَجْهٍ يُعْتَمَدُ عليه). تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير (١٩٨/٤).

(٣) التسهيل(١٤٧/٤ – ١٤٨).

(٤) مقاييس اللغة (١٥/٢).

(٥) المحرر الوجيز (٣٦٩/٥)، و الجواهر الحسان(٣٤١/٤).

(٦) المحرر الوجيز(٣٦٩/٥).

القول الثاني: معنى قائمون أي: أدوا الشهادة على وجهها حيث يلزمهم ذلك ، و قال به الإمام الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين،و مكي بن أبي طالب ، والرازي ،والقرطبي والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي [1]- رحمهم الله- .

قال الطبري: « والذين هم بشهاداتهم قائمون يقول والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه ولكنهم يقومون بأدائها حيث يلزمهم أداؤها غير مغيرة ولا مبدلة» [2].

الترجيح

القول الذي تطمئن إليه النفس — والله تعالى أعلم بالصواب — أن الخلاف لفظي، و المعنى يحتمل كلا القولين ؛لأن القيام بها يستلزم الحفظ والإتقان وقت للأداء ،فهو تفسير باللازم، و(إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها)[3]، **ومما يؤيده :**

أنَّ الله — سبحانه وتعالى - امتدح المؤمنين بقيامهم بالشهادة على وجهها ، ولا يطلق لفظ الشهيد إلا على من تحققت الشهادة عنده، ثم أداها عند الطلب فالشهادة: مصدر شهد من الشهود بمعنى الحضور،وهي في اللغة: خبر قاطع.

وشرعاً: إخبار صادق لإثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء [4]، فإذا تحمل الشهود الشهادة لزمهم الأداء حين الدعاء إليها.

قال الإمام الطبري- رحمه الله - عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ [5]:« وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك : ولا يأب الشهداء من الإجابة إذا دعوا؛ لإقامة الشهادة،وأدائها عند ذي سلطان،أو حاكم يأخذ من الذي عليه ما عليه للذي هو له.

وإنما قلنا هذا القول بالصواب أولى في ذلك من سائر الأقوال غيره؛لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ فإنما أمرهم بالإجابة للدعاء للشهادة، وقد ألزمّهم اسمَ الشهداء وغير جائز أن يلزمهم اسم الشهداء إلا وقد استشهدوا قبل ذلك؛ فشهدوا على ما ألزمهم شهادتهم عليه اسم الشهداء

---

(١) جامع البيان (٨٤/٢٩)، وبحر العلوم (٤٧٣/٣)، والقرآن العزيز(٣٧/٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧١٩)،و التفسير الكبير (١١٦/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٨)، و مدارك التنزيل (٢ / ٢٩٢)، و إرشاد العقل السليم (٣٣/٩) وفتح القدير (٢٩٣/٥)، و روح المعاني (٦٤/٢٩).

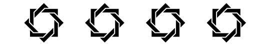
(٢) جامع البيان (٨٤/٢٩).

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧).

(٤) التعريفات (١٧٠/١).

(٥)سورة البقرة:٢٨٢.

فأما قبل أن يُستشهِدوا على شيء، فغير جائز أن يقال لهم شهداء لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما يُستشهِدوا على شيء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم لم يكن على الأرض أح د له عقل صحيح إلا وهو مستحقٌ أن يقال له : شاهدٌ بمعنى أنه سيشهد أو أنه يصلح ؛لأن يشهد، وإن كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم إلا من عنده شهادة لغيره أو من قد قام بشهادته فلزمه لذلك هذا الاسم كان معلوما أن المعني بقوله ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا من وصفنا صفته ممن قد استرعى شهادة، أو شهد فدعي إلى القيام بها؛ لأن الذي لم يُستشهَد و لم يسترع شهادةً قبل الإشهاد غيرُ مستحقٍّ اسم شهيد ولا شاهد لما قد وصفنا قبل» [1].والله تعالى أعلم .



(١) جامع البيان (١٢٩/٣).

ثانياً :ترجيحات ابن جُزي في سورة نوح -عليه السلام-

قول الله- ﷻ - : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنَ اَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَّاتِيَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴾[1]. و قوله تعالى : ﴿ اَنُ اُعْبُدُواْ اُ۬للَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[2].

❁ (١١)مسألة : نوع " أن " في الموضعين من قول الله تعالى ﴿ۦٓأَنَ اَنذِرْ ﴾ وقوله تعالى ﴿اَنُ اُعْبُدُواْ اُ۬للَّهَ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " أنْ " في الموضعين تفسيرية .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿ۦٓأَنَ اَنذِرْ ﴾ و ﴿اَنُ اُعْبُدُواْ﴾يحتمل أن تكونَ " أن " مفسرِّة[3]، أو مصدرية [4] على تقدير "بأن أنذر" و "بأن اعبدوا ". والأول أظهر» [5].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول :أنَّ "أنْ" تفسيرية ؛ لما في الإرسال من معنى القول ، وهو ما أظهره ابن جُزيّ وجوّزه الزمخشري ، وابن عطية ، و القرطبي ،والبيضاوي ، وأبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني ،و الأ لوسي ، وقال به ابن عاشور [6] – رحمهم الله -.

---

(١) سورة نوح:١ .

(٢)سورة نوح:٣.

(٣)" أن " التفسيرية :وهي حرف مهمل والغرض منه: إفادة التبيين والتفسير، مثل: "أي المفسرة" فكلاهما حرف تفسير؛ ولهذا يصح إحلال "أي" محل "أن". ولا تكون "أن" مفسره إلا بثلاثة شروط مجتمعة:

١. أن تسبقها جملة مستقلة كاملة، فيها معنى القول دون حروفه.
٢. أن يتأخر عنها جملة أخرى مستقلة، تتضمن معنى الأول، وتوضح المراد منها.
٣. ألا تقترن "أن" بحرف جر ظاهر أو مقدر.

يُنظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (٤٨/١)، و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٤٠٨/٢).

(٤) أن المصدرية هي التي تؤول مع ما بعدها بمصدر يكون له محل من الإعراب حسب موقعه من الجملة يُنظر : اللمع (١٩٤/١).

(٥) التسهيل (١٤٩/٤).

(٦) الكشاف (٦١٨/٤) ،والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥) ،و التفسير الكبير (١١٩/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨) وأنوار التنزيل(٣٩٢/٥) ، و البحر المحيط (٣٣٢/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣٦/٩) ، وفتح القدير (٢٩٦/٥) ، و روح المعاني

واستُدل عليه بقراءة عبد الله ابن مسعودٍ –رضي الله عنه– "أنذر قومك " بغير "أن " على إرادة القول والمعنى : قلنا له أنذر قومك» [1].

قال ابن عاشور : «﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ ﴾ إلى آخره هو مضمون ما أرسل به نوح إلى قومه، فـــ " أن " تفسيرية ؛ لأنها وقعت بعد﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ ، وفيه معنى القول دون حروفه» [2].

الوجه الثاني : أنَّ " أنْ " مصدرية ، و " أنْ " وما بعدها بتأويل مصدر . واختلفوا في تقدير محلِّه على قولين :

القول الأول : أنَّ "أن " وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بحرف جر مقدر ، أي : بأن أنذر قال به الزمخشري ، ومال إليه البغوي ، وابن الجوزي ، و جلال الدين المحلِّي [3] – رحمهم الله –

قال الزمخشري : « ﴿ أَنْ أَنذِرْ ﴾ أصله : بأن أنذر ، فحذف الجار وأوصل الفعل : وهي أن الناصبة للفعل ، والمعنى : أرسلناه بأن قلنا له أنذر ، أي : أرسلناه بالأمر بالإنظار» [4].

القول الثاني : أنَّ "أن " وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعولا به بترع الخافض والمعنى أرسلناه بالإنذار قاله الفراء ، ومال إليه الزجاج[5] ، وذكره القرطبي ، وأبو السعود [6].

قال الزجاج : « "أن" في موضع نصب بأرسلنا ؛لأن الأصل "بأن أنذر قومك" ، فلما أُسقطت الباء أفضى الفعلُ إلى أن فنصبها » [7].

(٦٩/٢٩)،والتحرير والتنوير (١٢ / ١٨٨) .

(١)الكشاف (٦١٨/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥) ،والتفسير الكبير (١١٩/٣٠)،و الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨)،وفتح القدير (٢٩٦/٥) ، و روح المعاني (٦٩/٢٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٢ / ١٨٨) .

(٣) الكشاف (٦١٨/٤) ، ومعالم التتريل(٣٩٧/٤)، وزاد المسير(٣٦٨/٨)، وتفسير الجلالين(٧٦٧/١).

(٤) الكشاف (٦١٨/٤).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٨٧)، معاني القرآن للزجاج (٥ / ١٧٧).

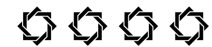
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨) ،و إرشاد العقل السليم (٣٦/٩).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٥ / ١٧٧).

الترجيح

الراجِّح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ هذا الخلاف لفظي ، ويجوز أن تفسر "أنْ "على كلا القولين.ويتأيّد بالقاعدة التفسيرية : (إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حُمِل عليها)[(١)]

وممن قال بجوازه الزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، وأبو السعود والشوكاني ، والألوسي[(٢)] –رحمهم الله –. و الله تعالى أعلم.



(١) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧).

(٢) الكشاف (٦١٨/٤) ،والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥) ،و التفسير الكبير (١١٩/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١٨) وأنوار التنزيل(٣٩٢/٥) ، و البحر المحيط (٣٣٢/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣٦/٩) ، وفتح القدير (٢٩٦/٥) ، و روح المعاني (٦٩/٢٩).

قول الله – ﷻ – :﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. في الآية مسألتان وهي:

(١٢) المسألة الأولى : معنى "من " في قول الله تعالى :﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى "من " في الآية للتبعيض .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال« من هنا للتبعيض أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا ؛لأنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله و لم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم ؛ لأن ذلك في مشيئة الله تعالى. وقيل : إن من هنا زائدة وذلك باطل ؛ لأن من لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب . وقيل: هي لبيان الجنس. وقيل: لابتداء الغاية . وهذان القولان ضعيفان في المعنى ، والأول هو الصحيح ؛لأن التبعيض فيه مُتَّجه » [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة خمسة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيَ موافقا ابن عطية ، و قال به بيان الحق النيسابوري ، والرازي ،واقتصر عليه البيضاوي [3]، ووافقهم أبو حيان، والثعالبي،وأبو السعود، والخفاجي [4]، وقدّمه الشوكاني[5] – رحمهم الله تعالى –.

قال ابن عطية : « وقال آخرون: هي للتبعيض، وهذا عندي أبين الأقوالِ، وذلك أنه لو قال: " يغفر لكم ذنوبكم " لعمَّ هذا اللفظ ما تقدَّم من الذنوب وما تأخَّر عن إيمانهم، والإسلام إنما يجب ما قبله فهي

---

(١) سورة نوح:٤.

(٢)التسهيل (١٤٩/٤).

(٣) المحرر والوجيز(٣٧٢/٥)، وباهر البرهان(٣ / ١٥٥٣) ، والتفسير الكبير(١٢٠/٣٠) ،و أنوار التنزيل (٣٩٢/٥).

(٤) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري . وُلد سنة (٩٧٧ هـــ). قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. من أشهر كتبه (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، و شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ، و نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) . تُوفي سنة (١٠٦٩ هـــ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٤١٥/١) ،و الأعلام (١ / ٢٣٨).

(٥) البحر المحيط(٣٣٢/٨)، والجواهر الحسان(٣٤٣/٤)، وإرشاد العقل السليم(٣٦/٩ – ٣٧)، وحاشية الشهاب (٩ / ٢٧٧)،و فتح القدير (٢٩٧/٥).

بعض من ذنوبهم، فالمعنى يغفر لكم ذنوبكم» [1].

القول الثاني : أنَّ "من " صلة . قال به ابن أبي زمنين ، وابن الجوزي [2]. وأورده المهدوي ، والماوردي والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، وا لقرطبي ، والخازن ، وأبو حيَّان والسمين الحلبي وابن كثير [3] – رحمهم الله تعالى – .

والقول بالزيادة مردود ؛ لعدم تقدم " من " نفي أو استفهام ، و جاء بعدها معرفة فشرط الزيادة غيرُ متحققٍ في الآية .

قال الحسن المرادي [4] – رحمه الله – : «واعلم أنَّ " من " لا تزاد عند سيبوية وجمهور البصريين إلا بشرطين :

الأول : أن يكون ما قبلها غير موجب .

الثاني : أن يكون مجرورها نكرة [5]».أهـ

القول الثالث : أن معنى " من " لبيان الجنس ، ذكره الشوكاني ، والألوسي [6].

و ردَّ هذا القول المهدوي ،وابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيَّان ، والسمين ، وابن عادل [7]. ووجه ذلك أنه لم يتقدم "من " جنس يليق به .

القول الرابع : أن "من" لابتداء الغاية ،أورده ابن عطية ، وأبو حيَّان ، وابن عادل ، والشربيني [8]

---

(١) المحرر الوجيز(٣٧٢/٥).

(٢) تفسير القرآن العزيز (٣٩/٥)، وتذكرة الأريب(٢٤٤/٢).

(٣) التحصيل في مختصر التفصيل (ب / ١٧٥) ، والنكت والعيون (٦ / ٩٩) ، ومعالم التنزيل(٣٩٧/٤)، والمحرر الوجيز (٣٧٢/٥)، وزاد المسير(٣٦٨/٨)، والتفسير الكبير(١٢٠/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٩/١٨)، ولباب التأويل (٦ / ٢٨٢) ، و البحر المحيط(٣٣٢/٨)، والدر المصون (٦ / ٣٨٢) ، تفسير القرآن العظيم(٤٢٥/٤).

(٤) الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المولد النحوي اللغوي ال فقيه المالكي البارع المعروف بابن أم قاسم . من كتبه (تفسير القرآن ، و إعراب القرآن ،و شرح الشاطبية) . توفي سنة (٧٥٥ هـ) .
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٣٨/٢) ، وشذرات الذهب (١٦٠/٦)، والأعلام (٢ / ٢١١).

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني (٣١٧).

(٦) فتح القدير(٢٩٧/٥)، وروح المعاني(٦٩/٢٩).

(٧) التحصيل في مختصر التفصيل (ب / ١٧٥) ، المحرر الوجيز(٣٧٢/٥)، والجامع لأحكام القرآن(٢٩٩/١٨)، والدر المصون (٦ / ٣٨٢) ، واللباب (١٩ / ٣٨١) .

(٨) المحرر الوجيز(٣٧٢/٥)، والبحر المحيط(٣٣٢/٨) ، واللباب (١٩ / ٣٨١) ، والتحرير والتنوير(١٢ / ١٨٩).

القول الخامس : أن "من" تكون بمعنى "عن" للمجاوزة اختاره الطبري ، وقال به مكي بن أبي طالب [1] ،وذكره في معرض الأقوال المهدوي ، وابن عطية ، وابن كثير [2]- رحمهم الله - .

قال الطبري : «والموضع الآخر: هو الذي يصلح فيه مكانها "عن" فإذا صلحت مكانها " عن" دلت على الجميع، وذلك كقولك : وجع بطني من طعام طعِمتُه، فإن معنى ذلك : أوجع بطني طعامٌ طعمتُه وتصلح مكان "من" " عن" ، وذلك أنك تضع موضعها "عن" ، فيصلح الكلام فتقول: وجع بطني عن طعام طعمته، ومن طعام طعمته، فكذلك قوله : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ إنما هو: ويصفح لكم، ويعفو لكم عنه»[3].

الترجيح

أولى الأقوال في بيان معنى "من " في الآية – والله أعلم بالصواب – ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه أنها للتبعيض ؛ لأنه إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى [4].

ولو كانت " من " للزيادة للزم من ذلك مغفرة الذنوب جميعها ما قبل إسلامهم وبعده ؛ وإنما الإسلام يهدم ما قبله ، وما كان من ذنب بعده فهو في مشيئة الله تعالى . قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]و **مما يؤيده** :

أن التبعيض جاء لتفريق الخطاب بين الكفار والمؤمنين ، ففي الآيات التي وردت فيها " من " جاءت لإظهار معنى الإنقاذ من الكفر المحبط للأعمال ؛ بخلاف المواضع التي حذفت منها وهي في المؤمنين فلم يتضمن الغفران معنى الاستنقاذ بل م عنى الذهاب بالذنب وإبطاله ؛ لأنهم أخرجوا من إحباط العمل بالإيمان .

قال ابن القيم – رحمه الله - : «فإن قيل فما قولكم في نحو قوله تعالى : ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن

---

(١)جامع البيان(٩١/٢٩) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٢٩).

(٢) التحصيل في مختصر التفصيل (ب / ١٧٥) ، المحرر الوجيز(٣٧٢/٥)، وتفسير القرآن العظيم(٤٢٥/٤).

(٣) جامع البيان(٩١/٢٩).

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٤٩٥) .

(٥) سورة البقرة:٢٨٤ .

ذُنُوبِكُمْ ﴾[1]. ويغفر لكم من خطاياكم. قلنا : هي متعلقة بمعنى الإنقاذ والإخراج من الذنوب فدخلت من لتؤذن بهذا المعنى... »[2].والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) سورة الأحقاف:٣١.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٩٣).

❁ (١٣)المسألة الثانية : هل للإنسان أجل واحد أم أجلان في قول الله – ﷻ – ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ للعبد أجل واحد معلوم لا يقدم ولا يؤخر .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخروا إلى أجل مسمى ، وإن لم يفعلوا لم يؤخروا ، وذلك يقتضي القول بالأجلين ، وهو مذهب المعتزلة . وعلى هذا حملها الزمخشري وأما على مذهب أهل السنة فهي من المشكلات ، وتأولها ابن عطية فقال : ليس للمعتزلة في الآية [تعلق[1]] ؛ لأن [المعنى أن[2]] نوحا– عليه السلام –لم يعلم هل هم ممن يؤخر ، أو ممن يعاجل ، ولا قال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكن قد سبق في الأزل إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير ، أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة وكأن نوحا عليه السلام قال لهم : آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير ، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة .

فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم» [3].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا المروي عن مجاهد [4] – رضي الله عنه – . وهو ظاهر كلام الطبري،وقال به القصّاب [5]، ومكي بن أبي طالب ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية والبيضاوي

---

(١) في المطبوع (مجال) ، والتصويب من " ز " (أ / ٢٤).

(٢) زائد عن الأصل.

(٣) التسهيل (١٤٩/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٩١/٢٩) ، ولفظه قال : (ما قد خط من الأجل فإذا جاء أجل الله لا يؤخر) ، ونسبه السيوطي لعبد بن حميد ، وابن المنذر عنه به : الدر المنثور (٢٨٩/٨).

(٥) محمد بن علي بن محمد الكرجي ، أبو أحمد ، عرف بالقصاب لكثرة ما أراق من دماء الكفار في الغزوات . من كتبه (ثواب الأعمال وكتاب عقاب الأعمال ، وكتاب السنة وكتاب تأديب الأئمة). تُوفي سنة (٣٦٠ هـ).

وابن كثير ، و البقاعي ، والشربيني ، والصاوي [(١)]، والقنوجي ، والقاسمي والسعدي ، وابن عاشور[(٢)] – رحمهم الله تعالى –.

قال الإمام الطبري : «وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ يقول: ويؤخِّر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بغَرَق ولا غيره إلى أجل مسمى يقول إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه، في أمّ الكتاب» [(٣)] .

وقال البقاعي : «﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾أي : قد سماه الله وعلمه قبل إيجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه، فيكون موتكم على العادة متفرقاً وإلا أخذكم جميعًا بعذاب الاستئصال، فهذا من علم ما لا يكون لو كان كيف يكون، وذلك أنَّ علم أنهم إن أطاعوا نوحًا – عليه السلام – كان موتهم على العادة وإلا هلكوا هلاك نفس واحدة، وعلم أنهم لا يطيعونه، وأن موتهم إنما يكون بعذاب الاستئصال» [(٤)].

القول الثاني : أنَّ العبد له أجلان [(٥)] . قال به الزمخشري ، و وافقه الرازي ، والنسفي والقمي النيسابوري [(٦)] ، والخازن، وأبو السعود ، والألوسي[(٧)] – رحمهم الله – .

يُنظر : تذكرة الحفاظ(٩٣٨/٣)،ونزهة الألباب في الألقاب(٩٢/٢)،وطبقات الحفاظ (٣٨٠/١).

(١) أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي . وُلد سنة (١١٧٥ هـ). فقيه مالكي، من كتبه (حاشية على تفسير الجلالين ،و الفرائد السنية). تُوفي سنة (١٢٤١ هـ).
يُنظر : الأعلام (١ / ١٤٦).

(٢) جامع البيان(٩١/٢٩)، و نُكت القرآن الدالة على البيان (٤ / ٤٠٩)،و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٣٠) ، والوسيط (٤ / ٣٥٦) ، ومعالم التنزيل (٣٩٧/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٧٣/٥) ، و أنوار التنزيل (٣٤٠/٣) ، و تفسير لقرآن العظيم (٤٢٥/٤) ، و نظم الدرر (٨ / ١٦٤) ، والسراج المنير (٨ / ١٠٦) ، وحاشية الصاوي (٦ / ١٧٤) ، وفتح البيان (١٤ /٣٣٠) ومحاسن التأويل (٩ / ٣٩٨٧) ، وتيسير الكريم الرحمن(٨٨٨/١)، و التحرير والتنوير (١٢ / ١٨٩).

(٣) جامع البيان(٩١/٢٩).

(٤) اللباب (١٩ / ٣٨١) .

(٥) رأى الفلاسفة في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ وفي نظائره من أدلة المحو والإثبات في المقادير مستمسكاً لهم في القول بأن لكل إنسان أجلين : أحدهما : طبيعي ؛ وهو الذي يحصل بتحلل الرطوبة ، وانطفاء الحرارة الغريزية عند تمام مائة وعشرين سنةً غالباً . والآخر : اخترامي ؛ وهو الذي يحصل قبل ذلك بسبب العوارض الخارجية المتعددة ؛ كالمرض والقتل والغرق . المحو والإثبات في المقادير (٦٣) .

(٦) الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين . مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات . من كتبه (غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، وأوقاف القرآن ،ولب التأويل).توفي بعد (٨٥٠ هـ).
يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (٤٢٠/١) ، و الأعلام (٢ / ٢١٦).

(٧) الكشاف(٦١٨/٤)، والتفسير الكبير(١٢٠/٣٠)، ومدارك التنزيل(٢٩٤/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٦٢) ، ولباب التأويل (٦ / ٢٨٢) ، وإرشاد العقل السليم(٣٦/٩ – ٣٧)، و روح المعاني(٧١/٢٩).

قال الزمخشري : «فإن قلت كيف قال : ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل؟ وهل هذا إلا تناقض ؟ قلت : قضى الله مثلاً أنّ قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بَقَوْا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة ، فقيل لهم : آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمّى ، أي: إلى وقت سماه الله وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ، ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت و لم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير»[1].

التوجّيح

الراجّح _ والله أعلم بالصواب _ هو ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه ، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة بأن للإنسان أجل واحد ؛ لموافقته ما جاء في الكتاب والسنة من تقدير المقادير من لدن علام الغيوب بما هو كائن ، وما سيكون قال تعالى:﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

وأخبر سبحانه أنَّ الأجل واحد لا يقدم ولا يؤخر . قال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

ومن السنة : ما رواه عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قال : قالت أُمُّ حَبِيبَةَ [4]: «اللهم مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِأَبِي أبي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ ». فقال لها رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا يُعَجِّلُ شيئا منها قبل حِلِّهِ ولا يُؤَخِّرُ منها شيئا بَعْدَ حِلِّهِ ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ من عَذَابٍ في النَّارِ وَعَذَابٍ في الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ)) [5]. **و يؤيّده عدة أمور وهي :**

---

(١) الكشاف (٤/٦١٨).

(٢) سورة القمر:٤٩.

(٣) سورة الأعراف:٣٤ .

(٤)رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، أم حبيبة زوج النبي –ﷺ– . ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاما ، و توفيت رضي الله عنها سنة (٤٤ هـ).

يُنظر : الاستيعاب (٤/١٨٤٣) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٦٥١).

(٥) لفظ الحديث من رواية عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ – ﷺ – قال: (قالت أُمُّ حَبِيبَةَ : اللهم مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رسول اللَّهِ – ﷺ – وَبِأَبِي أبي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فقال لها رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا يُعَجِّلُ شيئا منها قبل حِلِّهِ ولا يُؤَخِّرُ منها شيئا بَعْدَ حِلِّهِ . وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ من عَذَابٍ في النَّارِ وَعَذَابٍ في الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ . قال: فقال رَجُلٌ : يا رَسُولَ اللَّهِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ هِيَ مِمَّا مُسِخَ فقال النبي – ﷺ – : إِنَّ اللَّهَ –عز وجل– لم يُهْلِكْ قَوْمًا أو يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لهم نَسْلًا وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قبل ذلك)).

أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ ولا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ (٤/٢٠٥١) ح (٢٦٦٣).

١. لا تعارض بين قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ وبين﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ وذلك إن هم آمنوا لم يستأصلهم العذاب وبقوا إلى انتهاء أعمارهم ، وإن هم بقوا على كفرهم عاجلهم العذاب .
فالتقدير على أربعة أنواع وهي[1] :

الأول : تقدير عام . وهو الأصل العظيم و هو ما كتبه الله تعالى عليهم في اللوح المحفوظ وهو لا يقبل التغير ولا التبديل ، وهو ما جاء بيانه في قول الله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[2].

والثاني : تقديرٌ عقبَ خلقِ آدم ؛ وهو تقدير خاص ببني آدم وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارئٌ إلى يوم القيامة ، وقدّر الذّكر والأنثى ، والشقاوة والسعادة قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[3].

والثالث : التقدير الحولّي : ؛ وهو ما يكون ليلة القدر من كل عام .

والرابع : التقدير في الرحم ؛ وهو الذي يحصل للجنين في بطن أمه.

وعلى هذا يكون التغير والمحو في صحف الملائكة من التأخير في أعمارهم إن هم آمنوا ، أو التعجيل ومؤاخذتهم ، وعليه تحمل النصوص الدالة على زيادة العمر ، وتأخيره بحسب ما سبق في علم الله وكتبه من أسباب الزيادة والنقصان . « وعلى هذا يخرج قوله - ﷺ - صلة الرحم تزيد في العمر أي : سبب طول العمر . وقد قدر الله أنَّ هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية ولكن قدر هذا السبب وقضاه وك ذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا كما قلنا في القتل وعدمه» [4].

٢. أنّ المحو و الإثبات في المقادير لا يقعان في علم الله تعالى الأزلي ؛ لأنه يثبت صفة نقص لله – تعالى الله – عن ذلك علوا كبيرا وهو القول بالبداءة [5].

---

(١) المحو و الإثبات في المقادير (٢٢ – ٢٥).

(٢) سورة الأنعام:٣٨.

(٣) سورة الأعراف:١٧٢ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٥٠).

(٥) البداء في اللغة : من بدا ، يبدو إذا ظهر ،ومنه بادي الرأي ظاهره .تهذيب الاسماء (٣/٢١)، ولسان العرب (١/٢٧).
وفي الاصطلاح الذي يقول به اليهود : وهو ما كان سببه دالاً على إفساد الموجب لصحة الأمر الأول ، بأن يأمر لمصلحة لم تحصل فيبدوا له ما يوجب الرجوع عنه .

٣. أنَّ هذا التأويل أنسب للحاق الآية بعدها من تأكيد هذا المعنى قال تعالى : ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ .

وأكدَّ هذا المعنى ابن جُزيّ ؛ حيث قال : «هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ اجَلُهُمْ لاَ يَسْتَـٰخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1]، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا »[2]، و يتأيد بالقاعدة الترجيحية (إدخال الكلام في معاني م ا قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[3]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

يُنظر : حاشية تقريب الوصول إلى علم الأصول (٣١٣).

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢)التسهيل (٤/١٤٩).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[1].

❁ (١٤)مسألة : معنى الأطوار في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الأطوار في الآية هي: الأحوال المختلفة[2] بخلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: «وقد خلقكم أطوارا أي : طورا بعد طور ؛ يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله. وقيل: الأطوار الأنواع المختلفة، فالمعنى أن الناس على أنواع في أل وانهم ، وأخلاقهم وألسنتهم، وغير ذلك »[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ،وهما :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزي ، وهو قول ابن عباس – ﷺ – ، وقال به مجاهد والضحاك. وقتادة ، ومطر ،وابن زيد[4].و الفرَّاء ، والأخفش [5]، واقتصر عليه الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي وقدمه مكي بن أبي طالب ، وأفرده بالذكر السمعاني ، والبغوي والزمخشري ، وبيان الحق النيسابوري والنسفي [6]، و وافقهم السمين الحلبي ، وابن كثير والصاوي ، ، والمراغي ، والسعدي ، وعطية سالم وابن عاشور [7] – رحمهم الله– .

قال الطبري :« وقوله :﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ يقول : وقد خلقكم حالا بعد حال طورا نطفة وطورا

---

(١) سورة نوح : ١٤ .

(٢) الأحوال جمع حالة والحالة الكارة . يُنظر : اتفاق المباني وافتراق المعاني (١/١١٣) .

(٣) التسهيل (٤ / ٢٧٩).

(٤) سبق تخريج جميع الآثار في ص (٥٥).

(٥)سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء،البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف ب الأخفش الأوسط. نحوي، عالم باللغة والأ دب . من مؤلفاته (تفسير معاني القرآن ، و شرح أبيات المعاني و الاشتقاق و معاني الشعر). توفي سنة (٢١٥ هــ).

(٦) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٨٨) ، ومعاني القرآن للأخفش (٢٩٨)،وجامع البيان(٢٩/٩٥)،وتفسير القرآن العزيز(٥/٤٠) والكشف والبيان (١٠/٤٥)،و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٣٧) و تفسير القرآن (٦/٥٧)، و معالم التنزيل (٤/ ٣٩٨)، و الكشاف (٤/٦٢٠)،وباهر البرهان (٣ / ١٥٥٤) ، و مدارك التنزيل (٤ / ٢٩٦).

(٧) الدر المصون(٦ / ٣٨٤)، و تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٦) ،و حاشية الصاوي (٦ / ١٧٦) ، و تفسير المراغي (١٠ / ٢١١) ، و تيسير الكريم الرحمن (١/٨٨٩)، والتحرير والتنوير (١٢ /) ، وأضواء البيان (٨/٣٠٨).

علقة وطورا مضغة »[1].

القول الثاني : أنَّ الأطوار؛ هي الأنواع المختلفة [2]. أورده في معرض أقواله أبو الليث والماوردي والأصفهاني ، وابن عطية ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والقمي النيسابوري و الخازن وأبو حيَّان ، وابن عادل ، والثعالبي ، و الألوسي[3]- رحمهم الله -.

الترجيح

القول الذي تطمئن له النفس — والله أعلم بالصواب - في بيان معنى الأطوار ؛ أنها الأحوال المختلفة وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ومن معه ؛ لأن السياق في إثبات قدرة الله - ﷻ - في خلق الإنسان من العدم ، والاستدلال بالخلق الأول على المعاد فالذي قَدر أن يُنشأ من العدم قادر على الإعادة من باب أولى ، وهذا في معرض إنكار الكفار لوحدانية الله تعالى. و (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [4].

قال عطية سالم — رحمه الله تعالى - : «...أنَّ الآية في قضية الخلق وهو الإيجاد الأول؛ لأن ما بعد الإيجاد صفات عارضة وقد جاء نظير الآية في سورة المؤمنون كما قدمنا وقد ذيلت بقوله تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[5]. ومنها أنَّ الآية سِيقت في الدلالة على قدرة الله على بعثهم بعد موتهم موتهم ؛ لمجازاتهم فكان الأنسب بها أن يكون متعلقها كمال الخلقة والقدرة على الإيجاد والأنسب لهذا المعنى هو خلقهم من نطفة أمشاج وماء مهين ثم تطويرها إلى علقة ثم تطوير العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاماً ثم كسو العظام لحماً ثم نشأته نشأة أخرى . إنها قدرة باهرة وسلطة قاهرة [6]» . و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) جامع البيان (٢٩/٩٥).

(٢) النوع اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص. التعريفات (١/ ٣١٦) .

(٣) بحر العلوم (٣/٤٧٧)، والنكت والعيون (٦ / ١٠٢) ، و المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٠٩)، والمحرر الوجيز (٥/ ٣٧٤) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣١١)، و زاد المسير(٨/ ٣٧١)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٠٣)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٦٤) ، ولباب التأويل(٦ / ٢٨٤) ، والبحر المحيط(٨/ ٣٣٣ — ٣٣٤)، و اللباب (١٩ / ٣٨٨) والجواهر الحسان (٤/ ٣٤٤) ، وروح المعاني (٢٩/٧٤).

(٤) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٥) سورة المؤمنون:١٤.

(٦) أضواء البيان(٨/ ٣٠٨).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ﴾[1].

❀ (١٥)مسألة : هل تشبيه الأرض بالبساط ينفي كرويتها [2].

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جزيٍّ أنَّ الله تعالى شبّه الأرض بالبساط في امتدادها ولا ينفي ذلك كروية الأرض.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « شبّه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها ، وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل[3]، وفي ذلك نظر» [4].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقا للرازي والبيضاوي ، وتبعهم الخفاجي ، والألوسي وابن عاشور[5] – رحمهم الله-.

قال الرازي عند تفسير لقول الله تعالى :﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾[6].

« ومن الناس من زعم أن الشرط في كون الأرض فراشاً أن لا تكون كرة، واس تدل بهذه الآية على أن الأرض ليست كرة، وهذا بعيد جداً، لأن الكرة إذ ا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه، والذي يزيده تقريراً أن الجبال أوتاد الأرض ثم يمكن الاستقرار عليها، فهذا أولى والله أعلم» [7].

(١) سورة نوح:١٩ .

(٢) إثبات كروية الأرض لاخلاف فيه في العصر الحديث ، وكان يعد خلافًا في العصور المتقدمة ، ولولا حاجتي لإثبات مسائل ابن جُزيّ ما أثبتها .

(٣) علم التعديل : هو علم يتعرف منه كيفية تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات فيهما عند تفاوتها في الصيف والشتاء . يُنظر : أبجد العلوم (٢ / ١٧٠).

(٤) التسهيل (١٥١/٤).

(٥) التفسير الكبير (٩٥/٢) ، وأنوار التتريل (٣٩٤/٥) ، وحاشية الشهاب (٩ / ٢٨٥) ،و روح المعاني(٧٦/٢٩)، والتحرير والتنوير((١٢ / ٢٠٥) .

(٦) سورة البقرة:٢٢ .

(٧) التفسير الكبير (٩٥/٢).

القول الثاني : تشبيه الأرض بالبساط يقتضي أنها مبسوطة .وقال به الماوردي ، وابن عطية والقرطبي والنسفي، والخازن ، وأبو حيَّان ، وابن عادل [(١)] .

قال ابن عطية : « ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ يقتضي ظاهره أن الأرض بسيطة و غير كروية واعتقاد أحد الأمرين غير قادح في نفسه اللهم إلا أن يتركب على القول بالكروية نظر فاسد وأما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى وهو الذي لا يلحق عنه فساد البتة ، واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور فقال لو كانت الأرض كروية لما استقر الماء عليها» [(٢)].

قال أبو حيَّان : «تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بسا طه. وظاهره أن الأرض ليست كروية بل هي مبسوطة» [(٣)].

الترجيح

الراجِّح – والله أعلم بالصواب – أنَّ الله تعالى شبه الأرض بالبساط في امتدادها ، ولا يعنى ذلك أن الأرض غير كُروية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ويؤيد هذا القول ما يلي :

١. أن القول بكروية الأرض جاء القرآن بإثباته وعليه الإجماع.

قال الشيخ عطية سالم- رحمه الله – : « أما أقوال العلماء في شكل الأرض فإن أجمع ما وقفت عليه وأصرح وأبين هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الهلال جاء فيها قال في موضع منها قوله وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة .قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[(٤)]وقال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[(٥)] ، وقال تعالى : ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[(٦)].قال ابن عباس – رضي الله عنه – : في فلكة مثل فلكة المغزل وهكذا هو في لسان العرب الفلك الشيء المستدير ... والتَّكوير هو: التدوير، ومنه قيل: كار العمامة وكورها ؛ ولهذا يقال:

---

(١) النكت والعيون (٦ / ١٠٢) ، والمحرر الوجيز(٣٧٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن(٣٠٦/١٨) ، ومدارك التتزيل (٤ / ٢٩٦)، و لباب التأويل(٦ / ٢٨٥) ،و البحر المحيط(٣٣٤/٨)، و اللباب (١٩ /٣٩١) .

(٢) المحرر الوجيز (٣٧٥/٥).

(٣) البحر المحيط (٣٣٤/٨).

(٤) سورة فُصِّلَت:٣٧.

(٥)سورة الأنبياء:٣٣.

(٦) سورة يس:٤٠.

للأفلاك كروية الشكل ؛ لأن أصل الكرة كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً [1]».

٤. إنَّ بسط الأرض و مدها لا يفهم منه أن الأرض مسطحة ، ويتبين ذلك حينما نرى الأرض ممتدة ومبسوطة في أي موضع نسير عليه ، ولا يتحقق ذلك إلا للشكل الكروي ؛لأن الأشكال الأخرى لابد لها من حافة تنتهي عندها.

وبين هذا المعنى الشيخ عطية سالم فقال: « ومن جهة العقل أيضًا يقال إن أكمل الأجرام هو المستدير كما قال في قوله : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[2]وعليه فلو قدر لسائر على وجه الأرض وافترضنا الأرض مسطحة كسطح البيت أو القرطاس مثلاً لكان لهذا السائر من نهاية ينتهي إليها وهي منتهى التسطيح أو يسقط في هاوية وباعتبارها كرة ، فإنه يكمل دورته ويكررها ولو سار طيلة عمره لما كان لمسيره منتهى لأنه؛ يدور على سطحها من جميع جهاتها والعلم عند الله تعالى» [3]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) أضواء البيان (٨/٤٢٧).

(٢) سورة المُلك:٣.

(٣) المرجع السابق .

قول الله – ﷻ – :﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾[1].

❁ (١٦)مسألة : المراد بالدخول في قوله تعالى : ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ .

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ قوم نوح – ﵇ – أدخلوا نارا في الآخرة وعُبر عن ذلك بالفعل الماضي لتحققه.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال :«يعني جهنم ، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقق . وقيل: أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال» [2].

العرض والمناقشة :

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جزي موافقا الطبري، وأبو الليث ، والواحدي ، والسمعاني وابن الجوزي [3].وأورده البغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وأبو حيَّان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي [4] – رحمهم الله–.

قال الإمام الطبري : «وقوله ﴿ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ جهنم فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا تقتص لهم ممن فعل ذلك بهم ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم»[5].

قال السمعاني : «﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ يعني أغرقوا في الدنيا وأدخلوا نارا في الآخرة» [6]

القول الثاني: أنم أدخلوا نارا في البرزخ ، وهو مروي عن الضحاك [7].

وقال به الثعلبي ، والرازي ، والنسفي ، والخازن ،وابن كثير ، وابن عادل ، والشربيني ، والمراغي

---

(١) سورة نوح:٢٦ .

(٢) التسهيل (١٥١/٤).

(٣) جامع البيان(١٠٠/٢٩)،و بحر العلوم (٤٧٨/٣) ، والوسيط (٤ / ٣٦٠) ، وزاد المسير (٣٧٤/٨).

(٤) معالم التنزيل (٤٠٠/٤)، والكشاف(٦٢٣/٤)، والمحرر الوجيز (٣٧٦/٥)، و زاد المسير (٣٧٤/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٨)، والبحر المحيط(٣٣٧/٨)، وإرشاد العقل السليم (٤١/٩)، وفتح القدير (٣٠١/٥)، وروح المعاني(٧٩/٢٩).

(٥) جامع البيان(١٠٠/٢٩).

(٦) تفسير القرآن (٦٠/٦)،

(٧) لم أقف عليه مسندا ، و وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل (٤٠٠/٤)، و الكشاف(٦٢٣/٤)، و زاد المسير (٣٧٤/٨)، و الجامع لأحكام القرآن ٣١١/١٨).

والسعدي[1] – رحمهم الله – .

واستُدل عليه أن الفاء للتعقيب وهذا يقتضي دخولهم النار بعد الغرق .

قال الرازي : « تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله :﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ وذلك من وجهين الأول : أن الفاء في قوله:﴿ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق ، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة ، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء . الثاني : أنه قال: ﴿ فَأُدْخِلُوا۟﴾ فَادْخُلُواْ على سبيل الإخبار عن الماضي وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك .. » [2].

القول الثالث : أنَّ المراد بالدخول في الآية عرضهم على النار في قبورهم ، وعُبر عنه بالعرض كقوله تعالى في آل فرعون : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[3]ذكره ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيَّان ، و البقاعي[4] – رحمهم الله– .

الترجيح

الراجح ــ والله تعالى أعلم بالصواب ــ أنَّ قوم نوح – عليه السلام – أُدخلوا نارًا في الآخرة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ومن معه؛ لأنه الموافق لظاهر الآية ، و (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)[5].

و مما يّؤيد هذا المعنى :

١. أن دخول الكفار النار بأجسادهم لا يكون إلا في الآخرة كما في قول الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[6] . وقوله تعالى :

---

(١)الكشف والبيان ١٠/ ٤٧ ، و التفسير الكبير ١٢٩/٣٠ ، و مدارك التنزيل ٢٨٥/٤، و لباب التأويل (٦ / ٢٨٧) ، و تفسير القرآن العظيم ٤٢٨/٤ ، و اللباب (١٩ / ٤٠٠) ، و السراج المنير (٨ / ١١٤)، و تفسير المراغي (٢١٥/١٠)، و تيسير الكريم الرحمن (٨٨٩/١).

(٢) التفسير الكبير (١٢٩/٣٠) .

(٣) سورة غافر:٤٦ .

(٤) المحرر الوجيز(٣٧٦/٥)، و الجامع لأحكام القرآن(٣١١/١٨)، و البحر المحيط (٣٣٧/٨)، ونظم الدرر (٨ / ١٧٦)

(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٣٧).

(٦) سورة النساء:١٤.

﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1].

٢. أن الله تعالى فرَّق بين الدخول والعرض في قصة قوم فرعون. قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[2]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) سورة النحل:٢٩.

(٢) سورة غافر:٤٦ .

قول الله – ﷻ – : ﴿ رَّبِّ إغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ اِلظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ﴾[1]. وفي الآية مسألتان وهما :

۞ (١٧)المسألة الأولى: المراد بالبيت في قول الله تعالى : ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بقول نوح عليه السلام " بيتي " أي : داره .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ قيل: بيته المسجد. وقيل : السفينة. وقيل: شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد. وقيل: داره وهذا أرجح ؛لأنه الحقيقة» [2].

العرض والمناقشة :

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا المروي عن ابن عباس [3]– رضي الله عنهما – .

ووافقه ابن كثير ، والألوسي [4] . وأورده في معرض الأقوال الثعلبي ، والماوردي ، والواحدي والبغوي والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري والخازن ، وأبو حيان ، والبلنسي [5]، والشربيني ، وأبو السعود ، والصاوي والشوكاني ، والقاسمي

(١) سورة نوح:٣٠ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤).

(٣) وقفت عليه منسوبا في النكت والعيون (٦ / ١٠٦) ، وزاد المسير(٣٧٥/٨)، والجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم(٤٢٨/٤)، وروح المعاني(٨١/٢٩).

(٥) محمد بن علي بن أحمد الأوسي، أبو عبد الله البلنسي . وُلد سنة (٧٢٤ هـ). عالم بالعربية، أندلسي. من أهل غرناطة، من كتبه (صلة الجمع وعائد التذييل). تُوفي سنة (٧٨٢ هـ).

يُنظر : الدرر الكامنة (٣٤٤/٥) ، و الأعلام (٦ / ٢٨٦).

(٦) الكشف والبيان(٤٨/١٠)، و النكت والعيون (٦ /١٠٦) ، والوسيط (٤ /٣٦٠) ، ومعالم التنزيل (٤٠٠/٤) والكشاف(٤ /٦٢٣)، والوجيز(٣٧٧/٥)،وزاد المسير(٣٧٥/٨)، و التفسير الكبير(١٣٠/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١٨)، ومدارك التنزيل(٢٩٨/٤)، و غرائب القرآن (٦ / ٣٦٦) ، و لباب التأويل (٦ / ٢٨٧) ، و البحر المحيط (٣٣٧/٨)، و تفسير مبهمات القرآن (٢ / ٦٥٤) ، و السراج المنير (٨ / ١١٦) ، و إرشاد العقل السليم (٤٢/٩)، وحاشية الصاوي (٦ / ١٧٨) ، وفتح القدير(٣٠٢/٥)، و محاسن التأويل (٩ / ٣٩٩٢) .

رحمهم الله- .

قال ابن كثير :« قال الضحاك : يعني مسجدي ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل مترله وهو مؤمن [1]» .

وقال الألوسي بعد عرض الأقوال : « والمتبادر المترل [2]».

القول الثاني : المسجد. وهو مروي عن ابن عباس [3]، وقال به الضحاك [4]ونصَّ عليه الطبري ، وابن وابن العربي [5]. وممن أورده الثعلبي ، والماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري [6] .

قال الطّبري : « يقول ولمن دخل مسجدي ومصلاي مصليا مؤمنا يقول مصدقا بواجب فرضك عليه »[7] .

القول الثالث : السفينة . وممن أورده الثعلبي ، والبغوي ، والز مخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي [8].

وهذا معنى مرجوح ؛ لأنه إيراد بلا دليل صحيح يقوم عليه ،ولا يصح حمل الآية على تفسيرات لأمور غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة .

القول الرابع : شريعته . وهو مروي عن ابن عباس [9] - رضي الله عنه - ، وأورده الماوردي ، وابن عطية والرازي ، والقرطبي ، والقمي النيسابوري ، وأ بي حيان ، والبلنسي ، وابن عادل والثعالبي والشوكاني

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٨).

(٢) روح المعاني(٢٩/٨١).

(٣) وقفت عليه منسوبا في البحر المحيط (٨/٣٣٧)، واللباب (١٩ / ٤٠٢) ، والجواهر الحسان(٤/٣٤٥).

(٤) وقفت عليه منسوبا في لنكت والعيون (٦ / ١٠٦) ، ومعالم التتريل (٤/٤٠٠)، وزاد المسير(٨/٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/٣١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٨)، ذكره السيوطي في الدر المنثور(٨/٢٩٥)وعزاه لابن المنذر .

(٥) جامع البيان(٢٩/١٠١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/٣١٣).

(٦) الكشف والبيان (١٠/٤٨)،والنكت والعيون(٦ /١٠٦) ، والوسيط (٤ / ٣٦٠)، ومعالم التتريل (٤/٤٠٠) والكشاف(٤/٦٢٣).

(٧) جامع البيان (١٤ / ١٠٧).

(٨) الكشف والبيان (١٠/٤٨) ، و معالم التتريل (٤/٤٠٠)، و الكشاف(٤/٦٢٣) ، والمحرر الوجيز(٥/٣٧٧)، و زاد المسير (٨/٣٧٥).

(٩) لم أقف على إسناده ، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز(٥/٣٧٧)، وابن عادل في اللباب (١٩ / ٤٠٢)، والثعالبي في الجواهر الحسان(٤/٣٤٥) .

[1] – رحمهم الله –.

قال ابن عطية : « وقال ابن عباس : أيضاً بيته : شريعته ودينه ، استعار لهما بيتاً ، كما يقال : قبة الإسلام وقسطاط الدين»[2] .

وهذا القول مرجوح أيضا ؛ لأنه صرف للفظ عن حقيقته . والواجب في نصوص الوحي حملها على حقيقتها .

قال الإمام ابن عبد البر : « وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه – ﷺ – على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق لأنه ؛ يقصُّ الحق وقوله الحق تبارك وتعالى... [3]» .

الترجيح

الأقرب إلى الصواب – والله تعالى أعلم – أن " البيت " في الآية يصح حمله على ظاهره ويحمل كذلك على المسجد ؛ لأن اللفظ يحتمله .

قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – : «لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع [4]» .

فالبيت يصح إطلاقه على الدار ؛ لأنه المعنى المتبادر إلى الذهن ، وظهوره آم ارة رجحانه .ويصح إطلاقه على المسجد لثبوت الدليل عليه ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5].

ومن السنة ما رواه عَطَاءٍ ﷺ قال سمعت ابن عَبَّاسٍ– ﷺ – قال: لَمَّا دخل النبي – ﷺ – الْبَيْتَ دَعَا في نَوَاحِيهِ كُلِّهَا و لم يُصَلِّ حتى خَرَجَ منه فلما خَرَجَ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ في قُبُلِ الْكَعْبَةِ وقال : ((هذه الْقِبْلَةُ)) [6]. و الله تعالى أعلم.

---

(١) النكت والعيون (٦ /١٠٦) ، و المحرر الوجيز (٣٧٧/٥)، و التفسير الكبير (١٣٠/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١٨)، و غرائب القرآن (٦ / ٣٦٦)،والبحر المحيط (٣٣٧/٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢ / ٦٥٤) واللباب (١٩ / ٤٠٢) ، والجواهر الحسان(٣٤٥/٤) ، و فتح القدير(٣٠٢/٥).

(٢)المحرر الوجيز(٣٧٧/٥).

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٣٩٢) .

(٤) عقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن من خلال أضواء البيان (١٥٠) .

(٥) سورة البقرة:١٢٧ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الصلاة ، باب بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :﴿وَاتَّخِذُوا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى﴾ (٥٧٩/٢)ح

❁ (١٨)المسألة الثانية : هل دعاءُ نوح – عليه السلام – خاصٌ أم عامٌ في الآية ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جُزيّ أنَّ الدعاء بالمغفرة عام لكلِّ مؤمن و مؤمنة .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال :« هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك ،خلافا لمن قال من المتأخرين: أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم وهذا خطأٌ ، وتضييق لرحمة الله الواسعة.

قال بعض العلماء : إنَّ الإله الذي استجاب لنوح –عليه السلام– فأغرق بدعوته جميع أهلِ الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات » [(١)].

العرض والمناقشة :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزي موافقا للمروي عن الضّحاك [(٢)]، وما قال به الطبّري، و القصّاب ، وأبو الليث ، و الواحدي ، والسّمعاني ،والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ،وابن الجوزي والقرطبي ، والقمي النيسابوري ، ووافقهم الخازن ، وأبو حيَّان ، وابن كثير وابن عادل والبقاعي والشربيني وأبو السعود ،وجلال الدين المحلّي ، و الشوكاني ،والألوسي ،والسعدي [(٣)] – رحمهم الله –

.(٣٨٩)

وأخرجه مسلم من رواية عطاء قال : أَسَمِعْتَ بن عَبَّاسٍ يقول: ((إنما أُمِرْتُمْ بِالطَّوَافِ و لم تُؤْمَرُوا بِدُخُولِهِ قال لم يَكُنْ يَنْهَى عن دُخُولِهِ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يقول أخبرني أُسَامَةُ بن زَيْدٍ أَنَّ النبي – ﷺ – لَمَّا دخل الْبَيْتَ دَعَا في نَوَاحِيهِ كُلِّهَا و لم يُصَلِّ فيه حتى خَرَجَ فلما خَرَجَ رَكَعَ في قُبُلِ الْبَيْتِ رَكْعَتَيْنِ وقال هذه الْقِبْلَةُ قلت له ما نَوَاحِيهَا أَفِي زَوَايَاهَا قال بَلْ في كل قِبْلَةٍ من الْبَيْتِ)). كتاب الحج ،باب اسْتِحْبَابِ دُخُولِ الْكَعْبَةِ لِلْحَاجِّ وَغَيْرِهِ وَالصَّلَاةِ فيها وَالدُّعَاءِ في نَوَاحِيهَا كُلِّهَا (٩٦٨/٢) ح (١٣٣٠).

(١) التسهيل(١٥٢/٤).

(٢) وقفت عليه منسوبا في النكت والعيون (٦ / ١٠٦) ، والجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨) ، واللباب (١٩ / ٤٠٣) .

(٣) جامع البيان(١٠١/٢٩)، و نُكت القرآن (٤ / ٤٢٦) ، و بحر العلوم (٤٧٩/٣)، والوسيط (٤ / ٣٦٠) ، وتفسير القرآن (٦/ ٦١) ، ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل (٤٠٠/٤)، والكشاف(٦٢٣/٤)، والمحرر الوجيز (٣٧٧/٥) وزاد المسير (٣٧٥/٨) والجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١٨)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٦٦) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٦ / ٢٨٧) ، و تفسير البحر المحيط (٣٣٧/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٢٩/٤)، واللباب (١٩/ ٤٠٣) ونظم الدرر (٨ / ١٧٩) ، والسراج المنير (٨ / ١١٦) ، و إرشاد العقل السليم (٤٢/٩) ، وحاشية الصاوي (٦ / ١٧٨) ، وفتح القدير (٣٠٢/٥)، وروح المعاني(٨١/٢٩) ، وتيسير الكريم الرحمن(٨٩٠/١).

قال القرطبي :« ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ عامة إلى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والأول أظهر » [1].

القول الثاني : أنَّ الدعاء بالمغفرة خاص بقوم نوح - عليه السلام - . أورده القرطبي ، وابن عادل والشربيني [2]- رحمهم الله- .

القول الثالث : أنَّ الدعاء بالمغفرة خاص بأمة النبي - ﷺ - . وهو مروي عن الكلبي [3] وذكره الثعلبي ، والقرطبي ، وابن عادل ، والشربيني [4]- رحمهم الله -.

قال الثعلبي :« وقال الكلبي من أُمّة محمد صلى الله عليه وسلم» [5].

وهذا القول يفتقر لصحة الدليل .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ الدعاء بالمغفرة على وجه العموم يدخل فيه كل مؤمن ومؤمنة إلى قيام الساعة ، وهو ما ذهب إليه ابن جزي و أكثر المفسرين ؛ لأن الأصل حمل نصوص الوحي على عمومها ما لم يرد دليل على التخصيص [6] .

وهذا الأصل قرره ابن جزي رحمه الله في مقدمة تفسيره حيث قال : « تقديم العمومي على الخصوصي ، فإن العمومي أولى ؛ لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص» [7].

ويؤيّده أنَّ الدعاء بالمغفرة على وجه العموم ثابت بنصوص الكتاب كما في قول الله – عز وجل - عن حملة العرش: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨)، واللباب (١٩ / ٤٠٣) ، والسراج المنير (٨ / ١١٦) .

(٣) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨)، واللباب (١٩ / ٤٠٣).

(٤) الكشف والبيان (٤٨/١٠)، والجامع لأحكام القرآن(٣١٤/١٨) ، واللباب (١٩ / ٤٠٣) ، والسراج المنير (٨ / ١١٦).

(٥) الكشف والبيان (٤٨/١٠).

(٦) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٧) التسهيل (٩/١).

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[1].

وأمر نبيَّ بذلك بقوله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[2]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) سورة غافر:٧ .

(٢) سورة محمد:١٩ .



ثالثاً : سورة الجنّ

قول الله – ﷻ – : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[1].

❁ (١٩)مسألة : في إعراب ﴿عَجَبًا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " عجباً " مصدر وصف به للمبالغة .

مجمل ما ذكره في الآية :

«و ﴿ عَجَبًا﴾ مصدر وصف به للمبالغة ؛ لأن العجبَ مصدر قولك عجبت عجباً . وقيل : هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب» [2].

العرض والمناقشة :

ذكر المفسرون في إعراب " عجبا " ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للزمخشري ، و ما قال به الرازي ، البيضاوي،و النسفي و القمي النيسابوري ، و وافقهم أبو حيان ، والشربيني ، وأبو السعود ، و الألوسي وابن عاشور – رحمهم الله تعالى– [3].

قال الزمخشري : « وعجب مصدر يوضع موضع العجيب . وفيه مبالغة : وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره »[4].

قال أبو حيان : «﴿عَجَبًا﴾ وصفاًبالمصدر على سبيل المبالغة ، أي : هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مبايناً لسائر الكتب والعجب ما خرج عن أحد أشكاله ونظائره » [5].

---

(١) سورة الجن:١.

(٢) التسهيل (١٥٢/٤).

(٣) الكشاف (٦٢٥/٤)،التفسير الكبير (١٣٦/٣٠)، وأنوار التنزيل(٣٩٧/٥)، ومدارك التنزيل(٢٩٨/٤)، وغرائب القرآن(٦ / ٣٦٩)،والبحر المحيط (٣٤٠/٨)،والسراج المنير(١٢٠/٨)،و إرشادا لعقل السليم(٤٢/٩)، وروح المعاني(٨٣/٢٩)،والتحرير والتنوير (٢٢١/١٢) .

(٤) الكشاف (٦٢٥/٤).

(٥) البحر المحيط(٣٤٠/٨).

الوجه الثاني : أنَّ ﴿عَجَبًا﴾ " عجبًا " وصف على حذف مضاف تقديره " ذا عجب " ذكره السمين الحلبي ، وابن عادل ، والشوكاني-رحمهم الله تعالى- [١].

الوجه الثالث : أنَّ ﴿عَجَبًا﴾ بمعنى مُعجِب على اسم الفاعل . ذكره السمين الحلبي ، وابن عادل والشوكاني-رحمهم الله- [٢].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ ﴿عَجَبًا﴾ مصدر وُصِف به للمبالغة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ-رحمه الله تعالى- ؛ لأن الكلام مستقيم معناه دون الافتقار إلى تقدير بخلاف القول الثاني ، و (القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار [٣]) . ويؤيّده :

١. أنَّ (التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم) [٤]، وفيه دلالة على أن القرآن في كل لفظة ومعنى منه إلا وهو عجيب ، وهذا مصدر إعجازه فلا يستطيع أحد أن يحاكي نظمَه وبيانه كما قال الله – ﷻ – :
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٥]. « والوصفُ بالمصدرِ فيه مبالغةٌ في التعبير ، إذ فيهِ ادّعاءُ أنّ ذاتَ الشيء صارت عينَ مفهوم المصدَر ، فهنا يقوم التَّصورُ على أنَّ ذات المقروءِ من كثرةِ عجائبه صارت عجباً ، فلا شيءَ من عناصره وأجزائه إلا هو عجب »[٦].

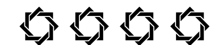
٢. أنَّ العجب (روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء ؛ لخفاء سببه) اهـ [٧].

قال ابن منظور : « والعَجَبُ إِنكارُ ما يَرِدُ عليك لقِلَّةِ اعْتِيادِه» [٨].

---

(١) الدر المصون (٣٨٩/٦)، واللباب (٤١٠/١٩)، وفتح القدير (٣٠٣/٥).
(٢) المراجع السابقة .
(٣) قواعد الترجيح (٤٢١/٢) .
(٤) قواعد التفسير (١/ ٢٦٤) .
(٥) سورة الإسراء:٨٨ .
(٦) معارج التفكر ودقائق التدبر (٥٦٧/٥) .
(٧)كتاب الكليات (٦٥٥/١).
(٨)لسان العرب (٥٨٠/١).

فالله – ﷻ – أخبر عن قيل هؤلاء النفر بقولهم : إنا سمعنا قرآنا عجبا " أي عجيبا في إيجازه وإعجازه فهم على خلقتهم من نار وبعدهم وعتوهم إلا أنهم وقفوا عند بديع إتقانه وإعجازه وتهافتت أسماعه م إلى إسراره ، فلم يستطيعوا أن يصفوه إلا بكلمة واحدة " عجبا " لم تطرق آذانهم من قبل مثل روعته فما ملكت قلوبهم إلا أن يؤمنوا به . و الله تعالى أعلم .



قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[1]في الآية مسألتان وهما:

❁ (٢٠)المسألة الأولى : في معنى:﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجح أنَّ معنى جدُّ الله تعالى في الآية جلال الله وعظمته .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: « ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾. جدُّ الله جلاله وعظمته . وقيل: معناه من قولك : فلان مجدود إذا استغنى»[2].

العرض و المناقشة :

اختلف في معنى " جدّ ربنا " على ثلاثة أقوالٍ وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول مجاهد [3]، وعكرمه [4]، وقتادة [5].

وقال به الطبري ، والزجاج ، والقصّاب ، وابن أبي زمنين ، ومكي بن أبي طالب ،و الواحدي وابن عطية ، وبيان الحق ، والنسفي ، وحكاه أبو حيَّان ، والثعالبي ، والألوسي عن الجمهور[6] واقتصر عليه السعدي ، وابن عاشور-رحمهم الله تعالى- [7].

قال الطبري : « وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : عُنِي بذلك: تعالت عظمة ربنا وقُدرته وسلطانه » [8].

وقال الواحدي : « ومعنى﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾جلال ربنا وعظمته . يقال : جد فلان أي عظم ومنه

---

(١) سورة الجن : ٣ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان(١٠٤/٢٩)، ولفظه قال : (جلال ربنا) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : المرجع السابق(١٠٤/٢٩)، بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه : المرجع السابق (١٠٣/٢٩)، ولفظه (أي تعالى جلاله وعظمته وأمره) .

(٦) جامع البيان (١٠٥/٢٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٥ / ١٨٢) ، نُكت القرآن (٤ / ٤٢٧) ،وتفسير القرآن العزيز (٤٣/٥) والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٦٠) ، والوسيط (٣٦٣/٤)، والمحرر الوجيز (٣٧٩/٥)، وباهر البرهان (١٥٥٨/٣) ومدارك التنزيل (٢٩٩/٤)، والبحر المحيط (٣٤١١٠/٨)، والجواهر الحسان (٣٤٦/٤)، وروح المعاني (٨٤/٢٩).

(٧) تيسير الكريم الرحمن (٨٩٠/١)، والتحرير والتنوير(٢٢٢/١٢).

(٨) جامع البيان (١٠٥/٢٩) .

الحديث ((كان الرجل إذا قرأ البقرة جد فينا أي : عظم قدره [1])) »[2].

القول الثاني : غنى ربنا ، وهو مروي عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- [3]، و قال به عكرمة [4] وأورده الطبري ، والثعلبي ، والمهدوي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والرازي ، والقرطبي والخازن ، والقمي النيسابوري ، وأبو السعود-رحمهم الله تعالى- [5].

واستُدل عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((...ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ [6])). أي : لا ينفع ذا الغنى من غناه .

وحديث ((قُمْتُ على بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ من دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ [7])) يعني أصحاب الغنى في الدنيا .

---

(١) جزء من حديث أخرجه أخرجه أحمد (١٢١/٣) ح (١٢٢٣٧) من رواية أنس – رضي الله عنه – قال:(كان رَجُلٌ يكْتُبُ بين يدي رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قد قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وكان الرَّجُلُ إذا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ يُعَدُّ فِينَا عَظِيما).

وأخرجه ابن حبان في صحيحه من هذا الوجه بلفظ " عد فينا ذو شأن " (١٩/٣) ح (٧٤٤).

وأصله عند البخاري من رواية عبد العزيز بن صهيب في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام (١٣٢٥/٣)ح(٣٤٢١) . وعند مسلم من رواية ثابت كلاهما عن أنس كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٢١٤٥/٤) ح (٢٧٨١)

ولفظه عند البخاري : (كان رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَعَادَ نَصْرَانِيًّا فَكَانَ يقول : ما يَدْرِي مُحَمَّدٌ إلا ما كَتَبْتُ له فَأَمَاتَهُ الله فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وقد لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ .فَقَالُوا :هذا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ منهم نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا له فَأَعْمَقُوا فَأَصْبَحَ وقد لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ . فَقَالُوا :هذا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ منهم فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا له وَأَعْمَقُوا له في الأرض ما اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ قد لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ ليس من الناس فَأَلْقَوه).

(٢) الوسيط (٣٦٣/٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن(٨/١٩).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٠٤/٢٩)، ولفظه قال : (غنى ربنا) .

(٥) جامع البيان (١٠٤/٢٩) ،والكشف والبيان(٥٠/١٠) ،والتحصيل (أ/١٧٦)، وتفسير القرآن (٦/ ٦٤)،والكشاف (٦٢٦/٤) والتفسير الكبير(١٣٧/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٨/١٩)، وغرائب الفرقان (٣٦٩،٣٧٠/٦)، ولباب التأويل (٢٩٠/٦)، وإرشاد العقل السليم (٤٣/٩) .

(٦) لفظ الحديث عند البخاري من رواية وَرَّادٍ مولى الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ قال : كَتَبَ الْمُغِيرَةُ إلى مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – كان يقول في دُبُرِ كل صَلَاةٍ إذا سَلَّمَ : ((لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهم لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ)).

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء بعد الصلاة (٢٣٣٢/٥) ح ٥٩٧١ .

(٧) لفظ الحديث عند البخاري عن أُسَامَةَ مرفوعاً ((قُمْتُ على بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ من دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ غير أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قد أُمِرَ بِهِمْ إلى النَّارِ وَقُمْتُ على بَابِ النَّارِ فإذا عَامَّةُ من دَخَلَهَا النِّسَاءُ)).

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٢٣٩٧/٥)ح (٦١٨١) .

و أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٢٠٩٦/٤) ح (٢٧٣٦) بنحوه.

القول الثالث : آلاء الله تعالى ونعمه على خلقه ، وهو مروي عن ابن عباس [1]- رضي الله عنه - وقال به الضحاك [2]، والقرظي[3] ، وأورده الراغب الأصفهاني ، و البغوي ، القرطبي ، والخازن ، وابن كثير - -رحمهم الله تعالى- [4].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن معنى ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ جلال الله تعالى وعظمته ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين ؛ لأنه قول عام تدخل فيه الأقوال الأخرى دون تدافع وما ورد عن السلف من الأقوال الأخرى فهي تفسير بلازم المعنى يحتمله القول الأول . و (حمل نصوص الوحي على العموم أولى) [5] . ويُؤيده :

١. دلالة اللغة : فالجد في اللغة يطلق على أبي الأب وأبي الأم وهذا لا يصح أن يكون ما قصده الجن ،؛لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[6] والجدُّ البخت والحظوة و الجد الحظ يقال هم يجدون بهم ويحظون بهم أي يصيرون ذا حظ وغنى اهـ [7]
.

قال مكيّ بن أبي طالب : «والجد في اللغة على وجوه ، منها : الجد أبو الأب ، وأبو الأم ، والجدّ : الحظّ وهو البخت بالفارسية ، والجد العظمة . والجد مصدر جَدَدْتُ الشيء جَدّا ، ولا يليق بهذا الموضع من كتاب الله من هذه الوجوه إلا العظمة»[8].

٢. أنَّ سياق الآية يدل عليه ، فإن الجن نزهوا الله تعالى بقولهم :﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾لكمال علوه وعظمته وغناه عن خلقه .و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[9] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٨) .

(٣) وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل (٤/٤٠١)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٨).

(٤)وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (١٩/٨)، ولباب التأويل (٦/٢٩٠)، (٤/٣٨٧) ، تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٩) .

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (١/٥٢٧).

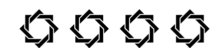
(٦) سورة الجن:٢ .

(٧)لسان العرب (٣/١٠٧).

(٨)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٦٠)

(٩)قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

قال الإمام الطبريّ – رحمه الله – : « وإنما عنوا أنّ حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية فلا يكون له صاحبة ولا ولدًا؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها ، وأنّ الولد إنما يكونُ عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد فقال النفر من الجن : علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة أو وقاع شيء يكون منه ولد »[1] .و الله تعالى أعلم.



(١)جامع البيان (٢٩/١٠٥).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾[1] .

❁ (٢١)مسألة : في المراد بالسفيه في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أن السفيه في هذا الموضع يُراد به إبليس.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «هذا من كلام الجن ، وسفيههم أبوهم إبليس . وقيل : هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية » [2].

العرض و المناقشة :

اختُلف في المراد بالسفيه على أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجحه ابن جُزيّ موافقاً المروي عن مجاهد [3] . و ما ذهب إليه الطبري ومكي بن أبي طالب ، والمهدوي ، و ابن عطية ، وابن الجوزي ، وبيان الحق ، و وافقهم الثعالبي وحكاه الألوسي عن الجمهور–رحمهم الله تعالى– [4].

قال الطبري–رحمه الله تعالى– : « يقول ﷻ مخبرا عن قيل النفر من الجنّ الذين استمعوا القرآن أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهنا وهو إبليس » [5].

القول الثاني : المراد بالسفيه في الآية أنه اسم جنس لكل سفيه منهم . قال به الشربيني ،وابن عاشور–رحمهما الله تعالى– [6].

قال الخطيب الشربيني–رحمه الله تعالى– : « ﴿سَفِيهُنَا﴾ هو للجنس، فيتناول إبليس رأس الجنس تناولاً أوّلياً وكل من تبعه ممن لم يعرف الله تعالى ؛ لأنّ ثمرة العقل العلم، وثمرة العلم معرفة الله تعالى، فمن لم

---

(١) سورة الجن:٤ .

(٢) التسهيل (١٥٢/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه: جامع البيان (١٠٧/٢٩)، ولفظه قال : (إبليس) .

(٤) جامع البيان (١٠٧/٢٩)،والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٦١) ، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ /١٧٧)،والمحرر الوجيز(٣٨٠/٥)،وتذكرة الأريب (٢٤٧/٢)، وباهر البرهان (١٥٥٨/٣)،والجواهر الحسان(٣٤٦/٤)،وروح المعاني (٨٥/٢٩).

(٥) جامع البيان (١٠٧/٢٩).

(٦) السراج المنير (١٢٢/٨) ، والتحرير والتنوير (٢٢٣/١٢).

يعرفه فهو الذي يقول ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الذي له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه ﴿شَطَطًا﴾ .أي: كذباً وعدواناً، وهو وصفه بالشريك والولد »[1].

القول الثالث : المراد به كافرهم . ذكره أبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والشوكاني–رحمهم الله تعالى– [2].

القول الرابع : جاهلهم . قال به مكي بن أبي طالب ، وجلال الدين المحلي ، وأورده الماوردي – رحمهم الله تعالى– [3].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ السفيه في هذا الموضع يُراد به " إبليس " وهو ما رجحه ابن جُزيّ ، وجمهور المفسرين [4] ؛ لأن " إبليس رأس السفهاء جميعا إذ عرّضَ نفسه للطرد من رحمة أرحم الراحمين فبعُد عن مواطن الرحمة والسعادة إلى العذاب السرمدي ؛ إرضاء لنزعة الكبر في نفسه ، وأخذ على نفسه العهد على إغواء كل من سلك طريق الهدى والصواب **ومما يؤيد هذا القول:**

١. أنه قول جمهور المفسرين وهو يتوافق مع القاعدة التفسيرية : (تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً)[5].
٢. أنه معنى عام تدخل فيه جميع الأقوال الأخرى دون تدافع . و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) السراج المنير (١٢٢/٨) .

(٢) بحر العلوم (٤٨١/٣)، وتفسير القرآن العزيز (٤٣/٥) ، والوسيط (٣٦٣/٤) ، و زاد المسير (٣٧٨/٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/١٩) ، وفتح القدير (٣٠٤/٥).

(٣) تفسير الجلالين (٧٧٠/١) ، والنكت والعيون (١١٠/٦) .

(٤) المحرر الوجيز (٣٨٠/٥) ، والجواهر الحسان (٣٤٦/٤) ، وروح المعاني (٨٥/٢٩) .

(٥) قواعد التفسير (٢/ ٨٠٤).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾[1] .

❁ (٢٢)مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى :﴿ فَزَادُوهُم ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن مرجع الضمير المرفوع إلى الجن والمعنى : أنّ الجنَّ زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم ، أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعْفَ عقولهم .

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : « ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس ، والمعنى : أنَّ الجن زادوا الإنسَ ضلالا وإثما لما عاذوا بهم ، أو زادوهم تخويفً ا لما رأوا ضعف عقولهم . وقيل: ضمير الفاعل للإنس، وضمير المفعول للجن، والمعنى : أنَّ الإنسّ زادوا الجن تكبرا، وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجنُّ يقول : أنا سيد الجنِّ والإنس » [2].

العرض و المناقشة :

اختُلف في عود الضمير على قولين وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا المروي عن ابن عباس [3]– رضي الله عنه – ، وقال به مجاهد [4] وعكرمة[5] وقتادة [6]وابن زيد [7].

---

(١) سورة الجن:٦.

(٢) التسهيل (١٥٣/٤).

(٣) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩) ، واللباب في علوم الكتاب (٤١٦/١٩) .

(٤) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (٤١٦/١٩) ، وفتح القدير (٣٠٥/٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عنه في (تفسير القرآن العظيم)(٣٣٧٧/١٠) ، ولفظه قال : (كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو اشد وكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادي فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون . فذلك قول الله : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ .

(٦) وقفت عليه منسوبا في تفسير القرآن العظيم (٣٨٧/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩)، وفتح القدير (٣٠٥/٥).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه: جامع البيان (١٠٩/٢٩)، ولفظه قال : (زادهم الجن خوفا) .

وما ذهب إليه الرازي ، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ، وقدمه القرطبي [(١)] – رحمهم الله – .
قال الرازي : « والمعنى أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفاً من أن يغشاهم الجن ، ثم إنهم زادوا في ذلك الغشيان فإنهم لما تعوذوا بهم و لم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤ وا عليهم فزادوهم ظلمًا. وهذا معنى قول عطاء خبطوهم وخنقوهم ، وعلى هذا القول زادوا من فعل الجن. وفي الآية قول آخر ، وهو أن زادوا من فعل الإنس : وذلك ؛ لأن الإنس لما استعاذوا بالجن ، فالجنُّ يزدادون بسبب ذلك التعوذ طغياناً فيقولون : سُدنا الجنَّ والإنس. والقول الأول هو اللائق بمساق الآية والموافق لنظمها» [(٢)].

القول الثاني : أن الزيادة من فعل الإنس ، وهو مروي عن أبي العالية [(٣)]، ومجاهدٍ [(٤)] – .
وقال به أبو الليث ، والبغوي ، والنسفي ، وقدّمه القمي النيسابوري ، وأبو حيَّان ، وجلال الدين المحلِّي –رحمهم الله تعالى– [(٥)] .

قال أبو حيان : « والظاهر أن الضمير المرفوع في ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾ عائد على ﴿رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ إذ هم المحدث عنهم » [(٦)].

الترجيح

أرى – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على كلا القولين ؛ لأن المزايدة واقعة على العائذين، والمستعاذُ بهم ، و حصول أثر ذلك واقع عليهما . والمعنى أنّ الجن زادوا الإنس إثما وضلالة ، وهم زادوهم باستعاذتهم بهم تكبرا وطغيانا، وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع ، حُمل عليه) [(٧)]. **و مما يؤيده دلالة اللغة** فالرهق يأتي في اللغة بمعنى السفه ، والجهل ، والإثم ، وغشيان المحارم .

---

(١) التفسير الكبير (١٣٨/٣٠)،و تفسير القرآن العزيز (٤٣/٥) ،و الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩).

(٢) التفسير الكبير (١٣٨/٣٠).

(٣) فتح القدير (٣٠٥/٥).

(٤) البحر المحيط (٣٤١/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (٤١٦/١٩)، والجواهر الحسان (٣٩١/٣) وروح المعاني (٨٥/٢٩).

(٥) بحر العلوم (٤٨١/٣)،ومعالم التنزيل (٤٠٢/٤)، ومدارك التنزيل (٢٩٩/٤)، غرائب القرآن (٦ / ٣٧١) ،والبحر المحيط (٣٤١/٨) وتفسير الجلالين (٧٧١/١).

(٦) البحر المحيط (٣٤١/٨).

(٧) قواعد التفسير (١/ ٤٠٠).

قال ابن فارس : « " رهق " الراء والهاء والقاف أصلان متقاربان فأحدهما غشيان الشيء الشيء والآخر العجلة والتأخير» [1].

فحصول أثر هذه المزايدة من الطرفين واقع عليهما ؛ ولذلك جاء التعبير بالمصدر مبالغة في ذمهم واستهجان لفعلهم ، وهو موافق للقاعدة التفسيرية: (التعقيب بالمصدر يفيد الذم) [2].

قال الطبري–رحمه الله تعالى– : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك فزاد الإنس الجن بفعلهم ذلك إثما وذلك زادوهم به استحلالا لمحارم الله »[3]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٥١).

(٢) قواعد التفسير (١/ ٢٦٤) .

(٣) جامع البيان (٢٩/١٠٩).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[1] .

۞ (٢٣)مسألة : الرمي بالشهب أكان قبل البعثة أم بعدها ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أن رمي الجن بالشهب كان قبل البعثة قليلا ثم زادت بعد مبعثه– ﷺ – .

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : « قال بعضهم : إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي – ﷺ – واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل المبعث قليلا ، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية. والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله–ﷺ–لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض : ((ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟ قالوا : كنا نقول ولد ملك أو مات ملك. فقال رسول الله –ﷺ– : ليس الأمر كذلك)) .ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم»[2].

العرض و المناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للسمرقندي ، والبغوي [3]، وما ذهب إليه السمعاني والزمخشري ، وابن عطية، و القرطبي [4]، و وافقهم أبو حيان ، وا بن كثير ، وجلال الدين المحلّي وأبو السعود ، والألوسي[5]–رحمهم الله تعالى– .

واستُدل عليه بأمرين :

الأول : بما رواه ابن عَبَّاسٍ قال : أخبرني رِجَالٌ من أَصْحَابِ رسول اللَّهِ –ﷺ– من الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مع رسول اللَّهِ –ﷺ– رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فقال لهم رسول–ﷺ– : ((ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ في الْجَاهِلِيَّةِ إذَا رُمِيَ بِمِثْلِ؟ هذا قالوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .كنا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ اللَّيْلَةَ

---

(١) سورة الجن:٩.

(٢) التسهيل (١٥٣/٤).

(٣)بحر العلوم (٤٨١/٣)، ومعالم التتريل (٤٠٢/٤).

(٤)تفسير القرآن (٦٧/٦)، والكشاف (٦٢٧/٤)، والمحرر الوجيز (٣٨١/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩).

(٥)البحر المحيط (٣٤٣/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٠/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧١/١)، و إرشاد العقل السليم (٤٤/٩) وروح المعاني (٨٧/٢٩).

رَجُلٌ عَظِيمٌ . قال رسول اللَّهِ -ﷺ- : فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَى بها لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ حَيَاتِهِ وَلَكِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حتى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قال الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ : مَاذَا قال رَبُّكُمْ ، فَيُخْبِرُونَهُمْ فَيَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حتى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هذه السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيُلْقُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فما جَاءُوا بِهِ على وَجْهٍ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَرْقَوْنَ فيه وَيَزِيدُونَ)) [١].

فقول المصطفى -ﷺ- : ((ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ في الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ)) دليل على أن رمي الشياطين كان قبل مبعثه -ﷺ- .

الثاني : لقد ورد ذكر الرمي بالشهب في أشعار العرب مما يُستدل به أنه كان شائعا معروفا لديهم قال الزمخشري : « والصحيح أنه كان قبل المبعث . وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية . قال بشر بن أبي خازم [٢]:

وَالْعِيرُ يُرْهِقُهَا الْغُبَارُ وَجَحْشُهَا ... يَنْقَضُّ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ [٣] .

وقال أوس بن حجر[٤] :

وَانْقَضَّ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُه ... نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبَا [٥].

وقال عوف بن الخرع [٦]:

يَرُدُّ عَلَيْنَا الْعِيرَ مِنْ دُونِ إِلْفِه ... أَوِ الثَّوْرَ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ الدَّمُ [٧].

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث رسول الله -ﷺ- كثر الرجم وزاد زيادة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (١٧٥٠/٤) ح (٢٢٢٩).

(٢) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل . شاعر جاهلي فحل. من الشجعان. من أهل نجد، من بني أسد ابن خزيمة. توفي قتيلا في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية . توفي نحو(٢٢ ق هـ).
يُنظر : الأنساب (٥٦٨/٥) ، و الأعلام (٢ / ٥٤).

(٣) زاد المسير (٣٨٩/٤)، و البحر المحيط (٣٤٣/٨)، و روح المعاني (٨٧/٢٩).

(٤) أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح ، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها . في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر . عمر طويلا، و لم يدرك الاسلام. تُوفي سرق (٩٨ - نحو ٢ ق هـ).
يُنظر : الأغاني (٧٣/١١)، والإكمال (٢٨٢/٤) ، والأعلام (٢ / ٣١).

(٥)محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء (٧٠١/٢).

(٦) عوف بن عطية بن عمرو الملقب. بالخرع ابن عبس بن وديعة التيمي، من تيم الرباب، من مضر ،شاعر جاهلي فحل. أدرك الإسلام .
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (١٦٤/١) ، والأعلام (٥ / ٩٦).

(٧) التفسير الكبير (١٣٩/٣٠) ، وروح المعاني (٨٧/٢٩).

ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً »[1].

القول الثاني : لم تحرس السماء في زمن الفترة فيما بين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - خمسمائة عام ، فلما بعث محمد -ﷺ- منعوا من السموات كلّها وحرست بالملائكة والشهب . وهو مروي عن ابن عباس [2] - رضي الله عنه - . وأورده القرطبي ، والنسفي ، وابن عادل وأبو السعود -رحمهم الله تعالى- [3] .

واستُدل عليه : بما روي عَنْ اِبْنِ عَبَّاس -رضي الله عنه- قَالَ:«لَمْ تَكُنْ السَّمَاء تُحْرَس فِي الْفَتْرَة بَيْن عِيسَى وَمُحَمَّد، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّد حُرِسَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَرُجِمَتْ الشَّيَاطِين ،فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ »[4].

وقال - رضي الله عنه - : «كان الْجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ فإذا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فيها تِسْعًا وَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا وَأَمَّا ما زَادُوا فَيَكُونُ بَاطِلاً فلما بُعِثَ رسول اللَّهِ -ﷺ- مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ فَذَكَرُوا ذلك لِإِبْلِيسَ و لم تَكُنْ النُّجُومُ يُرْمَى بها قبل ذلك فقال لهم إِبْلِيسُ : ما هذا إِلاَّ لأَمْرٍ قد حَدَثَ في الأَرْضِ فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَائِمًا يُصَلِّي بين جَبَلَيْنِ قال: أُرَاهُ . قال : بِأَعْلَى مَكَّةَ - شَكَّ الْفِرْيَابِيُّ - فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ . فقال: هذا الْحَدَثُ الذي حَدَثَ في الأَرْضِ» [5].

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٢٧،٦٢٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٣٠/٢٦) ، ولفظه : (لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد وكانوا يقعدون مقاعد للسمع ، فلما بعث الله محمدا حرست السماء حرسا شديدا ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك وقالوا : لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا . فقال إبليس : لقد حدث في الأرض حدث واجتمعت إليه الجن ، فقال: تفرقوا في الأرض فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء ؟وكان أول بعث ركب من أهل نصيبين وهي أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا حتى بلغوا الوادي وادي نخلة ،فوجدوا نبي الله يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة، فاستمعوا فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا: أنصتوا و لم يكن نبي الله علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) .

إسناده ضعيف فيه جملة من الضعفاء وهم : محمد بن سعد . قال الخطيب :كان لينا في الحديث. لسان الميزان (١٧٤/٥).

سعد بن محمد بن الحسن بن عطية : قال و لم يكن هذا أيضا ممن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعا لذاك حكاه الخطيب . لسان الميزان (١٨/٣).

الحسين بن الحسن بن عطية العوفي : ضعفه يحيى بن معين وغيره . وقال بن حبان : (روى أشياء لا يتابع عليها لا يجوز الا حتجاج بخبره). لسان الميزان (٢٧٨/٢).

محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي أبو سعد الكوفي: وقال أبو حاتم : (ضعيف الحديث) ، وقال البخاري : (لم يصح حديثه). تهذيب التهذيب (١٠٣/٩).

الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة العوفي: قال بن حبان في الثقات: (أحاديثه ليست بنقية) . تهذيب التهذيب (٢٥٥/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٩)، ومدارك التنزيل (٢٨٧/٤)، واللباب في علوم ا لكتاب (٤٢٠/١٩)،و إرشاد العقل السليم (٤٤/٩).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٣٠/٢٦) ، و ذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٠٢/٨) ، و زاد نسبته لابن مردويه والبيهقي في الدلائل بمثله .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - ﷺ - ، باب ومن سورة الجن (٤٢٧/٥) ح (٣٣٢٤) وأخرجه

فظاهر قول ابن عباس -ﷺ- يدل أن الرمي بالشهب كان بعد مبعثه -ﷺ- .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ رميَ الجنِّ بالشهب كان قبل البعثة قليلا ثم زادت بعد مبعثه -ﷺ- وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وقال به أكثر أهل العلم [1] ؛ لأن الله تعالى أخبر عنهم بأمرين و هما [2]:

الأول: قولهم :﴿ مُلِئَتْ ﴾ يدل على أن السماء كانت فيها حرس وشهب ولكن بها أماكن غير محروسة ، فكانوا قبل بعثته – ﷺ- يسترقون السمع فقد تصيبهم الشهب أو لا تصيب ، أما بعد البعثة وجدوا أن الأمر اختلف عليهم فلم يستطيعوا استراق السمع لكثرة الحرس والشهب .

والثاني : قولهم : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ إخبار بحالهم من الاستراق قبل البعثة ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ ﴾ . أي : بدءا من مبعثه -ﷺ- ﴿ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾. وهو موافق للقاعدة الترجيحية : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [3].

قال القرطبي : « والقول بالرمي أصح لقوله تعالى :﴿ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [4]. وهذا إخبار عن الجنِّ أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم » [5]. **ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. النظائر القرآنية : فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز بحراسة السماء منذ خلقها ،كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾[6] ، وقول الله – ﷻ-: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [7] .

وأخرجه النسائي في الكبرى بمثله (٥٠٠/٦) ح (١١٦٢٦) ، و أبو يعلى في مسنده (٣٨٢/٤) ح (٢٥٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٦/١٢) ح (١٢٤٣١) . قال الترمذي : (حديث حسن صحيح) .

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩).

(٢) يُنظَر : شرح مشكل الاثار (١١٠/٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/١٩).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) سورة الجن : ٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩).

(٦) سورة الصافات: ٦– ٧ .

(٧) سورة المُلك:٥ .

٢. قول النبي – ﷺ – مقدم على قول غيره . و (إذا ثبت الحديث وكان نصًا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره) [١].

قال ابن المنير [٢]–رحمه الله تعالى– معقبًا على قول ابن عباس – رضي الله عنه – : «ظَاهِرُ الْخَبَر أَنَّ الشُّهُب لَمْ تَكُنْ يُرْمَى بِهَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيث مُسْلِم . وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾. فَمَعْنَاهُ : أَنَّ الشُّهُب كَانَتْ تُرْمَى فَتُصِيب تَارَة وَلَا تُصِيب أُخْرَى ، وَبَعْد الْبَعْثَة أَصَابَتْهُمْ إِصَابَة مُسْتَمِرَّة فَوَصَفُوهَا لِذَلِكَ بِالرَّصَدِ ، لِأَنَّ الَّذِي يَرْصُد الشَّيْء لَا يُخْطِئهُ ، فَيَكُونُ الْمُتَجَدِّد دَوَام الْإِصَابَة لَا أَصْلهَا » [٣]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) قواعد الترجيح (١ / ١٩١) .

(٢) أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني ابن المنير . وُلد سنة (٦٢٠هـ)، أحد الأئمة المتبحرين في العلوم من التفسير والفقه والأصلين والنظر والعربية والبلاغة والإنشاء .من كتبه (التفسير للقرآن العظيم ، والانتصاف من الكشاف). تُوفي سنة (٦٨٣ هـ).

يُنظر : طبقات المفسرين للأدنه وي (١/٢٥٢) ، و الأعلام (١ / ٢٢٠).

(٣) فتح الباري (٨/٦٧٣).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[(١)] .

❁ (٢٤)مسألة : المراد بالطريقة في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح معنى الطريقة في الآية هي طريقة الإسلام وطاعة الله تعالى .

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : «...والطريقة هي: طريقة الإسلام وطاعة الله، فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسّع الله أرزاقهم فهو كقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [(٢)].وقيل: هي طريقة الكفر ، والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا أملاكهم استدراجا ، ويؤيد هذا قوله :﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ . والأول أظهر» [(٣)].

العرض و المناقشة :

اختُلف في معنى الطريقة على قولين وهما :

القول الأول : ما أظهره ابن جُزيّ موافقا المروي عن ابن عباس[(٤)] – ﷺ – . وقال به سعيد بن جبير[(٥)] ، ومجاهد [(٦)]،والضحاك [(٧)]،وقتادة[(٨)] ، والسدي [(٩)].

و قال به الطبري ، وافرده بالذكر ابن أبي زمنين ، والواحدي ، وقدمه مكي بن أبي طالب ، و ذهب

(١) سورة الجن:١٦ .

(٢) سورة الأعراف : ٩٥ .

(٣) التسهيل (١٥٤/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١١٤/٢٩)، ولفظه (يعني بالاستقامة الطاعة) وأخرجه ابن أبي حاتم عنه : تفسير القرآن العظيم (٣٣٧٨/١٠)، ولفظه (قاموا : ما أمروا به) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١١٥/٢٩)، ولفظه قال : (لأسقيناهم ماء غدقاً قال مالاً كثيراً).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)، ولفظه (وأن لو استقاموا على الطريقة طريقة الإسلام) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه" جامع البيان" (١١٥/٢٩)، ولفظه (قال هذا مثل ضربه الله كقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

(٨) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١١٥/٢٩)، ولفظه قال :(لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا).

(٩) زاد المسير (٣٨١/٨).

إليه السمعاني ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي[(١)] ، و وافقهم الثعالبي والشربيني والشوكاني ، وابن عاشور-رحمهم الله تعالى- [(٢)].

قال مكي بن أبي طالب : « أي : لو استقام القاسطون على طريقة الحق أي : طريقة الإسلام وهي الطاعة لله لَوسّعنا عليهم في الرزق لنختبرهم فيه فننظر عملهم وشكرهم » [(٣)] .

القول الثاني : أنَّ المراد بالطريقة : طريقة الكفر. أي : ، وهو مروي عن أبي مجلز [(٤)] [(٥)] والربيع [(٦)(٧)].وأورده الطبري ،والمهدوي ، والزمخشري ، وبيان الحق النيسابوري ، وابن الجوزي ، والرازي والقرطبي ، وابن عادل-رحمهم الله تعالى- [(٨)].

الترجيح

الظاهر – والله أعلم بالصواب – أنَّ الطريقة : هي طريقة الإسلام وطاعة الله تعالى ، وهو ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن لفظ الطريقة جاء معرفًا (إذا دخلت الألف واللام على اسم موصوف

---

(١) جامع البيان (١١٤/٢٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٤٦/٥)، الوسيط (٣٦٦/٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٧١) وتفسير القرآن (٦٩/٦)، والمحرر الوجيز المحرر (٣٨٢/٥-٣٨٣)، وتذكرة الأريب (٢٤٩/٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/١٩)، ومدارك التنزيل (٣٠٠/٤).

(٢) الجواهر الحسان (٣٩٣/٣)، والسراج المنير (١٢٩/٨)، وفتح القدير (٣٠٨/٥)، والتحرير والتنوير (٢٣٨/١٢).

(٣)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٧١).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (١١٥/٢٩)، ولفظه قال : (وأن لو استقاموا على طريقة الضلالة تفسير البحر المحيط (٣٤٤/٨).

(٥)لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري أبو مجلز ، ثقة من كبار الثالثة، روى عنه قتادة وسليمان التيمي . تُوفي سنة (١٠٩ هــ وقيل قبل ذلك).

يُنظر : التاريخ الكبير(٢٥٨/٨) ، و حلية الأولياء (١١٢/٣) ، و تقريب التهذيب (٥٨٦/١).

(٦) زاد المسير (٣٨١/٨)، و البحر المحيط (٣٤٤/٨).

(٧) الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخراساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري . روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري ،وعنه أبو جعفر الرازي والأعمش وسليمان التيمي وسليمان بن عامر البزري . ذكره بن حبان في الثقات . توفي سنة (١٣٩ هــ).

يُنظر : الكاشف (٣٩١/١) ، و تهذيب الكمال (٦٠/٩) ، و تهذيب التهذيب (٢٠٧/٣).

(٨) جامع البيان (١١٥/٢٩)، والتحصيل (أ/١٧٨)، ومعالم التنزيل (٤٦٤/٥)، والكشاف (٦٣١/٤)، وباهر البرهان (١٥٥٨/٣)، وزاد المسير (٣٨١/٨)، والتفسير الكبير (١٤٢/٣٠،١٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/١٩)، والبحر المحيط (٣٤٤/٨)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤٢٩،٤٢٨).

اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره) [1] .

قال السمعاني –رحمه الله تعالى- : « والقول الأول أولى ؛ لأنه عرف الطريقة بالألف واللام فينصرف إلى الطريقة المعروفة المعهودة شرعا وهي الإيمان » [2]. **ومما يؤيده :**

١. وجود التلازم بين الاستقامة والطريقة ؛ فالاستقامة لا تكون إلا في سلوك ا لطريق المستقيم الذي لا عوج فيه .

قال الراغب الأصفهاني : « والاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خط مستو وبه شبه طريق المحق نحو : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[3]. و ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾[4]﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]. واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم نحو قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾[6] ... » [7].

وقال ابن عاشور –رحمه الله تعالى- : « ... والاستقامة على الطريقة تمثيل لهيئة المتصف بالسلوك الصالح والاعتقاد الحق بهيئة السائر سيراً مستقيماً على طريقة ، ولذلك فالتعريف في ﴿ ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ للجنس لا للعهد » [8].

٢. جعل الله تعالى شرط الحصول على البركة وسعة الرزق الاستقامة على دينه ، ونظير هذه الآية قول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[9] .

وقول الله – ﷻ -: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[10]. وهو موافق للقاعدة الترجيحية : (

---

(١) قواعد التفسير (١/ ٣٩٦).

(٢) تفسير القرآن (٦/ ٦٩).

(٣) سورة الفاتحة:٦.

(٤) سورة الأنعام:١٥٣.

(٥) سورة هود:٥٦.

(٦) سورة فُصِّلَت:٣٠.

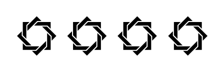
(٧) المفردات في غريب القرآن (٤١٨/١).

(٨) التحرير والتنوير (٢٣٨/١٢).

(٩) سورة النحل:٩٧ .

(١٠) سورة الأعراف:٩٦ .

إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [1].



(١) قواعد الترجيح (١/١٢٥).

قول الله – ﷻ – : ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [(١)].

❁ (٢٥)مسألة : في معنى ﴿صَعَدًا﴾.

ترجِيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أن معنى " صعدا " العذاب الشاق الذي لا راحة.

مجمل ما ذكره ابن جُزيّ في الآية

قال : « والصعَّد الشديد المشقة ، وهو مصدر صعد يصعد ،ووصف بالمصدر للمبالغة يقال : فلان في صعد أي في مشقة ،وقيل: صعدا جبل في النار »[(٢)].

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " صعدا " على قولين وهما :

القول الأول : ما رجّحه ابن جُزيّ موافقا للزمخشري ، وبيان الحق ، والبيضاوي والنسفي [(٣)] ووافقهم أبو حيَّان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، وابن عاشور –رحمهم الله تعالى– [(٤)].

قال الزمخشري : « والصعد مصدر صعد . يقال :صعد صعداً وصعوداً فوصف به العذاب ؛ لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ، ومنه قول عمر – رضي الله عنه – : (ما تصعَّدني شيء ما تصعَّدَتني خطبة النكاح) يريد ما شق على ولا غلبني »[(٥)].

القول الثاني : وصف خاص بمكان معين في جهنم _ أجارنا الله منها – فمنهم من قال أن الصعد جبل **في جهنم** ، وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله عنه – [(٦)].

---

(١) سورة الجن:١٧ .

(٢) التسهيل (١٥٤/٤).

(٣) الكشاف (٦٣١/٤)،و أنوار التنزيل (٤٠٠/٥) ، و مدارك التنزيل (٤ / ٣٠١)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٣).

(٤) البحر المحيط (٨/ص٣٤٥) ، و إرشاد العقل السليم (٤٥/٩)، وفتح القدير (٣٠٩/٥)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٠).

(٥) الكشاف (٦٣١/٤).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١١٦/٢٩)، ولفظه قال : (جبل في جهنم) ، وعزاه عنه السيوطي إلى هناد وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه : الدر المنثور (٣٠٦/٨)، ولفظه قال : (جبلا في جهنم) .

وقال به مكي بن أبي طالب ، والقمي النيسابوري [1]، وممن أورده من المفسرين المهدوي وابن عطية وابن الجوزي ، وأبو حيان ، وابن عادل، والثعالبي، والشربيني، و الألوسي-رحمهم الله تعالى- [2].

وذكر الماوردي–رحمه الله تعالى- عن أبي سعيد - رضي الله عنه- [3] - أنَّه جب في النار [4].

وقال البعض : أنه صخرة من نار .ذكره أبو حيَّن ، والشوكاني ، والآلوسي عن عكرمة- رحمهم الله تعالى- [5].

وحكى ابن كثير–رحمه الله تعالى- عن سعيد ابن جبير - رضي الله عنه -أن الصعد بئر من نار[6].

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – أنَّ الصعد هو العذاب الشاق الذي لا راحة فيه ، وهوما ذهب إليه ابن جزي ومن معه ؛ لأنه معنى عام تنتظم معه المعاني الأخرى دون تدافع ، و (حمل نصوص الوحي على العموم أولى) [7]

قال ابن جزي – رحمه الله – في وجوه الترجيح عنده : «تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص »[8].

و مما يُظهر المعنى وصف العذاب بالمصدر يقتضي إدخال ذلك المعرض أشد العذاب ، وهو موافق للقاعدة (التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم) [9] . و الله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) العمدة في غريب القرآن (٣١٩) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٣) .

(٢) التحصيل في مختصر التفصيل (أ / ١٧٨) ، والمحرر الوجيز (٣٨٣/٥) ، واللباب في علوم الكتاب (١٩ / ٤٣٠) والجواهر الحسان في تفسير القرآن(٣٤٩/٤)، والسراج المنير (٨ / ١٢٩ ، ١٣٠) ، وروح المعاني (٩٠/٢٩).

(٣)سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، أبو سعيد الخدري كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء وأخباره تشهد له بتصحيح هذه الجملة . توفي سنة (٧٤ هـ).

يُنظر : الاستيعاب (١٦٧١/٤) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (١٧٤/٧).

(٤) النكت والعيون (٦ / ١١٩) .

(٥) البحر المحيط (٣٤٥/٨)، وفتح القدير(٣٠٩/٥)، وروح المعاني (٩٠/٢٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٣٢/٤).

(٧) يُنظر :قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٨) التسهيل (٩/١).

(٩) قواعد التفسير(١ / ٢٦٤).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً﴾[1].

❁ (٢٦)مسألة : في المراد بالمساجد .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن المراد " بالمساجد " : بيوت عبادة الله تعالى.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله ، وروى أنَّ الآية نزلت بسبب تغلّب قريش على الكعبة. [2] وقيل: أراد الأعضاء التي يسجد عليها واحدها مسجَد بفتح الجيم ، وهذا بعيد » [3].

العرض و المناقشة :

اختُلف في المراد " بالمساجد" في هذا الموضع على أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا المروي عن سعيد بن جبير [4]، وعكرمة [5] وقتادة [6] . و قدّمه البغوي ، و أظهره القرطبي ، والنيسابوري [1]، ووافقهم أبو حيّان، وقال به الألوسي

---

(١) سورة الجن:١٨ .

(٢) لم أقف على سبب النزول .

(٣) التسهيل (١٥٤/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١١٧/٢٩) ، ولفظه قال : (قالت الجن لنبي الله : كيف لنا نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك ؟وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك؟ فنزلت : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٠٦/٨) وعزاه لابن جرير . و أخرجه ابن أبي حاتم في " تفسير القرآن العظيم " (٣٣٧٨/١٠) ح (١٩٠٠٧)عن الأعمش معضلا بنحوه .

في إسناده : محمد بن حميد . قال يعقوب بن شيبة : (محمد بن حميد : كثير المناكير .وقال البخاري : في حديثه نظر . وقال النسائي : ليس بثقة). تهذيب التهذيب (١١٣/٩).

و مهران بن أبي عمر : قال البخاري : (سمعت إبراهيم بن موسى يضعف مهران ،وقال : في حديثه اضطراب) . الكامل في ضعفاء الرجال (٤٦٢/٦).

وسفيان الثوري : ثقة . تهذيب الكمال (١٦٤/١١)،

إسماعيل بن أبي خالد : ثقة حافظ . تهذيب التهذيب (٢٥٥/١).

وقال بن مهدي وابن معين والنسائي ثقة تهذيب الكمال (٧٤/٣).

و محمود لم أقف عليه . والخبر مرسل .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" ، ولفظه قال : (المساجد كلها) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه (قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد) .

والسعدي وعطية سالم-رحمهم الله تعالى- [٢].

قال القرطبي : « ...والمراد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة ثم عقب على الأقوال والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله ، وهو مروي عن ابن عباس- رحمه الله- »[٣].

و قال أبو حيان :« والظاهر أن المساجد هي البيوت المعدة للصلاة والعبادة في كل ملة » [٤].

القول الثاني : يراد بالمساجد في الآية مساجد مخصوصة ، وهو على قولين:

- يراد به المسجد الحرام . نسبه القرطبي ، والقمي النيسابوري لابن عباس[٥]-رضي الله عنه- .

واختاره ابن عاشور بقوله : « والمقصود هنا هو المسجد الحرام لأن المشركين كانوا وضعوا فيه الأصنام والأنصاب وجعلوا الصنم (هُبَل) على سطح الكعبة . قال تعالى :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦] يعني بذلك المشركين من قريش . وهذا توبيخ للمشركين على اعتدائهم على حق الله وتصرفهم فيما ليس لهم أن يغيروه قال تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٧] . وإنما عبر في هذه الآية وفي آية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بلفظ " مساجد" ليدخل الذين يفعلون مثل فعلهم معهم في هذا الوعيد ممن شاكلهم ممن غيّروا المساجد أو لتعظيم المسجد الحرام» [٨] .

- يُراد به المسجد الحرام ومسجد إيليا ببيت المقدس ذكره ابن كثير- رحمه الله تعالى- ونسبه

---

(١) معالم التنزيل (٤٠٤/٤) و الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٣).

(٢) البحر المحيط (٣٤٥/٨)، وروح المعاني (٩١/٢٩) ،وتيسير الكريم الرحمن (٨٩١/١)، و أضواء البيان (٣٢١/٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) .

(٤) البحر المحيط (٣٤٥/٨) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) ، وغرائب القرآن (٣٧٣).

(٦) سورة البقرة:١١٤.

(٧) سورة الأنفال:٣٤.

(٨) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٠ - ٢٤١)

لابن أبي حاتم[1] [2].

والقول بالقصر على مكان مخصوص لا يفهم منه تخصيص هذا المكان دون غيره بالعبادة ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله – : «قصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل؛ فإنّ عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك وقد علم أن شيئا منها لم يقصر على سببه » [3].

القول الثالث: الأعضاء التي يُسجد عليها واحدها "مسجَد " بفتح الجيم . وهو مروي عن ابن عباس[4] ، وقال به سعيد بن المسيب [5] [6]، وسعيد بن جبير [7]،واختاره بيان الحق النيسابوري–رحمهم الله تعالى– [8].

القول الرابع : الصلوات لله تعالى . وهو مروي عن الحسن [9]. وأورده أبو الليث ، والمهدوي والماوردي، والرازي ، والقرطبي، والقمي النيسابوري ، وأبو السعود والشوكاني–رحمهم الله تعالى– [10]. وهذا لقول داخل في معنى القول الأول .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسنده لابن عباس في قوله : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: (لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ،ومسجد إيليا ببيت المقدس). (٣٣٧٨/١٠)ح (١٩٠٠٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٣٧٨/١٠).

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٦٤/١٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب السجود على سبعة أعظم (١ / ٢٨٠) ح (٧٧٦)، ولفظه قال : (أُمِرَ النبي– ﷺ – أَنْ يَسْجُدَ على سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ ولا يَكُفَّ شَعَرًا ولا ثَوْبًا الْجَبْهَةِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وفي باب لا يكُفُّ شَعَرا) .

(٥) وقفت عليه مرسوبا في الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (١٩ / ٤٣٢) فتح القدير (٣٠٩/٥).

(٦) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد . وُلد سنة (١٣هــ) . سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. تُوفي بالمدينة سنة (٩٤ هــ).
يُنظر : حلية الأولياء (١٦١/٢) ، و تقريب التهذيب (٢٤١/١) ، والأعلام (٣ / ١٠٢).

(٧) وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل(٤٠٤/٤)، وزاد المسير(٣٨٢/٨)، و التفسير الكبير(١٤٤/٣٠).

(٨) باهر البرهان (٣ / ١٥٦٥) .

(٩) وقفت عليه مرسوبا في بحر العلوم (٤٨٣/٣)، والجامع لأحكام القرآن(٢١/١٩)، وغرائب القرآن (٣٧٣)، وفتح القدير(٣٠٩/٥).

(١٠) بحر العلوم (٤٨٣/٣)، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ / ١٧٨) ، والنكت والعيون (٦ / ١١٦) ، والكشاف (٤ / ٤٧٤)، و زاد المسير (٤ / ٣٤٩) ، والتفسير الكبير (١٤٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩)، وغرائب الفرقان (٣٧٣) وإرشاد العقل السليم (٤٦/٩)، وفتح القدير (٣٠٩/٥).

القول الخامس : كل مكان صالح للسجود . أورده الماوردي ، والواحدي ، والبغوي والزمخشري وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والقمي النيسابوري ، والثعالبي ، والشوكاني عن الحسن–رحمهم الله تعالى– [1].

واستُدل على ذلك بقول النبي – ﷺ –: ((... وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)) [2] .

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – أنَّ المساجد في هذا الموضع بيوت عبادة الله تعالى ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وقال به أكثر المفسرين ؛ لأن الغالب في القرآن إطلاق المسجد على مكان العبادة و (قد يحتمل اللفظ معانٍ عدة ، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدم) [3] . **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أن المسجد في اللغة يطلق على المكان المخصص للصلاة وعلى أعضاء السجود . جاء في لسان العرب : « مسجد بكسر الجيم المساجد جمعها المساجد أيضا الآراب التي يسجد عليها والآراب السبعة مساجد» [4] . و(إذا اختلفت الحقيقة العرفية واللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت العرفية) [5].

قال الشيخ عطية سالم–رحمه الله تعالى– : « المساجد جمع مسجد ، والمسجد لغة : اسم مكان من سجد يسجد على وزن مَفعِل كمَجْلِس على غير القياس مكان الجلوس وهو لغة يصدق على كل مكان صالح للسجود... ثم قال: والمسجد عرفا كل ما خصص للصلاة وهو المراد بالإضافة هنا لله تعالى وهي إضافة تشريف وتكريم مع الإشعار باختصاصها بالله أي بعبادته وذكره كما قال تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾[6] »[1] .

---

(١) النكت والعيون (٦ / ١١٦) ، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤ / ٣٦٧) ، ومعالم التنزيل (٤/٤٠٤) ، والكشاف (٦٣١/٤)، والمحرر الوجيز (٣٨٣/٥)، و زاد المسير (٣٨٣/٨) ، و التفسير الكبير(١٤٣/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢١/١٩) وغرائب الفرقان (٣٧٣) ، والجواهر الحسان(٣٤٩/٤)، وفتح القدير(٣٠٩/٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب قول النبي– ﷺ– : ((جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)) (١ / ١٦٨) ح (٤٢٧).

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٧٩٨) .

(٤) لسان العرب (٢٠٤/٣).

(٥) قواعد الترجيح (٢ / ٤١٢).

(٦) سورة النور:٣٦.

٢. ومن قال أن المراد بالمساجد أعضاء السجود هذا القول له اعتبار من الصحة إلا أن إطلاق هذا الوصف إنما كان لمناسبةٍ خاصةٍ ، وهي بيان هيئة السجود حال الصلاة ، واللفظ في الآية جاء لبيان إفراد الله تعالى بالعبادة في كل زمان ومكان لما كان عليه اليهود والنصارى من الإشراك مع الله إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم ، فأمر الله عز وجل المسلمين بتوحيده وإخلاص العبادة له في المساجد [٢].

٣. الاستدلال بحديث ((... وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)) . إن كان صحيحًا على عمومه فلا يطلق على المسجد بمعناه العرفي ؛ لأن إيراد الحديث في بيان ما اختص به رسولنا من بين سائر الأنبياء في طهارة الأرض باستثناء مواطن مخصوصة . بدلالة قوله – ﷺ– : ((فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)) . فإطلاق صفة المسجدية على الأرض إنما مختصٌّ بأحوال مخصوصة ، وأما إطلاق المساجد على بيوت عبادة الله تعالى أولى لأنها هي المقصودة من إضافة التشريف بقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٣]. وهو موافق للقاعدة التفسرية : (كل ما أضافه الله تعالى إلى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء) [٤].

٤. أنَّ (الآية تحمل على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملا) [٥] وهذ القول عليه جُل عبارات المفسرين من السلف والخلف.

قال الرازي : « اختلفوا في المساجد على وجوه أحدها وهو قول الأكثرين أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ، وذلك أنّ أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد» [٦]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) أضواء البيان (٣٢١/٨).

(٢) عزاه السيوطي بسنده في الدر المنثور (٣٠٦/٨) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ قال: (كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه– ﷺ – أن يخلص الدعوة لله إذا دخل المسجد) .

(٣) سورة الجن:١٨.

(٤) قواعد التفسير (٢ / ٨٣١) .

(٥) المرجع السابق (٢ / ٨٠٤) .

(٦) التفسير الكبير (١٤٣/٣٠).

قول الله – ﷻ – : ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[1] .

❁ (٢٧)مسألة : المخاطب في قول الله تعالى :﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المخاطب بالآية الكفار.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « والآية في الكفار ، وحملها المعتزلةُ على عصاة المؤمنين ؛ لأنَّ مذهبهم خلودهم في النار والدليل على أنها في الكفار وجهان:

أحدهما: أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر : دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار »[2].

العرض و المناقشة:

اختُلف في المخاطب على قولين وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للطبريّ ، و السمرقنديّ ، والواحديّ ، والبغويّ وابن عطية ، والقرطبيّ ، والبيضاويّ ، والنسفيّ ، ووافقهم أبو حيان ، وابـن كثير ، و جلال الدين المحلّي وأبو السعود ، والخفاجيّ ، والصاويّ ، والشوكانيّ ، والألوسيّ ، والمراغيّ والسعديّ ، وابن عاشور– رحمهم الله تعالى– [3].

---

(١) سورة الجن:٢٣.

(٢) التسهيل (١٥٥/٤) .

(٣) جامع البيان (١٢١/٢٩) ، وبحر العلوم (٤٨٤/٣) ، والوسيط (٤ / ٣٦٨) ، ومعالم التنزيل (٤٠٥/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٨٥/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٦/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٠١/٥) ، ومدارك التنزيل (٣٠٢/٤) ، و البحر المحيط(٣٤٧/٨)، و القرآن العظيم (٤٣٣/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٧٢/١) ، وإرشاد العقل السليم (٤٧/٩) ، وحاشية الشهاب(٩ / ٣٠٠) ، وحاشية الصاوي(٦ / ١٨٤) ، وفتح القدير (٣١٠/٥) ، وروح المعاني (٩٤/٢٩) ، وتفسير المراغي (٢٢٧) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩١/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧٤)

قال الإمام الطبريّ : « وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ويكذب به ، ورسوله فجحد رسالاته ، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾فإن له نار جهنم يصلاها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ يقول : ماكثين فيها أبدا إلى غير نهاية» [1].

القول الثاني : حملها المعتزلة على عصا ة المؤمنين . ذكره الرازيّ ، والقرطبيّ ، وابن عادل و الألوسي[2]-رحمهم الله تعالى-.

قال الرازي: «استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أنّ فسآق أهل الصلاة مخلدون في النار وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار . قالوا: وهذا الوعيد مشروط بشرط أن لا يكون هناك توبة ولا طاعة أعظم منها .قالوا : وهذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات ؛ لأن سائر العموماتِ ما جاء فيها قوله :﴿ أَبَدًا﴾ فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل، أمَّا هاهنا فقد جاء لفظ الأبد فيكون ذلك صريحاً في إسقاط الاحتمال الذي ذكره المخالف »[3].

الترجّيح

١. القول الراجّح — والله تعالى أعلم بالصواب — ما رجّحه ابن جُ زيّ وجمهور المفسرين [4] أنَّ المخاطب في الآية الكفار ؛لأن سياق الآية في معصية الكفر فقوله تعالى :﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمره من التوحيد ويكذب رسوله فيما أخبر به عن ربه ، فله الخلود الأبدي في نار جهنم . ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ تنكشف لهم الحقائق عند معاينتهم العذاب قال ابن سِعْدي — رحمه الله تعالى - : « وهذا المراد به المعصية الكفرية كما قيدها النصوص الأخر المحكمة ، وأمّا مجرد المعصية فإنه لا يوجب الخلود في النار كما دلّ ت على ذلك آيات القرآن والأحاديث عن النبي - ﷺ - وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة» [5]. ويُوافق القاعدة الترجيحية : (إدخال الكلام في معاني

(١)جامع البيان (١٢١/٢٩).
(٢) روح المعاني (٩٤/٢٩) .
(٣) التفسير الكبير (١٤٦/٣٠).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٩١/١).
(٥) المرجع السابق (٨٩١/١).

ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [١]. **ومما يؤيده :**

١. القرينة الدالة على أنَّ النص في عصيان الكفار قوله تعالى : ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾

قال القرطبي — رحمه الله – : « والعصيان إن أريد به الكفر فالخلود على بابه وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما كما تقول خلد الله ملكه » [٢] .

و قال الشيخ عبد الرحمن حسن الميداني[٣] — رحمه الله تعالى – : « وجاء في هذه الآية تأكيدُ الخلودِ الذي قد يُستعمل بمعنى طُولِ أمدِ البقاء بكلمة﴿ أَبَدًا﴾ التي تدل على التأبيد بلا نهاية ، ولو كان المرادُ طُولَ أمدِ البقاء فقط ، لما كان لكلمة ﴿ أَبَدًا﴾ فائدة حتى يُؤتى بها في النص ، وكل من مارس تدبر آيات القرآن المجيد يُدركُ أنه لا إطناب فيه بغير فائدة » [٤].

٢. أنّ هذا القول عليه إجماع الأمة . و (كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو ردّ)[٥].
ردّ)[٥]. و الله تعالى أعلم.



(١) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٨٢).

(٣) عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق بن عرابي بن غنيم الميداني ، ولد سنة (١٣٥٤ هـــ) بدمشق . عالم و مفكر و مفسر . له عدة مصنفات منها (العقيدة الإسلامية وأسسها ، الحضارة الإسلامية ، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل).و لم أقف على كتاب ذكر تاريخ وفاته — رحمه الله تعالى – يُنظر : عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر (١١ وما بعدها) ، و علماء ومفكرون عرفتهم (٣ / ٥٩٣).

(٤) معارج التفكر (٥ / ٦٢٨).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢١٤) .

قول الله –ﷻ– : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴾[1].

(٢٨)مسألة : في متعلق " حتى ".

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَح أنّ " حتى " متعلقة بمحذوف دلّ عليه الحال ، أي : لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ما يوعدون به من العذاب.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « تعلقت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بقوله : ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ وجعلت غاية لذلك والمعنى : أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال ذلك الزمخشري ، وقال أيضا : يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل : لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون وهذا أظهر » [2].

العرض و المناقشة:

للمفسرين في متعلق " حتى " ثلاثة أوجه وهي :

الوجه الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وجوّزه الزمخشريُّ ، و قال به النسفيّ ، و وافقهم جلال الدين المحلّي ، و أفرده بالذكر الشربيني ، وقال به أبو السعود ،و الشوكاني ، و الألوسي وابن عاشور– رحمهم الله تعالى– [3].

قال ابن عاشور : « فالغاية هنا متعلقة بمحذوف يدلُّ عليه الكلام من سخرية الكفار من الوعيد واستضعافهم المسلمين في العَدد والعُدد ، فإن ذلك يفهم منه أنهم لا يزالون يحسبون أنهم غالبون فائزون حتى إذا رأوا ما يوعدون تحققوا إخفاق آمالهم » [4].

---

(١) سورة الجن:٢٤.

(٢) التسهيل (٤/١٥٥).

(٣) الكشاف(٤/٦٣٤)، مدارك التتريل (٤/٣٠٢)، وتفسير الجلالين (١/٧٧٢)، والسراج المنير (٨ / ١٣٥) ، و إرشاد العقل السليم (٩/٤٧)، و فتح القدير(٥/٣١٠)،و روح المعاني (٢٩/٩٥) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٤٥).

الوجه الثاني : أن ﴿حَتَّىٰ﴾ تعلقت بقوله تعالى : ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ،أي : يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾حينئذ أنهم ﴿أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ . قدّمه الزمخشري ، والرزي ، وقال بجوازه البيضاوي ، و الألوسي [(١)]- رحمهم الله –

الوجه الثالث : أنَّ " حتى " غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار . أظهره أبو حيان–رحمه الله تعالى- بقوله : « والذي يظهر لي أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كأنه قيل إن العاصي يحكم له بكينونة النار لهم والحكم بذلك هو وعيد حتى إذا رأوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون » [(٢)].

الترجّيح

والراجِّح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " حتى " تعلقّت بمحذوف دلّت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده ، وهو ما أظهره ابن جُزي ؛ لأن (التقدي الموافق لغرض الآية وأدلة الشرع مقدم على غيره)[(٣)]. ومما يؤيده عدة أمور :

١. مناسبة السياق بأمر الرسول – ﷺ – بالصبر على آذاهم كما جاء في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [(٤)] وترقبّ ما يدبرّه الله تعالى لهم في مستقبل الأيام حينها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ . و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عن ذلك) [(٥)].
٢. جاءت الآية تسلية لقلب النبي – ﷺ – وأصحابه بسبب مكايدة كفار مكة واضطهادهم لهم إذ فيها

(١) الكشاف (٦٣٤/٤) ، التفسير الكبير (١٤٧/٣٠)، و أنوار التتريل (٤٠١/٥) ،وروح المعاني (٩٥/٢٩).
(٢) البحر المحيط (٣٤٧/٨ – ٣٤٨).
(٣) قواعد الترجيح (٢ / ٤٤٤).
(٤) سورة الجن:٢١.
(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

بيان لمآل المكذبين وعزة ومنعة المؤمنين كما قال تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾[1] . و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١)سورة مريم:٧٥.

قول الله – ﷻ – : ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[1] .

(٢٩)مسألة : في فاعل "يعلم "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجّح أنَّ فاعل يعلم يعود على الله – ﷻ –

مجمل ما ذكره الآية

قال: « في الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال :

الأول: أي ليعلم الله أنَّ الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أي : يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه.

الثاني: ليعلم محمدٌ أنَّ الملائكة الرُّصد أبلغوا رسالات ربهم.

الثالث : ليعلم من كفر أنَّ الرسلَ قد بلغوا الرسالة . والأول أظهر » [2].

العرض والمناقشة:

اختُلِف في فاعل " يعلم " على سبعة أقوال وهي :

القول الأول : ما أظهره ابن جُزيّ موافقا للقصّاب ، والزمخشري ، ووافقهم جلال الدين المحلِّ ي وأبو السعود ، ومحمدُ بن عبد الوهاب [3]، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [4].

قال القصّاب : « فعلمه بذلك – سبحانه – ليس بمحدث في وقت تبليغ رسالة الرسل ، بل علمه قديم أزلي بالأشياء كلها ، قبل كونها بتكوينه لها ، وهو في هذا على سعة اللسان ، أي يراهم مبلغين ل لرسالة

---

(١) سورة الجن:٢٨.

(٢) التسهيل (٤/١٥٥).

(٣) محمد بن عبد الوه اب بن سليمان التميمي النجدي . وُلد في العيينة سنة (١١١٥ هـ) . صاحب النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. من مؤلفاته (كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، و تفسير الفاتحة) . توفي سنة (١٢٠٦ هـ).
يُنظر : الأعلام (٦ / ٢٥٧).

(٤) نكت القرآن (٤ / ٤٣١) ، واالكشاف(٤/٦٣٥) ، وإرشاد العقل السليم (٩/٤٨)، و تفسير الجلالين (١/٧٧٣) ، وتفسير آيات من القرآن الكريم (١ /٣٦٢) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٠) .

سامعين لربهم ، مطعين » [١].

قال أبو السعود : « فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الا ختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء ، وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ﴾[٢] ،والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد . وإيرادُ علمه تعالى؛ لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما » [٣].

وقال ابن عاشور : « والمراد : ليَعلم اللهُ أن قد أبلغوا رسالات الله وأدوا الأمانة علمً ا يترتب عليه جزاؤهم الجزيل» [٤].

القول الثاني : ليعلم محمد -ﷺ- وهو قول ابن عباس [٥]. و قال به قتادة [٦] .

و اختاره الطبريّ ، وابن أبي زمنين ، والواحديّ ، وقدّمه السرّمعانيّ ، و القرطبيّ ، ابن كثير [٧] – رحمهم الله تعالى-

قال الإمام الطبري: « وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب. قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم؛ وذلك أن قوله:﴿لِّيَعْلَمَ﴾ من سبب قوله : ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾، وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبرا عنه »[٨].

---

(١)نكت القرآن (٤ / ٤٣١).

(٢) سورة محمد:٣١.

(٣) إرشاد العقل السليم (٩/٤٨).

(٤) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٠) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢٩/١٢٣)، ولفظه قال : (أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل ليعلم محمد ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ قال: وما نزل جبريل– عليه السلام – بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/١٢٣)، ولفظه (ليعلم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحفظت) .

(٧) جامع البيان (٢٩/١٢٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٥/٤٨)، و الوسيط (٤ / ٣٦٩) ، وتفسير القرآن (٦/٧٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٣٠) ،و تفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٤).

(٨) جامع البيان (٢٩/١٢٣).

القول الثالث: ليعلم الناس.أورده السمعاني ،والبغوي ،والقرطبي—رحمهم الله تعالى– [١].

القول الرابع : ليعلم إبليس ، ذكره أبو حيَّان ، والسم ين ، والقرطبي ، والشوكاني والأ لوسي — رحمهم الله تعالى– [٢].

القول السادس: ليعلم الجن ،ذكره الماوردي ، والسرمعاني ، وابن عادل ، والشوكاني والأ لوسي– رحمهم الله تعالى– [٣].

القول السابع : ليعلم من كذب الرسل ،وهو مروي عن مجاهد [٤]، وقال به مكي بن أبي طالب [٥]، [٥]، وذكره الماوردي وأبو حيَّان ، وابن كثير ، والشوكاني–رحمهم الله تعالى– [٦].

الترجيح

الراجح — والله تعالى أعلم — ما رجّحه ابن جُزيٍّ ، و أكثر المفسرين [٧]بأنه عائد على الله – ﷻ – لدلالة سياق عليه ؛ لأن الله تعالى وصف نفسه بقوله :﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾فله العلم المطلق بما كان وما سيكون ، و اختصَّ بعض خلقه بإطلاعه على شيء من علمه وهم رسله الكرام وجعل لهم من الرصد ما يحفظونهم ؛ ليبلغوا ما أنزل الله إليهم ؛ليعلم الله أنّ رسله أبلغوا ما نزل إليهم ، علمًا يترتب عليه قيام الحجة على الخلق وليس علما محدثًا بدليل قوله تعالى :﴿وَأَحَاطَ ﴾ ،وقوله :﴿ وَأَحۡصَىٰ ﴾ فهذا دليل على أن الله تعالى عالم بذلك قبل كونه . وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (متى علق الله تعالى علمه بالأمور بعد وجودها كان المراد بذلك : العلم الذي يترتب عليه الجزاء) [٨] **ومما يؤيده** :

---

(١) تفسير القرآن (٦/ ٧٤) ، ومعالم التنزيل (٥ / ٤٦٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٩).

(٢) البحر المحيط (٣٤٩/٨) ، والدر المصون (٦ / ٤٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠/١٩)، القدير (٣١٣/٥) ، وروح المعاني (١٠٠/٢٩).

(٣) النكت والعيون (٦ / ١٢٣) ، وتفسير القرآن (٦/ ٧٤) ، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤٤٦ - ٤٤٧) ،وفتح القدير (٣١٣/٥).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٢٣/٢٩) ، ولفظه قال :(ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨١).

(٦) النكت والعيون (٤ / ١٢٣) ، و البحر المحيط (٣٤٩/٨) ، وتفسير القرآن العظيم(٤٣٤/٤)، وفتح القدير(٣١٣/٥).

(٧) التفسير الكبير (١٥٠/٣٠).

(٨) قواعد التفسير (٢ / ٧٥٥).

١. النظائر القرآنية كما في قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[1].

قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – تعليقا على الآية : « ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنَّه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه – ﷻ – عن ذلك علوا كبيرا ؛ بل هو تعالى عالمٌ بكل ما سيكون قبل أن يكون وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا : ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[2] وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور فقوله والله عليم بذات الصدور بعد قوله : " ليبتلي" دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئا لم يكن عالما به – ﷻ – عن ذلك علوا كبيرا ؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار .وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه ومعنى ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ أي : علما يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالما به قبل ذلك . وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى» [3].

وهذا يوافق القاعدة التفسيرية: (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها) [4].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – : «أي ليعلم الله أن الأنبياء بلَّغُوا الرسالات كقوله : ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ ﴾[5]﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ بما عند الرسل من الحكم والشرائع ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾من القطر والرمل وورق الأشجار وغير ذلك فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه » [6] .

٢. أن اللام في قول الله تعال "ليعلم " لام العاقبة أي : ليتبين علم الله تعالى [7]. و الله تعالى أعلم.

❖ ❖ ❖ ❖

(١) سورة البقرة:١٤٣ .

(٢)سورة آل عمران:١٥٤.

(٣) أضواء البيان (٤٦/١).

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٦١٣).

(٥)سورة محمد:٣١.

(٦) تفسير آيات من القرآن الكريم (٣٦٢/١).

(٧) يُظر : باهر البرهان (٣ / ١٥٦٦).

رابعاً : سورة المزمِّل

قول الله – ﷻ – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

❀ (٣٠)مسألة : سبب نداء النبي – ﷺ – بالمزمّل .

ترجِّيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ النبي – ﷺ – نُودي " بالمزمل " ؛ لأنه كان وقت نزول الآيات متزمَّلا في كساء فرقاً مما عاينه من الوحي.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «وفي تسمية النبي–ﷺ – بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه كان في وقت نزول الآية متزمَّ لا في كساءٍ أو لحافٍ ، والتزمُّل الالتفافِ في الثياب بضم وتشمير. هذا قول عائشة والجمهور.

والثاني: أنَّه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أنَّ معناه المتزمِّل للنبوة .أي : المتشمِّر الجد في أمرها. والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري ومسلم أنَّ رسول الله– ﷺ – لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع –ﷺ – إلى خديجة ترعد فرائصه فقال: ((زملوني زملوني)) فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[2]وعلى هذا نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾[3] . فالمزمِّل على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل .

---

(١)سورة المزَّمل:١ .

(٢) سورة المدَّثر:١.

(٣) لم أقف على هذا الحديث بهذا السياق ، و إنما وقفت عليه من روايتين . وهما :

لأولى : ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : ((... حتى جَاءَهُ الْحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فقال : اقْرَأْ . قال : ما أنا بِقَارِئٍ .قال: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: اقْرَأْ قلت : ما أنا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال : اقْرَأْ .فقلت :ما أنا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ فَرَجَعَ بها رسول اللَّهِ – ﷺ– يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ – رضي الله عنها – فقال: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَزَمَّلُوهُ حتى ذَهَبَ عنه الرَّوْعُ)). باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ – ﷺ– وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (٤/١) ح (٤).

وقال الزمخشري :كان نائما في قطيفة فنودي يأيها المزمل [ليهجن إليه[1]] الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفه ؛ لأنه [كان[2]] سبب النوم الثقيل المانع من قيام الليل ، وهذا القول بعيد غير سديد» [3].

العرض والمناقشة:

في المسألة خمسة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيٍّ موافقًا للسمّعاني ، و وافقهما جلالُ الدين المحلّي ، و صدَّر به الشوكاني ، والألوسي، وابن عاشور الأقوال [4]، و قال به السعدي [5]. وممن أورده ابن عطيّة ، وابن الجوزي [6]– رحمهم الله – .

قال السمّعاني : «قال ابن عباس: لما تراءى له جبريل – صلوات الله عليه – في ابتداء الوحي فرِق منه فرقًا شديدًا فرجع إلى بيته وتزمل بثيابه ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ ثم إن جبريل – عليه السلام – أكثر المجيء إليه حتى أنس» [7].

القول الثاني : نُودي النبي – ﷺ– " بالمزمِّل " ؛ لتأهبه للصلاة . وهو مروي عن قتادة [8] وقال به

والثانية : ما أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنه – وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : ((بَيْنَا أنا أَمْشِي إِذْ سمعت صَوْتًا من السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فإذا الْمَلَكُ الذي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ على كُرْسِيٍّ بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ منه فَرَجَعْتُ فقلت : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي . فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ)). باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول– ﷺ –، وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (١/٥) ح (٤) ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي على رسول الله– ﷺ – (١/١٤٣) ح (١٦١) بنحوه.

(١) في المطبوع (ليبين الله) والتصويب من "ز " (أ / ٢٢٥).

(٢) ساقط من الأصل والتصويب من "ز" (أ / ٢٢٥).

(٣) التسهيل (٤/١٥٦).

(٤)تفسير القرآن (٦/٧٦) ، و تفسير الجلالين (١/٧٧٣) ،و فتح القدير (٥/٣١٥) ،و روح المعاني (٢٩/١٠٢)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٦).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (١/٨٩٢).

(٦)المحرر الوجيز (٥/٣٨٦) ، وزاد المسير (٨/٣٨٨).

(٧)تفسير القرآن (٦/٧٦).

(٨) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢٩/١٢٤) ، ولفظه : (أي: المتزمل في ثيابه). و ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٨/٣١٣) ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر . وقول الإمام الطبري (متأهب للصلاة) إنما هذا من كلامه

الفراء ورجَّحه الإمام الطبري و تبعه ابن أبي زمنين ، والمراغي [(١)]- رحمهم الله -.

قال الفراء : «والمزمّل: الذى قد تزمّل بثيابه، وتهيأ للصلاة، وهو رسول الله-ﷺ - » [(٢)].

وقال الطبري: « واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه - ﷺ- في هذه الآية من التزمُّل، فقال بعضهم: وصفه بأنه مُتَزمل في ثيابه، متأهب للصلاة» [(٣)].

ثم عقّبَ على الأقوال بقوله : « والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة ؛ لأنه قد عقبه بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[(٤)] فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمُّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه» [(٥)].

القول الثالث : نُودي - ﷺ - ؛ لأنَّ وقت نزول الآيات كان متزملا في كساء . وهو قول عائشة - رضي الله عنها- [(٦)]، وقال به إبراهيم النخعي [(٧)] . وقدَّمه ابن عطية ، وأفرده بالذكر أبي حيان [(٨)]،

تفسيرا لقول قتادة .

(١)جامع البيان (١٢٤/٢٩) ، تفسير القرآن العزيز (٤٩/٥) ، وتفسير المراغي(١٠ / ٢٣٤) .

(٢) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٩٦).

(٣) جامع البيان (١٢٤/٢٩).

(٤) سورة المزَّمل:٢.

(٥) جامع البيان (١٢٤/٢٩).

(٦) لفظ الحديث لم أجده مسندا ، و ذكره الزمخشري عن عائشة -رضي الله تعالى عنها - أنها سئُلت ما كان تزميله ؟ قالت: (كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا ونصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي . فسئُلت ما كان؟ فقالت :والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا إبريسما ولا صوفا وكان سداه شعرا ولحمته وبرا).

قال الزيلعي : « قلت : غريب . وروي البيهقي في كتاب الدعوات الكبير له اخبرنا أبو عبد الله الحافظ اخبرني أبوصالح خلف بن محمد أنا صالح بن محمد ثنا محمد بن عباد المكي ثنا حاتم بن إسماعيل عن نصر بن كثير عن يحيى ب ن سعيد عن عروة عن عائشة قالت : لما كانت ليلة النصف من شعبان انسل النبي - صلى الله عليه وسلم - من مرطي ،ثم قالت: والله ما كان مرطي من حرير ولا قز ولا كتان ولا كرسف ولا صوف . قلنا فمن أي شيء كان ؟ قالت: إن كان سداه لمن شعر وإن كان لحمته لمن وبر مختصر».

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية من حديث سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره سواء وأعله بابن أبي كريمة وقال إن له مناكير . يُنظر : تخريج الأحاديث والآثار (١٠٧/٤).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسير القرآن العظيم " (٣٣٨٠/١٠) ح (١٩٠١٥) ، ولفظه (قال نزلت وهو في قطيفة).

(٨) المحرر الوجيز (٣٨٦/٥) ، و البحر المحيط (٣٥٣/٨).

وممن ذكره الزجاج ، ومكي بن أبي طالب ،وابن كثير [1]- رحمهم الله -.

قال ابن عطية : « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ نداء للنبي - ﷺ - واختلف الناس لم نودي بهذا فقالت : عائشة والنخعي وجماعة : لأنه كان وقت نزول الآية متزمّلا بكساء والتزمّل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير ومنه قول امرئ القيس[2] :

كأنّ أبانا في أفانين ودقه كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمِّل» [3].

قال القرطبي : «وهذا القول من عائشة يدل على أنَّ السورة مدنية فإن النبي - ﷺ - لم يبن بها إلا في المدينة وما ذكر من أنها مكية لا يصح - والله أعلم- » [4]

القول الرابع : نُودي النبي- ﷺ- " بالمزمل " لخوفه من المشركين . ذكره القرطبي وابن كثير ، وابن عادل ، والبقاعي ، والشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، وابن عاشور[5]- رحمهم الله - .

واستُدل عليه بحديث جابر بن عبد الله - ﷺ - قال: ((اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سموا هذا الرجل اسما يصدر الناس عنه . قالوا : كاهن. قالوا : ليس بكاهن .قالوا :مجنون . قالوا : ليس بمجنون. قالوا : ساحر. قالوا : ليس بساحر . فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي -ﷺ - فتزمل في ثيابه وتدثر فيها ، فأتاه جبريل - ﷺ- فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[6])) [7].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٨٦) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥) ، و تفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٤).

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق. توفي نحو (٨٠ ق هـ).
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (٥١/١) ، والأعلام (٢ / ١١).

(٣)المحرر الوجيز (٣٨٦/٥).

(٤)الجامع لأحكام القرآن (٣٢/١٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٢/١٩)، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٤) ، واللباب (١٩ / ٤٥١) ، فتح القدير (٣١٥/٥)،و روح المعاني (١٠١/٢٩)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٦) .

(٦) سورة المدَّثر:١.

(٧) أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار (٣ / ٧٧) ح (٢٢٧٦) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٣١٩/٢) ح (٢٠٦٩).
وهو موضوع . قال الهيثمي : وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب . يُنظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٣٠/٧).

القول الخامس : نودي النبي – ﷺ – " بالمزمل " ؛ لأنه وقت نزول الآيات كان نائمًا متزمِّلا في ثيابه قال به الزمخشري، وتبعه البيضاوي ، وأبي السعود [(١)]– رحمهم الله– .

قال الزمخشريّ : « وكان رسول الله – ﷺ– نائماً بالليل متزمِّلاً في قطيفة فنبه ونودي بما يهجُن إليه الحالة التي كان عليها من التزمِّل في قطيفته» [(٢)].

القول السادس : نُودي النبي– ﷺ – "بالمزمِّل " على سبيل المجازا كأنه قيل له: يا من تزمَّل بالنبوة . وهو قول ابن عباس [(٣)]، وقال به عكرمة [(٤)]– رضي الله عنهما– .

وأورده الطبري ، والماوردي ، والسمعاني ، وابن عطية ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والقرطبي والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل ، والشربيني ، والشوكاني[(٥)] – رحمهم الله –.

الترجّيح

أرى — والله تعالى أعلم — أن النبي – ﷺ – نوُدي بالمزمل ؛لتأهبه للصلاة . وهو ما قاله الفراء ورجَّحه الإمام الطبري ؛ لقرينة السياق فقد أمره الله تعالى بعد ندائه بالأمر بالقيام . **ويؤيده عدة أمور وهي** :

١. أنَّ هذا النداء من الله تعالى تلطفًا وتأنيسًا، وقد يعدل عن نداء الشخص باسمه إلى صفة متلبس بها إيناساً وملاطفة له.

قال ابن عاشور : « افتتاح الكلام بالنداء إذ كان المخاطب واحدا و لم يكن بعيدا يدل على الاعتناء بما سيلقي إلى المخاطب من كلام

والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم نحو : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ

---

(١) الكشاف (٦٣٧/٤) ، و أنوار التنزيل (٤٠٤/٥) ، و إرشاد العقل السليم (٤٩/٩).

(٢) الكشاف (٦٣٧/٤).

(٣) أخرجه الحاكم بسنده عنه "المستدرك على الصحيحين" (٥٤٨/٢) ح (٣٨٦٣) ، ولفظه قال : (زملت هذا الأمر فقم به) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. قال الذهبي قي التلخيص : صحيح .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (١٢٤/٢٩)، ولفظه : قال: (زملت هذا الأمر فقم به) .

(٥)جامع البيان (١٢٤/٢٩)،و النكت والعيون (٦ / ١٢٥) ، وتفسير القرآن (٧٦/٦)، المحرر الوجيز (٣٨٦/٥)،و أحكام القرآن لابن العربي (٣٢٣/٤) ، وزاد المسير (٣٨٨/٨) ، ولباب التأويل (٦ / ٢٩٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٤) ، واللباب(١٩ / ٤٥٠) والسراج المنير (٨ / ١٤٠) ، فتح القدير (٣١٥/٥).

ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] أو تلطف وتقرب نحو : ﴿يَٰبُنَيَّ ﴾[2] و ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾[3]، أو قصد تهكم نحو : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾[4] فإذا نودي المناد ى بوصفِ هيئتهِ من لبسه أو جلسةٍ أو ضجعةٍ كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه...» [5].

٢. إنَّ الأقوال الأخرى لا تسلم من الاعتراض ، وبيان ذلك كما يلي :

القول الأول : وهو اختيار ابن جُزيّ .

أرى – والله تعالى أعلم – أنَّ هذا القول لابن جُزيٍّ فيه نظر ؛ وذلك من حيث الاستدلال على قوله بأنه قول عائشة – رضي الله عنها – والجمهور [6]؛إذ أنَّ قول عائشة – رضى الله عنها – في بدء الوحي عندما رجع رسول الله – ﷺ- خائفاًوجلاً عندما تراء له جبريل – عليه السلام – في غار حراء فهذا الرعب الذي اعترى النبي – ﷺ- لأول مرة رأى فيها جبريل- عليه السلام – ، ثم بعد ذلك رآه بعد فترة الوحي في حديث جابر فنزلت عليه سورة المدثر .

فالقول بأنه تزمَّل في ثيابه لما عاينه عند تلقى الوحي والاستدلال بحديث عائشة أرى – والله أعلم – استدلال في غير محلِّه ؛ إذ أن حالة الخوف قد زالت بسبب تكرار نزول الوحي بدليل قول جابر– رضي الله عنه – : ((فحمي الوحي وتتابع)).

وكذلك استناد ابن جُزيّ في بيان المعنى على قول عائشة – رضي الله عنها – : ((فَرَجَعَ بها رسول اللَّهِ – ﷺ – يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ – رضي الله عنها – فقال : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتى ذَهَبَ عنه الرَّوْعُ ...)) ظاهر السيّاق أن النبي – ﷺ- زُمِّل لخوفه.

٣. قول ابن جُزيّ بعد ذكر الحديث :« وعلى هذا نزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾هذا القول لم أقف عليه في رواية الحديث ، وإنما وجدت هذه الزيادة عند ابن عطية ، وتبعه الثعالبي ، والصحيح أنَّ خبر جابر – رضي الله عنه – صريح في نزول المدثر [7].

والقول الرابع : أن النبي – ﷺ- نودي بالمزمل لخوفه من قريش . يرده أن الحديث موضوعٌ وليس محلا للاستشهاد به .

---

(١) سورة الأنفال:٦٤.

(٢) سورة هود:٤٢.

(٣) سورة يوسف:٤.

(٤) سورة الحِجر:٦.

(٥) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٥).

(٦) المحرر الوجيز (٣٨٦/٥) ، والجواهر الحسان (٣٥١/٤) ، وروح المعاني (١٠٢/٢٩)، و والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٦).

(٧) المحرر في أسباب النزول (٢ / ١٠٥٢).

والقول الخامس: بأنه – ﷺ– كان نائما فنودي استهجانا .قول لا يصح وصف النبي – ﷺ – به ؛ لأن الله تعالى قد خاطب نبيه في القرآن بما يليق به فلم يدعه باسمه قط ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾[1]. وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]. و(كل قول طعن في عصمة النبوة، ومقام الرسالة فهو مردود) [3].

قال ابن المنير في تعليقه على الكشاف : «أما قوله الأول : أن نداءَه بذلك تهجينٌ للحالة التي ذكر أنه كان عليها ، واستشهادَه بالأبيات المذكورة ، فخطأ و سوء أدب ، ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى في الإكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشري ، فقد قال العلماء : إنه أي : النبي– ﷺ – لم يخاطب باسمه نداء ، وأن ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكرامًا له وتشريفا» [4].

القول السادس : محمول على المجاز ، والحقيقة أولى . والله تعالى أعلم.

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) سورة الأحزاب:٢٨ .

(٢)سورة التحريم:١ .

(٣) قواعد الترجيح (١ / ٣٢٨).

(٤) الكشاف (٤ / ٤٧٨).

قول الله – ﷻ – :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا ﴾[1]. وفي الآية مسألتان وهما :

❁ (٣١)المسألة الأولى : على من فُرض قيام الليل في قوله تعالى :﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا ﴾.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ قيام الليل فُرض على النبي– ﷺ – وعلى أمته ثم نُسخ .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « وأمَّا على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال :

أحدها :أنه فرض على النبي – ﷺ – وحده و لم يزل فرضاً عليه حتى توفي.

الثاني: أنَّ فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة :﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾[2]الآية وصار تطوعا. هذا قول عائشة – رضي الله عنها –[3]وهو الصحيح . واختلف كم بقي فرضاً ؟ فقالت عائشة : عاما .وقيل: ثمانية أشهر. وقيل: عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية.

الثالث : أنَّ فرُض عليه – ﷺ – وعلى أمته ، وهو ثابت غير منسوخ ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين[4]» [5] .

العرض و المناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي :

---

(١) سورة المزَّمل:١.

(٢) سورة المزمل :٢٠.

(٣)التسهيل (١٥٦/٤)

(٤) محمد بن سيرين البصري، الأ نصاري بالولاء، أبو بكر . وُلد سنة (٣٣ هـ) . إمام وقته في علوم الدين بالبصرة . . تُوفي سنة (١١٠ هـ).

ينظر : وفيات الأعيان (١٨١/٤) ، و الأعلام (٦ / ١٥٤).

(٥) التسهيل (١٥٦/٤).

القول الأول :ما ذهب إليه ابن جُزيّ . وهو قول عائشة [(١)] ، وابن عباس [(٢)] – رضي الله عنهما –. و قال به الطبري ، و مكي بن أبي طالب ، والبغوي ، والقرطبي[(٣)] ، ووافقهم الشوكاني [(٤)]– رحمهم الله – .

قال مكي : «وكان فرضًا عليه وعلى المؤمنين فكانوا يقومون ثم خفف عنهم الآيتين في آخر السورة فَفَسختَا هذا ، وهو قول أكثر العلماء » [(٥)].

قال الشوكاني بعد ذكر الأقوال : « و الأولى القول بنسخ قيام الليل على العموم في حقه – ﷺ – وفي حق أمته وليس في قوله:﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ ﴾ ما يدل على بقاء شئ من الوجوب» [(٦)].

القول الثاني : أنَّ فرُض على النبي – ﷺ – وحده و لم يزل فرضاً عليه حتى توفي. قدَّمه ابن عطية وقال به جلال الدين المحلي ، وابن عاشور [(٧)] ، وذكره الماوردي ، والقرطبي ، وأبو حيان والثعالبي [(٨)] [(٨)] – رحمهم الله –.

قال ابن عاشور : «وأمر الرسول – ﷺ – بقيام الليل أمْر إيجاب، وهو خاص به ؛لأن الخطاب موجه إليه وحده مثل السور التي سبقت نزولَ هذه السورة ، وأما قيام الليل للمسلمين فهم اقتدوا فيه بالرسول – ﷺ – » [(٩)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب صلاة المسافرين أو قصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (٥١٣/١)، ولفظه : (فإن اللَّهَ – عز وجل – افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ في أَوَّلِ هذه السُّورَةِ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا وَأَمْسَكَ الله خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا في السَّمَاءِ حتى أَنْزَلَ الله في آخِرِ هذه السُّورَةِ التَّخْفِيفَ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٢٤/٢٩)، ولفظه (لما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة) .

(٣) جامع البيان (١٢٤/٢٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥) ، ومعالم التنزيل (٤٠٧/٤)،والجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩).

(٤) فتح القدير (٣٢٢/٥).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥).

(٦) فتح القدير (٣٢٢/٥).

(٧) المحرر الوجيز (٣٨٧/٥) ، و تفسير الجلالين (٧٧٥/١) ، التحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٥).

(٨) النكت والعيون (٦ / ١٢٥) ، والجامع لأحكام القرآن(٣٤/١٩) ، و البحر المحيط (٣٥٣/٨)،و الجواهر الحسان (٣٥١/٤)،والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٥).

(٩) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٥).

وحجة هذا القول الاستدلال بقوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[1].فذهب البعض أن معنى كونها نافلة له على التخصيص أي : خُصِّصت بها من دون أمَّتك ، ويدل عليه قوله تعالى :﴿ فَتَهَجَّدۡ ﴾ والأمر للوجوب.

القول الثالث : كان قيام الليل فريضة على النبي – ﷺ – وعلى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – قبله . أورده القرطبي ، والشربيني عن ابن عباس[2]– رضي الله عنه– .

القول الرابع : أنه فرِضَ عليه – ﷺ– ، وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه . وهو قول الحسن ، وابن سيرين[3]. وأورده السمعاني ، والقرطبي ،والشوكاني، والألوسي [4] [4] – رحمهم الله –.

قال القرطبي : «وقيل : نُسخ التقدير بمقدار وبقي أصل الوجوب كقوله تعالى : ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ ﴾[5] ، فالهدي لابد منه كذلك لم يكن بدَّه من صلاة الليل ولكن فوّض قدره إلى اختيار المصلي وعلى هذا فقد قال قوم: فرَّض قيام الليل بالقليل باق . وهو مذهب الحسن » [6].

ويردَّه حديث عائشة – رضي الله عنها – فهو نصٌّ في التخفيف عنهم بعدم القيام ، وإلزامهم بالواجب. قال قتادة : « ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فهما فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما فأدوهما إلى الله تعالى ذكره» [7].

قال ابن المُلقّن [8] : «حكى النووي [1]في شرح مسلم في باب صلاة الليل عن بعض السلف أنه يجب

---

(١) سورة الإسراء:٧٩ .

(٢) وقفت عليه منسوبا في الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩)، والسراج المنير (٨ / ١٤٣).

(٣) روح المعاني (١١٢/٢٩).

(٤) تفسير القرآن (٨٤/٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٩) ، و فتح القدير (٣٢٢/٥) ،و روح المعاني (١١٢/٢٩).

(٥) سورة البقرة:١٩٦.

(٦)الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٩).

(٧) جامع البيان(١٤٢/٢٩).

(٨) عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن . وُلد سنة (٧٢٣ هـ) . من من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. له مصنفات كثيرة منها (إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، و التذكرة

على الأمة من قيام الليل ما يقع عليه الاسم ولو قدر حلب شاة قال وهو غلط مردود بإجماع من قبله مع النصوص الصحيحة أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس» [٢].

وقال ابن عبد البر – رحمه الله – : « وقد شذ بعض التابعين فأوجب قيام الليل ولو قدر حلب شاة والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه مرغوب فيه » [٣].

الترجيح

القول الذي تطمئن إليه النفس – والله أعلم بالصواب – أنَّ قيام الليل فرُض على النبي – ﷺ – وعلى أمته ثم نسخ بقوله في آخر السورة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ [٤] الآية وصار تطوعا وهو ما رجَّح ابن جُزيّ وأكثر العلماء ؛ لصحة حديث عائشة – رضي الله عنها – . و (إذا ثبت الحديث و كان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له) [٥] .**ويُؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ الخطابَ في قول الله تعالى : ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ موجه للنبي – ﷺ – ويشمل كذلك الأمة ؛ لأن الخطاب للقدوة خطاب لأتباعه ، وهذا يوافق القاعدة التفسيرية : (الخطابات المواجهة إليه عليه الصلاة والسلام تشمل الأمة إلا لدليل) [٦] . ويدل عليه قول الله – ﷻ – في آخر السورة تعالى : ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [٧]، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فهذه قرائن يستدل بها على أن القيام كما كان مفروضا على النبي – ﷺ – فرُض أيضا على صحابته ، ونُسخ الحكم بالآية الأخير.

في علوم الحديث ، و الأعلام بفوائد عمدة الأحكام) .تُوفي سنة (٨٠٤ هـ).

يُنظر : طبقات الشافعية (٤٣/٤) ، و الأعلام (٥ / ٥٧).

(١)يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي النواوي ، أبو زكريا . وُلد سنة (٦٣١ هـ). كان إماما بارعا حافظا متقنا أتقن علوما شتى من تصانيفه (شرح صحيح مسلم ، ورياض الصالحين ،والأذكار ، والأربعين ، والإرشاد في علوم الحديث) . تُوفي سنة (٦٧٦ هـ).

يُنظر : تذكرة الحفاظ (١٤٧٠/٤) ، و طبقات الحفاظ (٥١٣/١).

(٢) غاية السول في خصائص الرسول (٩٥/١).

(٣)الاستذكار (٨٢/٢).

(٤) سورة المزمل : ٢٠ .

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

(٦) قواعد التفسير (٢ / ٥٧٨).

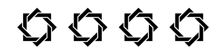
(٧) سورة المزَّمل:٢٠ .

٢. جاء تعين الفريضة بالصلوات الخمس من السنة . فعن طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ [(١)] قال: جاء رَجُلٌ إلى رسول اللَّهِ – ﷺ – من أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ولا يُفْقَهُ ما يقول حتى دَنَا فإذا هو يَسْأَلُ عن الْإِسْلَامِ فقال رسول اللَّهِ – ﷺ – : ((خَمْسُ صَلَوَاتٍ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فقال هل عَلَيَّ غَيْرُهَا قال لَا إلا أَنْ تَطَوَّعَ قال رسول اللَّهِ – ﷺ – وَصِيَامُ رَمَضَانَ. قال هل عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ قال: لَا إلا أَنْ تَطَوَّعَ . قال: وَذَكَرَ له رسول اللَّهِ – ﷺ – الزَّكَاةَ .قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قال: لَا إلا أَنْ تَطَوَّعَ . قال : فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وهو يقول : والله لَا أَزِيدُ على هذا ولا أَنْقُصُ. قال : رسول اللَّهِ – ﷺ – أَفْلَحَ إن صَدَقَ))[(٢)].

فقول الأعرابي : " هل عليّ غيرها " وإجابة النبي – ﷺ – بالنفي دلالة على تعين الفرض ، ثم قال – ﷺ – :((إلا أَنْ تَطَوَّعَ)) فسمى النبي – ﷺ – ما زاد عن الفريضة بالتطوع ، فدل ذلك على عدم الوجوب. ويتأيد بالقاعدة الترجيحة : (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له)[(٣)].

٣. أنَّ هذا القول عليه جُلُّ عبارات المفسرين .

قال السمعاني : «وفيه الإجماع» [(٤)]، فيقدم القول الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملا [(٥)] . والله تعالى أعلم.



---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني ، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام.تُوفي سنة (٣٦ هـ).
يُنظر : الاستيعاب (٧٦٤/٢) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (٥٢٩/٣) .

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" ، كتاب الإيمان ، بَاب الزَّكَاةُ من الْإِسْلَامِ وَقَوْلُهُ عز وجل :﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (١ / ٢٥) ح (٤٦).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

(٤) تفسير القرآن (٨٤/٦،٨٥)

(٥) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٤).

❁(٣٢) المسألة الثانية : مدة بقاء قيام الليل فرضا في قول الله تعالى :﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ قيام الليل كان مفروضًا لمدة عام.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « واختلف كم بقي فرضا؟ فقالت عائشة: عامًا . وقيل ثمانية أشهر. وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية» [١].

العرض و المناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول عائشة [٢]، وابن عباس [٣]- رضي الله عنهما – و قال به الجصاص ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وبيان الحق ، والقرطبي [٤]. ووافقهم الخازن [٥] – رحمهم الله – .

قال البغوي : «﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾على النصف إلى الثلثين ، خيّره بين هذه المنازل فكان النبي – ﷺ – وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم

(١) التسهيل (٤/١٥٦).

(٢) سبق تخريجه ص (١٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٢٦٦) ح (٣٥٩٤٣) ، و أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب نسخ قيام اللّيل والتيسير فيه (٢/٣٢) ح (١٣٠٥) ، والطبري في جامع البيان (٢٩/١٢٦) ، و ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٨٠) ح (٣٨٦٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٩٦) ح (١٢٨٧٧) ، والحاكم في مستدركه (٢/٥٤٨) من طريق مسعر عن ابن عباس . ولفظه : (لما نزل أوّل المزمل كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في رمضان، وكان بين أوّلها وآخرها قريب من سنة).
قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) . وقال الشيخ الألباني :(صحيح) . يُنظر : صحيح وضعيف سنن أبي داود ح (١٣٠٥) (٢٢٤).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/٣٦٧) ، وتفسير القرآن العزيز (٥/٥٢) ،والوسيط (٤/ ٣٧٢)، معالم التنزيل (٤/٤٠٧) و باهر البرهان(٣ / ١٥٦٩)، و الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣٤).

(٥) لباب التأويل(٦ / ٣٠٠).

فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ الآية فكان بين أول السورة وآخرها سنة»[1].

القول الثاني : بقي ثمانية أشهر. وهو قول عائشة – رضي الله عنها - . وأورده الطبري والثعلبي وأبو حيَّان [2]- رحمهم الله -.

واستُدل عليه بحديث عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : « كنتُ أجعلُ لرسول الله - ﷺ - حصيرًا يصلِّي عليه من الليل ، فتسامعَ به الناسُ فاجتمعوا فخرج كالمُغضَب وكان بهم رحيمًا فخشي أن يكتبَ عليهم قيامُ الليلِ فقال : ((يا أيها الناسَ اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوّا من العمل .وخير الأعمال ما دمتم عليه)) ونزل القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل»[3].

القول الثالث : بقي قيام الليل عشرة أعوام . وهو مروي عن سعيد بن جبير [4]. وأورده الثعلبي و الزمخشري ، والقرطبي [5] – رحمهم الله -.

الترجّيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ قيام الليل بقي فرضا على النبي- ﷺ - وأصحابه- رضي الله عنهم - عاما ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لصحة حديث عائشة - رضي الله عنها –

---

(١) معالم التنزيل (٤٠٧/٤).

(٢) جامع البيان (١٢٥/٢٩)،و الكشف والبيان (٥٩/١٠)،و البحر المحيط (٣٥٣/٨).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنها " جامع البيان " (١٢٥/٢٩) . قال الحافظ ابن حجر في الفتح : (في سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف). (١ / ١٠٢).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٥/٢٩) ولفظه قال : (مكث النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾) ، وابن أبي حاتم في (تفسير القرآن العظيم) (٣٣٧٩/١٠) ح(١٩٠١٢) . وسنده ضعيف لإرساله . يُنظر : الاستيعاب في معرفة الأسباب (٣ / ٤٧١) .

(٥) الكشف والبيان (٥٩/١٠)،و الكشاف (٦٣٨/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩).

و (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له) [1]. **ويُؤيد ذلك عدة أمور وهي :**

١. إنَّ السورة بأكملها مكية وهو مروي عن الحسن ،وعكرمة ،وعطاء ، وجابر [2].و قال به الطبري وأبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والمهدوي ، والواحدي ، والبغوي وحكى ابن الجوزي عليه الإجماع [3].

فكون السورة مكية يُردُّ به على من قال باستمرار القيام عشرة سنين ، فضلا على ضعف الرواية .

قال ابن حجر[4] : «وقد روى محمد بن نصر في قيام الليل من طريق سماك الحنفي عن بن عباس شاهدا لحديث عائشة في أن بين الإيجاب والنسخ سنة ، وكذا أخرجه عن أبي عبد الرحمن السلمي [5] والحسن وعكرمة وقتادة بأسانيد صحيحة عنهم ومقتضى ذلك أن النسخ وقع بمكة؛ لأن الإيجاب متقدم على فرض الخمس ليلة الإسراء وكانت قبل الهجرة بأكثر من سنة على الصحيح» [6] . و هذا القول موافق للقاعدة الترجيحية :(إذا ثبت تاريخ نزول السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير) [7].

٢. ذكر الله – ﷻ– للجهاد والزكاة في العهد المكي إنما هو بشارة للمؤمنين بالتمكين.

قال ابن الحصار[8]:« ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيرا تصريحا وتعريضا بأن الله سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى تفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع و لم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلا

---

(١) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

(٢) يُنظر : النكت والعيون (٦ / ١٢٤) ، و الجامع لأحكام القرآن (٣١/١٩) ، روح المعاني (١٠٠/٢٩) .

(٣) جامع البيان (١٢٤/٢٩) ، و بحر العلوم (٤٨٦/٣) ، و تفسير القرآن العزيز (٤٩/٥) ، و التحصيل (أ /١٨٠) والوسيط (٤ / ٣٧١)، ومعالم التنزيل (٤٠٦/٤) ، و زاد المسير (٣٨٧/٨) .

(٤)أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر . وُلد سنة (٧٧٣ هـ) . من أئمة العلم والتاريخ.كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه . له تصانيف كثيرة منها : (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، و لسان الميزان ، و الأحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام).تُوفي سنة (٨٥٢ هـ).
يُنظر : ا البدر الطالع (٨٧/١) ، و لأعلام (١ / ١٧٨).

(٥)عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي ، أبو عبد الرحمن . مقرئ الكوفة وعالمها ، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود وسمع م نهم . تُوفي سنة (٧٢ هـ).
يُنظر : تهذيب الكمال (٤١٠/١٤) ، وتذكرة الحفاظ (٥٨/١).

(٦) فتح الباري (٢٢/٣).

(٧) قواعد الترجيح (١ / ٢٥٨) .

(٨) علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي، أبو الحسن، الحصار. فقيه أشبيلي الأصل. له كتب في (أصول الفقه والناسخ والمنسوخ ، و البيان في تنقيح الترهان) . يُنظر : الأعلام (٤ / ٣٣٠).

خلاف وأورد من ذلك قوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1] وقوله في سورة المزمل : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ومن ذلك قوله فيها : ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ »[2]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) سورة الأنعام:١٤١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/١٠٧).

قول الله – ﷻ – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾[1]

❁ (٣٣)مسألة : في معنى الآية.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أن الله تعالى خير نبيه– ﷺ – بين ثلاثة أحوال، وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه ، وذلك باعتبار أن الليل هو المستثنى منه ، وأن الضمير المجرور في " عليه " و " فيه " يعود على الليل .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : «في معنى هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول: وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ أو من﴿قَلِيلًا﴾ وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه .

الثاني: قال الزمخشري﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف لأن قوله : ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضا : يجوز أن يريد بقوله :﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير في قوله أو زد عليه يعود على ذلك أي زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع وهذا أيضا بعيد.

القول الرابع : قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك

---

(١) سورة المزمل : ١–٢ .

من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه [فدل[1]] ذلك على أن المراد [بالقليل[2]]المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي» [3].

العرض و المناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : أن نصفه " بدل " وهو على أربعة أوجه :

الوجه الأول :أن ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من ﴿قَلِيلًا﴾. وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للطبري وقال به مكي بن أبي طالب ، والزمخشري ، والبيضاوي ، وجلال الدين المحلي ، واستظهره الشوكاني ، وقدمه ابن عاشور [4]- رحمهم الله -.

قال الإمام الطبري : « وقوله : ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾يقول لنبيه – ﷺ – : قم الليل يا محمد كله إلا قليلا منه نصفه ، يقول: قم نصف الليل أو انقص منه قليلا أو زد عليه يقول أو زد عليه خير ه الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل فكان رسول الله – ﷺ – وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم» [5].

وقال مكي بن أبي طالب : وقوله : ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾أي : قم الليل كله إلا قليلا ثم أبدل من الليل بدل البعض من الكل فقال : ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾. أي : قم نصفه أو أقل من النصف ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾. أي : أو زد على النصف . فهذا كله تخيير من الله لرسوله بين أن يفعل ما شاء من هذه الثلاث المنازل يقوم النصف أو أقل أو أكثر»[6] .

(١) في المطبوع (قيل) والتصويب من ز" (ب / ٢٢٦)

(٢) في المطبوع (بالليل) و التصويب من "ز " (ب / ٢٢٦)

(٣) التسهيل (١٥٦/٤ ، ١٥٧).

(٤) جامع البيان (١٢٤/٢٩) ،و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥) ، و الكشاف (٦٣٨/٤) ، وأنوار التنزيل (٤٠٤/٥) و تفسير الجلالين (٧٧٣/١) ، وفتح القدير(٣١٦/٥)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٩).

(٥) جامع البيان (٢٩/ ١٢٤).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٨٥).

الوجه الثاني : أن نصفه بدل من الليل . والمعنى " قم أقل من نصف الليل .

قاله الزجاج ، والسّمعاني ،وذهب إليه الزمخشري ، وقدّ مه النسفي ، وقال به ابن كثير ، وأبو السعود ، والقنوجي ، والقاسمي [1]– رحمهم الله –.

قال الزجاج : « فالمعنى ، والله أعلم : أن ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من " الليل " كما تقول : ضربت زيداً رأسَهُ فإنما ذكرت زيداُ لتؤكد الكلام ، وهو أوكد من قولك : ضربت رأس زيداً ، فالمعنى : قم نصف الليل إلا قليلا ، ولكنه ذُكر مع الزيادة ، فالمعنى قم نصف الليل أو انقص من نصف الليل أو زد على نصفه » [2].

الوجه الثالث : أنَّ ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾أيضاً كما تقدَّم في الو جه الثاني ، إلاَّ أنَّ الضميرَ في﴿ مِنۡهُ﴾و﴿عَلَيۡهِ﴾ عائدٌ على الأقلِّ من النصف ، والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه . قاله الزمخشري [3].

الوجه الرابع : أَنْ يكونَ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدلاً مِنْ ﴿قَلِيلًا﴾كما تقدَّمَ ، إلاَّ أنَّك تجعلُ القليلَ الثاني رُبْعَ الليلِ . جوَّزه الزمخشري بقوله : «ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل ﴿قَلِيلًا﴾الثاني .بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلاً نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلاً نصفه» [4].

القول الثاني : أَنْ يكونَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾استثناءً مِنْ القيامِ ، فتجعلَ الليلَ اسم جنسٍ ثم قال : ﴿إِلَّا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١٨٦) ، و تفسير القرآن (٦/٧٧) ،و مدارك التنزيل (٤ / ٣٠٣) ، و تفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٥) ، و إرشاد العقل السليم (٩/٤٩)، و فتح البيان (١٤ /٣٨١) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٤).

(٢)معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١٨٦) .

(٣) الكشاف (٤/٦٣٨).

(٤) الكشاف (٤/٦٣٨).

﴿قَلِيلًا﴾أي : إلاَّ الليالِيَ التي تترُكُ قيامَها عند العُذْرِ البيِّن .احتمله ابن عطية [(١)].

قال ابن عادل معقباً على قوله : « قاله ابن عطية ، احتمالاً من عنده وهذا خلافُ الظاهرِ ، وهو تأويل بعيد» [(٢)].

الترجِّيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾مستثنى من ﴿الَّيْلَ﴾ و﴿نِّصْفَهُۥ﴾ وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في " منه " و " عليه : عائدان على النصف ، وهو ما رجحه ابن جزي ، ومن معه؛ لأنه المناسب لظاهر الآية حيث يدل على الاكتفاء بأحد الأزمنة المذكورة فيها وهي :

- قيام نصف الليل وجاء بيانه بقوله تعالى :﴿نِّصْفَهُۥ﴾.
- القيام بأنقص من نصف الليل وهو في قوله تعالى:﴿ نِّصْفَهُۥ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾.
- القيام بما زاد على النصف وبيانه بقول الله – ﷻ – : ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾. و (الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل) [(٣)].

١. يؤيد هذا التقسيم قراءة النصب [(٤)] في قوله تعالى :﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ عطفاً على ﴿أَدْنَىٰ﴾ حيث كانوا يقومون ﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ الَّيْلِ﴾وهو يقابله ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ويقومون ﴿نِّصْفَهُۥ﴾ و يقابله

(١) يُنظر : المحرر الوجيز (٣٨٧/٥).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٩ / ٤٥٧).

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٨٤٣).

(٤) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ ﴾ بالكسر . و حملوه على الجار ، أي: تقوم أدنى من نصفه ومن ثلثه . والمعنى في ذلك يكون على تأويل إن ربك يعلم أنك تقوم أحيانا أدنى من ثلثي الليل وأحيانا أدنى من نصفه وأحيانا أدنى من ثلثه غير عارف بالمقدار في ذلك التحديد بدلالة قوله بعدها ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾، وقرأ الباقون ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنصب بوقوع الفعل أي يقوم نصفه وثلثه وحجتهم في ذلك أن النصب أصح في النظر قال الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – : ﴿قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : صل الليل إلا شيئا يسيرا منه تنام فيه وهو الثلث والثلث يسير عند الثلثين ، ثم قال: ﴿نِّصْفَهُۥ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ أي : من الثلث قليلا أي نصفه أو أنقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد على النصف إلى الثلثين .
يُنظر : السبعة في القراءات (٦٥٨/١)، و إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات (٢٧١/٢).

﴿وَنِصۡفَهُۥ﴾ ، ويقومون ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ ويقابله ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ﴾ .

قال أبو حيان – رحمه الله – : «فقراءة النصب مناسبة للتقسيم الذي في أول السورة لأنه إذا قام الليل إلا قليلاً صدق عليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ﴾؛ لأن الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئاً من الثلثين فيصدق عليه قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وأما قوله : ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ فهو مطابق لقوله أولاً ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ وأما "ثلثه" فإن قوله : ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ قد ينتهي النقص في القليل إلى أن يكون الوقت ثلث الليل وأما قوله : ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ فإنه إذا زاد على النصف قليلاً كان الوقت أقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ﴾ » [1].

٢. أن ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ تبين لما أُجمل في ﴿قَلِيلٗا﴾؛ لبيان أن المأمور به من القيام يكون أكثر من مدة نصف الليل .ويدل عليه ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ أي انقص من النصف ، ثم قال الله تعالى : ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ عودة إلى القيام بأكثر من النصف [2]، ويؤيده القاعدة التفسيرية :(السياق والقرائن الدالة على مُراد المتكلم ترشد إلى بيان المجمل وتعيين المحتمل)[3]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) البحر المحيط (٣٥٨/٨).

(٢) يُنظر : التحرير والتنوير (١٢ / ٢٥٩).

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٦٧٧).

قول الله – ﷻ – :﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1].

❁ (٣٤)مسألة : سبب وصف القرآن بالثقيل في الآية.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجح أنَّ السبب في وصف القرآن بالثقيل ؛ لثقل تنزله على جسد النبي– ﷺ – عند نزول الوحي.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «والقول الثقيل هو القرآن. واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال :

أحدها : أنه سمى ثقيلا لما كان النبي – ﷺ – يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد [2]وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به [3]وأوحى إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد [4]والثقل على هذا حقيقة .

الثاني : أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده .

---

(١) سورة المزَّمل:٥ .

(٢) لفظ الحديث من رواية أمّ عائشة — رضي الله عنها – أَنَّ الْحَارِثَ بن هِشَامٍ – رضي الله عنه – سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فقال : (يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فقال رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : ((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنه ما قال . وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي ما يقول)) قالت عَائِشَةُ –رضي الله عنها – : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عليه الْوَحْيُ في الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عنه وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا)

أخرجه البخاري في صحيحه ، باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾(١/٤) ح (٢) .

(٣) لفظ الحديث من رواية عائشة – رضي الله عنها– : (أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك وتلت قول الله عز وجل : ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾

أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : (صحيح) (٢/٥٤٩) ح (٣٨٦٥).

(٤) لفظ الحديث من رواية سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قال رأيت مَرْوَانَ بن الْحَكَمِ جَالِسًا في الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلْتُ حتى جَلَسْتُ إلى جَنْبِهِ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بن ثَابِتٍ أخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَمْلَى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: فَجَاءَهُ بن أُمِّ مَكْتُومٍ وهو يُمِلُّهَا عَلَيَّ . فقال : يا رَسُولَ اللَّهِ لو أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ وكان رَجُلًا أَعْمَى ، فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على رَسُولِهِ – صلى الله عليه وسلم– وَفَخِذُهُ على فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي ثُمَّ سُرِّيَ عنه فَأَنْزَلَ الله عز وجل : ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾(٣/١٠٤٢) ح (٢٦٧٧).

الثالث : أنه ثقيل في الميزان .

الرابع : أنه كلام له وزن ورجحان.

الخامس : أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي . وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل لمشقته» [1].

العرض و المناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وأورده الطبري والزمخشري ، وابن عطية ، و القرطبي والبيضاوي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، وأبو السعود [2]- رحمهم الله -.

القول الثاني : وُصِف القرآن بكونه ثقيلا ؛ لثقله على الكفار والمنافقين بإعجازه ووعيده . أورده ابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والثعالبي [3]- رحمهم الله - .

القول الثالث : إنَّ القرآن ثقيل في الميزان . وهو مروي عن ابن زيد [4] - ﷺ - وذكره الزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، وأبو السعود [5]- رحمهم الله -.

القول الرابع : إنَّ القرآن ثقيل العمل به . وهو مروي عن الحسن [6]، وقتادة [7] . و ذكره الطبري

---

(١) التسهيل (٤/١٥٧).

(٢) جامع البيان (١٢٧/٢٩) ، الكشاف (٦٣٩/٤)، المحرر الوجيز (٣٨٧/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٠٥/٥) ، والبحر المحيط (٣٥٤/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٩) .

(٣) المحرر الوجيز (٣٨٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٠٥/٥) ، و مدارك التنزيل (٢٩٠/٤) ، والجواهر الحسان (٣٥٢/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٧/٢٩)، ولفظه (قال هو والله ثقيل مبارك القرآن كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة) .

(٥) الكشاف (٦٣٩/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩)، و أنوار التنزيل (٤٠٥/٥)، و البحر المحيط (٣٥٤/٨)، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٩).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٢٧/٢٩)، ولفظه (قال العمل به قال إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل به ثقيل).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٢٧/٢٩)، ولفظه (والله فرائضه وحدوده) .

وابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، وأبو السعود [١] — رحمهم الله — .

الترجيح

الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — أنَّ وصف القرآن " بالثقيل " يحتمل كل ما ذُكر ؛ لأن الأقوال أمثله لعموم الوصف ، ولا تعارض بينها . وكل معنى محتفٌ بقرائنه .

فوصف القرآن بالثقيل لشدة تتزله على النبي- ﷺ - فقد سأل الحارث بن هشام رسول الله- ﷺ - فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فقال : ((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي)) [٢].

وفي ثقل العمل به قال تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾[٣]، فهي ثقيلة على المنافق بخلاف المؤمن .

وفي ثقله في الميزان قال- ﷺ - :((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أو تَمْلَأُ – ما بين السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[٤] [٥]. وموافق للقاعدة التفسيري ة : (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، و لم يمتنع إرادة الجميع حُمِل عليها) [٦]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) جامع البيان (١٢٧/٢٩)، المحرر الوجيز (٣٨٧/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١٩)، وأنوار التتزيل (٤٠٥/٥) ، ومدارك التتزيل (٢٩٠/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٩).

(٢) سبق تخريجه :ص ١٨٥ .

(٣)سورة البقرة:٤٥.

(٤) لفظ الحديث : ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَ مْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ . وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب فضلِ الوضوءِ (١/ ٢٠٣) ح (٢٢٣) .

(٥) يُنظر :أضواء البيان (٨/ ٣٥٨ – ٣٥٩).

(٦) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٧) .

قول الله –ﷻ– : ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا﴾[1].

❁ (٣٥)مسألة: معنى السبح.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جُزيّ معنى السبح أنه التصرف في الاشتغال .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك . وقيل: المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك »[2].

العرض والمناقشة :

اختُلف في معنى " السبح " على قولين :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للبغوي ، وقال به الزمخشري ، وصدّره القرطبي والنسفي [3]، وأفرده بالذكر البيضاوي [4]، و وافقهم السمين الحلبي ،وجلال الدين المحلّي ، والثعالبي، وأبو السعود ، والألوسي ، والسعدي [5] – رحمهم الله –.

قال الزمخشري : «﴿سَبۡحًا﴾ تصرفاً وتقلباً في مهماتك وشواغلك ، ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل »[6].

(١) سورة المزَّمل:٦.

(٢) التسهيل (١٥٧/٤).

(٣) معالم التنزيل (٤٠٩/٤) ، والكشاف (٦٤٠/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢/١٩) ، مدارك التنزيل (٣٠٤/٤).

(٤) أنوار التنزيل (٤٠٦/٥).

(٥) عمدة الحفاظ (٢ / ١٨٩) و تفسير الجلالين (٧٧٣/١)، والجواهر الحسان (٣٥٣/٤)، و إرشاد العقل السليم (٥١/٩) ، وروح المعاني (١٠٥/٢٩) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣/١) .

(٦) الكشاف (٦٤٠/٤).

القول الثاني : أن " السبح " الفراغ ، أي : إنَّ لك في النهار فراغا طويلا . وهو قول ابن عباس[1] – رضي الله عنه – ، وقال به و مجاهد [2] ، وابن زيد [3]، و قدَّمه السمرقندي ، واقتصر عليه مكي بن أبي طالب [4] [4] وذكره السمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والشوكاني [5]– رحمهم الله – .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على كلا القولين ؛ لأن ذلك من الاختلاف الراجع إلى أكثر من معنى ولا تضاد بينها والآية تحتملها جميعاً . **ومما يؤيِّده** :

١. دلالة اللغة : جاء في مادة "سبح " « السين والباء والحاء أصلان أحدهما جنس من العبادة ومنه السبحة وهي الصلاة ويختص من ذلك ما كان نفلا ، والآخر جنس من السعي ومنه السبح والسباحة العوم في الماء » [6] . و (إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز جاز تفسير الآية بها)[7].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : إن لك يا محمد في النهار فراغا طويلا تتسع به وتتقلب فيه» [8].

٢. أنَّ القول الأول تفسير لفظي ، والثاني : تفسير على المعنى بلازمه ، و(لا تعارض بين التفسير اللَّفظي ،والتفسير على المعنى)[9]، فالمعنى فيهما يُراد به المحافظة على قيام الليل فمن قال أن معنى السبح التصرف والتقلب في النهار فيكون الليل وقتا للعبادة ومناجاة الله ، وعلى القول الآخر يكون في النهار مُتسع تقضي به أشغالك و ما فاتك من قيام.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٣١/٢٩) ، ولفظه قال : (فراغا طويلا يعني النوم)

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣١/٢٩) ، ولفظه قال :(متاعا طويلا) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣١/٢٩) ، ولفظه قال : (لحوائجك فافرغ لدينك الليل) .

(٤) بحر العلوم (٤٨٧/٣) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٩٤).

(٥) تفسير القرآن (٧٩/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٠٩/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢/١٩) ، وفتح القدير (٣١٧/٥) .

(٦) مقاييس اللغة (١٢٦/٣،١٢٥)

(٧) التفسير اللغوي (٥٩٤).

(٨) جامع البيان (١٣١/٢٩) .

(٩) التفسير اللُّغوي (٦٥٢).

قال ابن العربي : «فَأَمَّا حَقِيقَةُ (س ب ح) فَالتَّصَرُّفُ وَالِاضْطِرَابُ ؛ فَأَمَّا الْفَرَاغُ فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ تَفَرُّغَهُ لِأَشْغَالِهِ وَحَوَائِجِهِ عَنْ وَظَائِفَ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ؛ فَأَحَدُ التَّفْسِيرَيْنِ لَفْظِيٌّ وَالْآخَرُ مَعْنَوِيٌّ » [1]. و الله تعالى أعلم .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/٣٣٠).

قول الله – ﷻ – :﴿ وَاذْكُرِ إسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلِ اِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[1]في الآية مسألتان :

(٣٦) المسألة الأولى : المراد بالذكر قي قوله تعالى :﴿ وَاذْكُرِ إسْمَ رَبِّكَ ﴾.

ترجيح ابن جُزيٍّ – رحمه الله – :

رجح أنَّ الأمر بالذكر متجه إلى جميع أنواع ذكر الله تعالى .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ وَاذْكُرِ إسْمَ رَبِّكَ ﴾ قيل : معناه قل : بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك» [2].

العرض و المناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي [3] ووافقهم أبو حيَّان و أفرده بالذكر ابن كثير ، والشربيني ، وأبو السعود ، والألوسي ، والقاسمي ، والمراغي والسعدي وابن عاشور [4]– رحمهم الله – .

قال الزمخشري : « ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله – ﷺ – يستغرق به ساعة ليله ونهاره» [5].

القول الثاني : معنى ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ ؛ أي : قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك وهو

---

(١) سورة المزَّمل:٧ .

(٢) التسهيل (١٥٧/٤).

(٣) الكشاف (٦٤٠/٤) ، وأنوار التتريل (٤٠٦/٥) ، ومدارك التتريل (٢٩١/٤).

(٤) البحر المحيط (٣٥٥/٨)، تفسير القرآن العظيم (٤٣٨/٤)، و السراج المنير (٨ / ١٤٩)، وإرشاد العقل السليم (٥١/٩)، وروح المعاني (١٠٦/٢٩)، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٧)، و تفسير المراغي (١٠ / ٢٣٦) ، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٣/١)، و التحرير والتنوير (١٢ / ٢٦٦).

(٥) الكشاف (٦٤٠/٤).

قول مقاتل [1][2]و قال به ابن عطية ، وجلال الدين المحلي [3]- رحمهم الله -.

القول الثالث : أن معنى ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ صلي لربك ، وهو قول محمد ابن السائب [4] [5]،و رجَّحه القرطبي بقوله : «وقال الكلبي صل لربك أي بالنهار قلت وهذا حسن فإنه لما ذكر الليل ذكر النهار إذ هو قسيمه وقد قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر » [6].

وأورده أبو الليث ، وابن عادل ، والشوكاني [7]- رحمهم الله - .

القول الرابع : ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أخلص لربك ، وهو قول ابن عباس [8] - رضي الله عنه -
و قال به ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والبغوي ، والخازن [9]- رحمهم الله - .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ اللفظ عام يشمل جميع ذكر الله تعالى وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ من معه ؛ لأنه إذا أمكن حمل الآية على معنى كلي يجمع كل الأقوال حُمل عليها .

وقد ذكر ابن جُزي من وجوه الترجيح عنده : «تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص» [10] .**ويتأيد هذا القول بأمر آخر وهو :**

---

(١) لم أقف عليه مسندا ووجدته منسوبا في تفسير القرآن (٦/ ٨٠).

(٢)مقاتل بن سليمان بن بسير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي. صاحب التفسير توفي سنة (١٥٠ هـ).
نظر : تهذيب الكمال (٢٨/٤٣٤) ، وتقريب التهذيب (١/٥٤٥).

(٣) المحرر الوجيز (٥/٣٨٨)، وتفسير الجلالين (١/٧٧٣).

(٤) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٣، ٤٤)، والشوكاني في فتح القدير (٥/٣١٧).

(٥)محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ابن الحارث الكلبي، أبو النضر: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والاخبار وأيام العرب. قال يحي ابن معين :الكلبي ليس بشيء من أهل الكوفة توفي سنة (١٤٦ هـ).
ُنظر : ضعفاء العقيلي (٤/٧٨)، و الجرح والتعديل (٧/٢٧٠)، والأعلام (٦ /١٣٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٣، ٤٤).

(٧) بحر العلوم (٣/٤٨٧)، واللباب (١٩ / ٤٦٦) ، و فتح القدير (٥/٣١٧).

(٨) لم أقف عليه مسندا ، و وجدته منسوبا في الكشف والبيان (١٠/٦٢).

(٩) تفسير القرآن العزيز (٥/٥٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٦٢)،و معالم التتريل(٤/٤٠٩) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٠٣) .

(١٠) التسهيل (١/٩).

أنَّ الله– ﷻ – أخبر عن نفسه أن له الأسماء الحسنى . قال الله – ﷻ – : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[1]. فجاء لفظ "اسم" نكرة ليدخل فيه كل اسم لله تعالى .

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني رحمه الله تعالى – : «﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي : واذكر مع سبحك في النهار ما يلائم حركة حياتك الواعية من أسماء ربك . لفظ اسم هو نكرة تصدقُ بأي اسم من أسماء الله الحسنى ولما كان استغراقُها متعذرا أو شاقا جدا ، كان المطلوب ذكر الاسم الملائم لحركة السابح من أسماء الله الحسنى» [2]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) سورة طه:٨ .

(٢) معارج التفكر (٥ / ١٦٩) .

❁ (٣٧) المسألة الثانية : معنى التبتل في قول الله – ﷻ – ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[١].

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أنَّ معنى " التبتل : الانقطاع لله تعالى بالعبادة .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾أي : انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده. وقيل: التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير قياس» [٢] .

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وهو قول ابن عباس [٣] – رضي الله عنه – ، وقال به مجاهد [٤] والضحاك [٥] وقتادة [٦] ، وابن زيد[٧]. و الطبري ، مكي بن أبي طالب ، والمهدوي ، والأصفهاني والزمخشري وابن العربي وابن الجوزي ، وبيان الحق النيسابوري ، والرازي والقرطبي ، والبيضاوي والقمي النيسابوري . ووافقهم جلال الدين المحلّي والشربيني ،وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي والقاسمي والمراغي والسعدي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [٨].

---

(١) سورة المزمِّل : ٧ .

(٢) التسهيل (١٥٧/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٣٢/٢٩)، ولفظه قال : (أخلص له إخلاصا) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣٣/٢٩)، ولفظه قال : (أخلص إليه المسألة والدعاء) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه قال : (أخلص إليه إخلاصا) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه يقول : (أخلص له العبادة والدعوة) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السايق)، ولفظه (أي : تفرغ لعبادته قال تبتل فحبذا التبتل إلى الله وقرأ قول الله فإذا فرغت فانصب قال إذا فرغت من الجهاد فانصب في عبادة الله وإلى ربك فارغب).

(٨) جامع البيان (١٣٢/٢٩)،الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٩٤) ،و التحصيل (أ / ١٨١) ، و المفردات في غريب القرآن (٣٦/١) ، والكشاف (٦٤٠/٤)،وأحكام القرآن لابن العربي (٣٢١/٤)،و تذكرة الأريب (٢٥٢/٢)، وباهر البرهان (٣ / ١٥٧١) ، والتفسير الكبير (١٥٧/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤٤/١٩)، وأنوار التنزيل(٤٠٦/٥) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٧٩) ، تفسير الجلالين (٧٧٣/١)، والسراج المنير (٨ / ١٤٩)، و إرشاد العقل السليم (٥١/٩) ،وفتح القدير (٣١٧/٥)،و روح المعاني (١٠٦/٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٦) ، تفسير المراغي (١٠ / ٢٣٦) ،وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٣/١) والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٦٥ ، ٢٦٦).

قال الطبري : «﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾يقول : وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره وهو من قولهم تبتلت هذا الأمر ومنه قيل لأم عيسى بن مريم البتول لانقطاعها إلى الله ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسباهما إلى عبادة الله قد تبتل ومنه الخبر الذي روي عن النبي – ﷺ – أنه نهى عن التبتل» [1] .

القول الثاني : أنَّ التبتُّل رفض الدنيا .وهو قول زيد بن أسلم [2] – ﷺ – ، وأورده الثعلبي والسمعاني والسمعاني والبغوي ، وابن عطية ، والنسفي ، والخازن[3]– رحمهم الله – .

الترجِّيح

القول الراجح — والله أعلم بالصواب — أنَّ معنى التبتل في الآية ؛ هو الانقطاع إلى الله تعالى وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وجمهور المفسرين [4] ؛لأن هذا المعنى عام ينصرف على المعاني الأخرى . و (إذا دار دار الأمر في اللفظ بين جريانه على عمومه أو تخصيصه ، فإنه يحمل على عمومه ؛ لأن الأصل بقاء العموم) [5]. **ويُؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ القطع أظهر في معنى البتل . جاء في معناه : البَتْلُ القَطْعُ بَتَلَهُ يَبْتِلُه ويَبْتُلُه بَتْلاً وبَتَّلَهَ فانْبَتَلَ وتَبَتَّلَ انقطع ، و الشيء بتله و عمله لله أخلصه من الرياء [6].

قال القرطبي — رحمه الله – : «التبتل الانقطاع إلى عبادة الله – ﷻ – أي :انقطع بعبادتك إليه ولا تشرك به غيره. يقال: بتلت الشيء .أي :قطعته ،ومنه قولهم :طلقها بتة بتلة ،وهذه صدقة بتة بتلة أي بائنة منقطعة عن صاحبها أي قطع ملكه عنها بالكلية ،ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى ويقال للراهب: متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة قال :

تُضِيءُ الظَّلامَ بالعشاءِ كأنها منارةُ مُمسَى راهبٍ مُتبَتِّلِ[7]

(١) جامع البيان (١٣٢/٢٩).

(٢) تفسير القرآن (٨٠/٦)، و المحرر الوجيز (٣٨٨/٥).

(٣) الكشف والبيان (٦٢/١٠)،و تفسير القرآن (٨٠/٦)،ومعالم التنزيل (٤٠٩/٤)،والمحرر الوجيز (٣٨٨/٥)،و ومدارك التنزيل (٤ / ٣٠٤)، ولباب التنزيل (٦ / ٣٠٤) .

(٤) التفسير الكبير (١٥٧/٣٠).

(٥) قواعد الترجيح (٢ / ٥٣٩) .

(٦) المحكم والمحيط الأعظم (٤٩٦/٩) ، المعجم الوسيط (٣٨/١).

(٧) شعر امرؤ القيس ، جمهرة أشعار العرب جمهرة أشعار العرب (٧٩/١).

وفي الحديث النهي عن التبتل [1]وهو الانقطاع عن الناس والجماعات . وقيل: إن أصله عند العرب التفرد قاله بن عرفة والأول أقوى لما ذكرنا » [2].

٢. أتى مصدر ﴿تَبۡتِيلٗا﴾بعد تبتل خلاف للأصل ؛أذ الأصل أن يأتي على تبتّلا ؛للإيماء إلى أمرين :

الأول : أن الانقطاع إلى الله تعالى يأتي على مراحل في التدرج مع النفس وترويضها على خلاف ما تهوى فهو يحتاج إلى مجاهدة للنفس .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : «ومصدر بتل تبتلا كالتعلم والتفهم ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف ،فإن في هذا الفعل إيذانا بالتدريج والتكلف والتعمل والتكثر والمبالغة ،فأتى بالفعل الدال على أحدهما بالمصدر الدال على الآخر ،فكأنه قيل: بتل نفسك إلى الله تبتيلا وتبتل إليه تبتلا ففهم المعنيان من الفعل ومصدره وهذا كثير في القرآن وهو من أحسن الاختصار والإيجاز» [3].

الثاني : للتعظيم المتبتل إليه ، فإنه – ﷻ– عن الخلق بذاته وتعاظم ملكه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[4] شَيۡءٞ﴾[4] فلا ينطبق وصف العابد أنه متبتل إليه إلا إذا انقطع عن غيره بالكلية وهجر العوائق والعلائق .

قال ابن عاشور : « ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراك، وهو معنى الحنيفية، ولذلك عقب قوله: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾بقوله : ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾[5]» [6]. وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم) [7]. و الله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) لفظ الحديث عند البخاري من طريق سَعِيدَ بن الْمُسَيَّبِ يقول : سمعت سَعْدَ بن أبي وَقَّاصٍ يقول : (رَدَّ رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –على عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ له لَاخْتَصَيْنَا) .

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبتل والخصاء(١٩٥٢/٥)ح (٤٧٨٦)

وأخرجه مسلم في كتاب النكاح ، بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إليه وَوَجَدَ مُؤَنَهُ وَاشْتِغَالِ من عَجَزَ عن الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (١٠٢٠/٢) ح (١٤٠٢) بنحوه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤٤/١٩).

(٣) مدارج السالكين مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢٩/٢).

(٤)سورة الشورى:١١.

(٥) سورة المزَّمل:٩.

(٦) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٦٦).

(٧) قواعد التفسير (١ /٢٤٦).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا﴾ [1].

❁ (٣٨)مسألة : المنسوخ في قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن المنسوخ الصبر على ما يقول الكفار.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف ، وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله : ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا﴾ وأما الصبر فمأمور به في كل وقت » [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً لابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي والسمعاني والبغوي [3] ، ووافقهم أبو حيان ، والشوكاني [4]– رحمهم الله – .

قال البغوي : « ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ نسختها آية القتال» [5]

القول الثاني : إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله :﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وهو قول قتادة [6] [6] – رضي الله عنه – . و قال به النحاس [7]، و اقتصر عليه مكي بن أبي طالب ، وابن حزم الظاهري [1] وقدَّمه

---

(١) سورة المزَّمل : ٩ .

(٢) التسهيل (٤/١٥٨).

(٣) تفسير القرآن العزيز (٥/٥٠)، والكشف والبيان(١٠/٦٣)،والوسيط (٦/٨٠) ، و معالم التنزيل(٤/٤٠٩).

(٤) البحر المحيط (٨/٣٥٦) ، وفتح القدير (٥/٣١٨).

(٥) تفسير معالم التنزيل (٤/٤٠٩).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/١٣٤) ، ولفظه قال : (براءة نسخت ما ها هنا أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لا يقبل منهم غيرها).

(٧) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس . مفسر، أديب. ولد في مصر سنة ، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه . من مؤلفاته (تفسير القرآن، و إعراب القرآن ، و تفسير أبيات سيبويه ،و ناسخ القرآن ومنسوخه) .توفي بمصر سنة (٣٣٨ هــ).

وقدَّمه ابن عطية ، وقال به القرطبي ، والنسفي ، وجلال الدين المحلِّي ، والثعالبي [٢] – رحمهم الله – .

قال القرطبي : «﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ أي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله وكان هذا قبل الأمر بالقتال ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك» [٣].

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – أنَّ الآية محكمة ولا نسخ فيها ؛ لأن الأمر بالصبر أو المدارة مع الكفار كان في وقت ضعف ، والأمر بالقتال الكفار كان في وقت منعة فناسب كلا الأمرين حالتهما حين الخطاب وهو موافق للقاعدة التفسيرية : (كل ما وجب امتثاله في وقت ما ، لعلة تقتضي ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقالها إلى حكم آخر ، فليس بنسخ) [٤].

قال ابن العربي : « وكل منسوخ لا فائدة لمعرفة معناه لا سيما في هذا الموضع إلا على القول بأن المرء إذا غلب بالباطل كان له أن يفعل ما فعله النبي مع الكفار حين غلبوه» [٥].

وقال الرازي: «قال المفسرون : هذه الآية إنما نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بالأمر بالقتال .وقال آخرون : بل ذلك هو الأخذ بإذن الله فيما يكون أدعى إلى القبول فلا يرد النسخ في مثله وهذا أصح »

يُنظر : وفيات الأعيان (٩٩/١)، و الأعلام (١ / ٢٠٨).

(١) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد .ولد بقرطبة سنة (٣٨٤ هـــ) . وكان عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الاسلام. وهو من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة .من مؤلفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل ، و المحلى ،و جمهرة الأنساب ، و الناسخ والمنسوخ). توفي سنة (٤٥٦ هــ)
يُنظر : وفيات الأعيان (٣٢٥/٣) ، الأعلام (٤ / ٢٥٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٧٥٥/١) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٧٩٦) ،و الناسخ والمنسوخ لابن حزم (٦٢/١) والمحرر الوجيز (٣٨٨/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٩)، ومدارك التتريل (٤ / ٣٠٤) ،و تفسير الجلالين (٧٧٤/١) ، و الجواهر الحسان (٣٥٤/٤).

(٣)الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٩).

(٤) قواعد التفسير (٢ / ٧٤٠) .

(٥)أحكام القرآن لابن العربي (٣٣٣/٤).

.[1]

وقال السيوطي [2]في أقسام النسخ : «ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ ... فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى . وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله يقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ أنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله »[3]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) التفسير الكبير (١٥٩/٣٠).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين . وُلد سنة (٨٤٩ هـ) . إمام حافظ مؤرخ أديب. له مصنفات كثيرة ، منها (الإتقان في علوم القرآن ،و إتمام الدراية لقراء النقاية ،و الأشباه والنظائر) . تُوفي سنة (٩١١ هـ).

يُنظر : شذرات الذهب (٥١/٨) ، و الأعلام (٣ / ٣٠١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٥٧/٢).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً اَلِيماً ﴾[1].

❁ (٣٩) مسألة : معنى " ذا غصة "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن معنى "ذا غصة " الطعام الذي يغصُّ به آكلوه.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « ومعنى ذا غصةٍ أي يغص به آكلوه . وقيل : هو شوك [من نار[2]] يعترض في حلوقهم لا يترل ولا يخرج» [3].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والأصفهاني والبغوي والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي[4] ووافقهم الخازن ، وابن كثير ، وجلال الدين المحلّي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والشربيني ، وأبو السعود والشوكاني ، والألوسي والقاسمي ، والمراغي ، وابن عاشور [5]– رحمهم الله – .

قال الطبري : « ﴿ذَا غُصَّةٍ﴾[6]يقول: وطعاما يغص به آكله فلا هو نازل عن حلقه ولا هو خارج منه» [7].

---

(١) سورة المزَّمل:١٢ .

(٢) ساقط ، والتصويب من "ز" (أ/ ٢٢٧).

(٣) التسهيل (١٥٨/٤).

(٤) جامع البيان (١٣٥/٢٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٥١/٥) ، الكشف والبيان (٦٣/١٠)، المفردات في غريب القرآن (٣٦١/١) ومعالم التتريل (٤١٠/٤) ، الكشاف (٦٤١/٤) ، المحرر الوجيز (٣٨٩/٥)،وتذكرة الأريب (١٢٥٢/٢) ، ولتفسير الكبير (١٦٠/٣٠) ، و أنوار التتريل (٤٠٧/٥)، ومدارك التتريل (٢٩١/٤).

(٥) لباب التأويل (٦ / ٣٠٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٨/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٧٤/١)، والجواهر الحسان (٣٥٤/٤)، واللباب (١٤ / ٤٧١) ، والسراج المنير (٨ /١٥٢)، وإرشاد العقل السليم (٥١/٩) ، وفتح القدير (٣١٨/٥) ، وروح المعاني (١٠٧/٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٧) ، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٣٩) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧١) .

(٦)سورة المزَّمل:١٣.

(٧) جامع البيان (١٣٥/٢٩).

وقال ابن عطية : «وكل مطعوم هنالك فهو ذو غصة» [1] .

القول الثاني : من العلماء من فسر الغصة بنوع خاص من طعام أهل النار – أجارنا الله منه – فمنهم من فسرها بالشوك ، وهوقول ابن عباس [2]– رضي الله عنه – .

قال أبو الليث : « يعني ذا شوك يستمسك في الحلق لا يدخل ولا يخرج فيبقى في الحلق» [3] .

ومنهم من قال أنه الزقوم . وهو قول مجاهد [4]. وأورده الماوردي ، والسمعاني وابن عطية والثعالبي[5]– والثعالبي[5]– رحمهم الله – .

وفسره الزجاج بالضريع مستدلا بقوله تعالى :﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾[6] قال : «وهو شوك العوسج» [7].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – في وصف الطعا م بالغصة ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن معه لأنه (إذا دار الأمر في اللفظ بين جريانه على عمومه أو تخصيصه ، فإنه يحمل على عمومه ؛ لأن الأصل بقاء العموم) [8]. **ومما يُؤيده:**

١. أنَّ وصف العذاب المؤجل للمكذبين يوم القيامة على سبيل التعريض والإلماح – لأن القرآن في بداية نزوله ، يظهر ذلك في الأجناس الأربعة– جاء منكرا لدلالة التعظيم [9].

---

(١) المحرر الوجيز (٣٨٩/٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٣٥/٢٩) ، ولفظه (قال : شوك يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج). وأخرجه الحاكم في"المستدرك على الصحيحين "(٥٤٩/٢) ح (٣٨٦٧) . وقال : (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). قال الذهبي في التلخيص:(شبيب بن شيبة ضعفوه).

(٣) بحر العلوم (٤٨٨/٣).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (١٣٥/٢٩) ، ولفظه قال : (شجرة الزقوم) .

(٥) النكت والعيون (٦ / ١٣٠) ، و تفسير القرآن (٨١/٦)، والمحرر الوجيز (٣٨٩/٥) ، والجواهر الحسان (٣٥٤/٤).

(٦) سورة الغاشية:٦.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٨٨) ، وزاد المسير (٨/ص٣٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤٦/١٩) ، وفتح القدير (٣١٨/٥).

(٨) قواعد الترجيح (٢ / ٥٣٩).

(٩) يُنظر : معارج التفكر (١ / ١٧٩) .

٢. جاء لفظ "طعام " مفردا مضافا إلى الوصف ، وهذا يفيد العموم ؛ بأن كل طعام أهل النار فهو ذو غصّة ،وهو قول عام تدخل فيه جميع الأقوال الأخرى دون تدافع .

٣. دلالة اللغة : قال ابن فارس : « "غص" الغين والصاد ليس فيه إلا الغصص بالطعام ويقال رجل غصانٌ

قال لو بغيرِ الماءِ حلقي شرِقٌ كنتُ كالغصانِ بالماءِ اعتصاري »[1] [2]

قال ابن عاشور : «والغصة بضم الغين: اسم لأثر الغص في الحلق وهو تردد الطعام والشراب في الحلق بحيث لا يسيغه الحلق من مرض أو حزن وغيره»[3].

وقد أخبر الله تعالى بأنواع منه في كتابه العزيز ومن ذلك قول الله – ﷻ –: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[5].و الله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) مقاييس اللغة (٣٨٣/٤).

(٢) المرجع السابق (٣٨٣/٤)

(٣) التحرير والتنوير (١٢ / ٢١٧).

(٤)سورة الصافات: ٦٢ – ٦٨.

(٥)سورة إبراهيم:١٦ – ١٧.

قول الله – ﷻ – : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيباً ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ [1] كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [2] . في الآية أربعة مسائل :

❁ (٤٠)المسألة الأولى : في عامل النصب لـــ " يوما ".

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ "يومًا" مفعولٌ به لتتقون . والمعنى : كيف تتقون وتحفظون أنفسكم يوم القيامة وأنتم كفرة .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ يَوْما﴾ مفعول به وناصبه﴿ تَتَّقُون ﴾ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم . وقيل : هو مفعول به على أن يكون ﴿ كَفَرْتُم ﴾بمعنى جحدتم . وقيل: هو ظرف. أي :كيف لكم بالتقوى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره "اذكروا "» [3].

العرض و المناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيِّ ، وقال به الفرَّاء ، والطبري ، وقدَّمه الزمخشري ، وابن عطية القرطبي [4] ، و وافقهم ابن كثير ، وجلال ال دين المحِّلي ، والشوكاني ، والأ لوسي ، ابن عاشور [5]– رحمهم الله – .

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره للمشركين به فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله و لم تصدقوا به ، وذكر أن ذلك كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود» [6].

---

(١) سقط من هذه الرواية حرف " الطاء "وصوبته برواية حفص عن عاصم ﴿مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ﴾ .

(٢) سورة المزَّمل:١٦ .

(٣) التسهيل (١٥٨/٤).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٩٨) ، وجامع البيان (١٣٧/٢٩)، والكشاف (٦٤٢/٤) ،والمحرر الوجيز (٣٨٩/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٤٩/١٩) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٤/١) ،وفتح القدير (٣١٩/٥) ، وروح المعاني (١٠٨/٢٩) والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧٥) .

(٦)جامع البيان (١٣٧/٢٩) .

القول الثاني : أنَّ ﴿ يَوۡمًا ﴾ مفعولاً بـ ﴿ كَفَرۡتُمۡ ﴾ إن جُعل ﴿ كَفَرۡتُمۡ ﴾ بمعنى " جَحدتُمْ" . أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة . جوّزه الزمخشري ، وذكره ابن عطية والرازي والنسفي ، والثعالبي ، وابن عادل[1] – رحمهم الله – .

قال الزمخشري : « ويجوز أن ينتصبَ بكفرتم على تأويل جحدتم .أي: فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء؛ لأن تقوى الله خوف عقابه» [2].

القول الثالث :أنَّ ﴿ يَوۡمًا ﴾ منصوب على الظرفية . أي : كيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ؟.

قدَّمه البغوي ، وجوزه الزمخشري ، والقمي النيسابوري [3] ،و ذكره الثعلبي والرازي، وابن عادل[4]– رحمهم الله –.

قال البغوي : « ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ ﴾[5] أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة؟» [6].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – ما ذهب إليه ابن جزي ومن معه بأن عامل ﴿ يَوۡمًا ﴾ ﴿ تَتَّقُونَ ﴾؛ لأن (القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار)[7]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) الكشاف (٤/٦٤٢) ، المحرر الوجيز (٥/٣٨٩) ،و التفسير الكبير (٣٠/١٦٢) ، ومدارك التنزيل (٤/٣٠٥) ، والجواهر الحسان (٤/٣٥٤) ، واللباب (١٩ / ٤٧٦) .

(٢)الكشاف (٤/٦٤٢).

(٣) معالم التنزيل (٤/٤١٠) ، والكشاف (٤/٦٤٢) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨١).

(٤) الكشف والبيان (١٠/٦٤) ، والتفسير الكبير (٣٠/١٦٢)، واللباب (١٩ / ٤٧٦).

(٥) سورة المزَّمل:١٧.

(٦) معالم التنزيل (٤/٤١٠).

(٧) قواعد الترجيح (٢ / ٤٢١) .

قول الله – ﷻ – :﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً﴾[1].

❁ (٤١) المسألة الثانية : وصفُ الوليدِ يوم القيامة بالشيب أحقيقةٌ أم مجازٌ ؟

ترجِّيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ وصف الوليد بالمشيب يوم القيامة على حقيقته.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال: «والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة .فقيل: إن ذلك حقيقة. وقيل : إنه عبارة عن هول ذلك اليوم. وقيل: إنه عبارة عن طوله» [2].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان، وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن زيد [3] . وقال به الطبري ، والثعلبي والبغوي [4]، ووافقهم الخازن ، وابن كثير ، ولألوسي ، والسعدي [5]– رحمهم الله –.

قال الطبري : « وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يعني : يوم القيامة وإنما تشيب الولدان من شدة هوله وكربه » [6] .

واستدل عليه بحديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – ﷺ – أن النبي – ﷺ – قال:((يقول الله تَعَالَى : يا آدَمُ .فيقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ .فيقول: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ .قال: وما بَعْثُ النَّارِ قال: من كل أَلْفٍ تسعمائة وَتِسْعَةً وَتِسْعِ ينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[7])) [8] .

---

(١) سورة المزمّل : ١٦ .

(٢) التسهيل (١٥٨/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده "جامع البيان " (١٣٨/٢٩) ، ولفظه قال: (تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم) .

(٤) جامع البيان (١٣٧/٢٩)، والكشف والبيان (٦٥/١٠)، ومعالم التنزيل (٤١٠/٤) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٠٥) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤) ، وروح المعاني (١٠٩/٢٩) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٤/١) .

(٦) جامع البيان (١٣٧/٢٩).

(٧) سورة الحج:٢.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج (٣/ ١٢٢١) ح (٣١٧٠) ، وأخرجه مسلم في

القول الثاني : أنَّ الوصف على سبيل المجاز ؛ إذ هو مثل لهول يوم القيامة وشدته ، قال به أبو الليث والواحدي ، والزمخشري ، وبيان الحق ، والرازي ، والبيضاوي ، والقمي النيسابوري وا لبقاعي والقاسمي ، والمراغي ، وابن عاشور[1]- رحمهم الله - .

قال الزمخشري : «﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد : يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه : أنّ الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب» [2].

قال ابن عاشور : «ووصف اليوم بأنه ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ وصف له باعتبار ما يقع فيه من الأهوال والأحزان، لأنه شاع أن الهمَّ مما يسرع به الشيب فلما أريد وصفهم هم ذلك اليوم بالشدة البالغة أقواها أسند إليه يشيب الولدان الذين شعرهم في أول سواده . وهذه مبالغة عجيبة وهي من مبتكرات القرآن فيما أحسب» [3] .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – في وصف الولدان يوم القيامة بالشيب ؛ إنما هو على حقيقته وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ لأن ذلك إخبار من الله تعالى عن أمر غيبي لا سبيل لنا لمعرفته على وجهه إلا بالنص الصحيح والوصف هو ظاهر القرآن فلا يجوز العدول عنه ، و (لا يُصرف الكلام إلى مجازه وله محمل الحقيقة) [4]،**ويُؤيده عدة أمور وهي :**

قول النبي- ﷺ - صريح في تعين الوقت الذي يشيب فيه الصغير ،وتضع فيه كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وهو يوم القيامة . (وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه) [5]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

صحيحه ،كتاب الإيمان ، بَاب قَوْلِهِ يقول الله لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ من كل أَلْفٍ تسعمائة وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ (١/٢٠١) ح(٢٢٢).

(١) بحر العلوم (٤٨٨/٣) ،و الوسيط (٤/ ٣٧٦) ، والكشاف (٤/ ٦٤٢) ، وباهر البرهان (٣ / ١٥٧٢) ، والتفسير الكبير (١٦٢/٣٠) ، وأنوار التنزيل (٤٠٧/٥)،وغرائب القرآن (٦ / ٣٨١)، ونظم الدرر (٨ / ٢١٤)، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠٧)، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٤٠) ، والتحرير والتنوير(١٢ / ٢٧٥).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٤٢).

(٣) التحرير والتنوير(١٢ / ٢٧٥).

(٤) يُنظر :قواعد الترجيح (٢ / ٣٨٧).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦) .

❁ (٤٢) المسألة الثالثة : في عود الضمير في قول الله تعالى : ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح عود الضمير على اليوم.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « والضمير المجرور يعود على اليوم أي تتفطر السماء لشدة هوله .ويحتمل أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته. والأول أظهر » [١].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس[٢] - رضي الله عنه - ، وقال به الحسن [٣]،وقتادة [٤]. والطبري ، والزمخشري ، القرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري [٥] ووافقهم أبو حيَّان ، وابن كثير ، وجلال الدين المحلِّي ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي ،والقاسمي والسعدي وابن عاشور [٦]- رحمهم الله تعالى -.

قال الطبري : « وقوله :﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾يقول تعالى ذكره السماء مثقلة بذلك اليوم متصدعة متشققة» [٧].

وقال الشوكاني : «أي متشققة به لشدته وعظيم هوله والجملة صفة أخرى اليوم ... وقيل: منفطر به

(١) التسهيل (١٥٨/٤).

(٢)أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٣٨/٢٩)، ولفظه (يعني: تشقق السماء حين يترل الرحمن جل وعز) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣٨/٢٩) ، ولفظه قال : (مثقلة محزونة يوم القيامة).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٣٨/٢٩) ، ولفظه (مثقل به ذلك اليوم). وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٢٢/٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه

(٥) جامع البيان (١٣٨/٢٩)، والكشاف (٦٤٣/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٠/١٩) ، وأنوار التتريل (٤٠٨/٥) ومدارك التتريل (٣٠٥/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨١) .

(٦) البحر المحيط (٣٥٧/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤)،و تفسير الجلالين (٧٧٤/١)،و فتح القدير (٣١٩/٥) ،وروح المعاني (١١٠/٢٩) ، وفتح البيان (١٤ / ٣٢٩) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٤٠٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٤/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٧٥).

(٧) جامع البيان (١٣٨/٢٩).

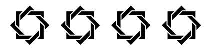
أي: بالله والمراد بأمره .والأول أولى» [1].

القول الثاني : أن الضمير في الآية يعود على الله تعالى . جوزه أبو حيَّان [2]، وذكره أ بو الليث والسمعاني والبغوي ، وابن عطية ، وابن كثير وابن عادل ، والثعالبي ، والشربيني، والشوكاني والألوسي [3]- رحمهم الله - .

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – في عود الضمير ؛ أنه يعود على اليوم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين ، لأن عود الضمير لليوم ظاهر للفظه ، وعوده إلى الله - ﷻ- لمعناه و(إذا اجتمع في الضمائر مرعاة اللفظ والمعنى بُدئ باللفظ ثم المعنى) [4].**ويُؤيده عدة أمور وهي :**

١. أن الباء في (به) بمعنى (في) أي تنفطر السماء في ذلك اليوم .

قال ابن عاشور : « والباء بمعنى في وهو ارتقاء في وصف اليوم بحدوث الأهوال فيه ؛ فإن لانفطار السماء أشد هولا ورعبا مما كني عنه بجملة  . أي السماء على عظمها وسمكها تنفطر لذلك اليوم فما ظنكم بأنفسكم وأمثالكم من الخلائق» [5].

٢. أن هذا القول عليه جُلّ عبارات المفسرين .

قال ابن جُزيّ في وجوه الترجيح : «أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه» [6].و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) فتح القدير (٥/٣١٩).

(٢)البحر المحيط (٨/٣٥٧).

(٣) تفسير بحر العلوم (٣/٤٨٩)، و تفسير القرآن (٦/٨٣) ، و معالم التنزيل (٤/٤١٠)، المحرر الوجيز (٥/٣٩٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٤/٤٣٩) ، واللباب (١٩ / ٤٧٩) ،والجواهر الحسان (٤/٣٥٥)، و فتح القدير (٥/٣١٩)، و روح المعاني (٢٩/١١٠).

(٤) قواعد التفسير (١ / ٤٠٦) .

(٥) التحرير والتنوير(١٢/ ٢٧٥) .

(٦) التسهيل (١/٩).

❁ (٤٣)المسألة الرابعة : في عود الضمير في قول الله تعالى : ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [١].

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ عود الضمير يعود على " اليوم " فيكون من إضافة المصدر إلى مفعوله. أي :كان الوعد به مفعولا.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « الضمير في ﴿وَعْدُهُۥ﴾ يحتمل أن يعود على اليوم ، أو على الله. والأول أظهر ؛لأنه ملفوظ به» [٢].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أبو حيان ، و ابن كثير ، والألوسي ، وابن عاشور [٣] — رحمهم الله -.

قال أبو حيَّان : «والظاهر أن الضمير في﴿ وَعْدُهُۥ ﴾عائد على اليوم ، فهو من إضافة المصدر إلى المفعول أي أنه تعالى وعد عباده هذا اليوم ، وهو يوم القيامة ، فلا بد من إنجازه» [٤].

القول الثاني: الضمير عائد على الله تعالى ، فيكون من إضافة المصدر إلى فاعله .

وهو ظاهر قول الإمام الطبري ، و استظهره ابن عطية ، وقال به ا لقرطبي ، و جلال الدين المحلِّي والثعالبي ، والقاسمي ، والمراغي [٥]- رحمهم الله -.

قال الطبري : « كان ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا ؛لأنه لا يخلف وعده وما وعد أن يفعله

(١) سورة المزمِّل : ١٦ .

(٢) التسهيل (١٥٨/٤).

(٣) البحر المحيط (٣٥٨/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٩/٤) ، وروح المعاني (١١٠/٢٩) ، والتحرير والتنوير(١٢ / ٢٧٧).

(٤) البحر المحيط (٣٥٨/٨).

(٥) جامع البيان (١٣٩/٢٩)، والمحرر الوجيز (٣٩٠/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٥١/١٩) ، وتفسير الجلالين (٧٧٤/١) والجواهر الحسان (٣٥٥/٤) ، ومحاسن التأويل (٩ /٤٠٠٧) ، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٤٠).

تكوينه يوم تكون الولدان شيبا يقول: فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس فإنه كائن لا محالة» [1].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على كلا القولين .أي :كان وعد الله مفعولا أو كان وعد اليوم مفعول؛ لأنه " (إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع ، حُمل عليه) [2].

وممن احتمل كلا القولين الزمخشري ، الرازي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والشربيني والشوكاني [3] – رحمهم الله –.

قال ابن عادل : «قوله : ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ يجوز أن يكونَ الضميرُ لله تعالى ، وإن لم يجرِ له ذكر للعلم به ، فيكون المصدر مضافاً لفاعله . ويجوز أن يكونَ لليوم ، فيكون مضافاً لمفعوله والفاعل وهو " اللَّهُ " مقدَّر» [4]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) جامع البيان (١٣٩/٢٩).

(٢) قواعد التفسير (١ / ٤٠٠) .

(٣) الكشاف (٦٤٢/٤) ، والتفسير الكبير (١٦٤/٣٠)، والبحر المحيط (٣٥٨/٨) ، واللباب (١٩ / ٤٨٠) ، السراج المنير (٨ / ١٥٥)، وفتح القدير (٣٢١/٥).

(٤) اللباب (١٩ / ٤٨٠).

قول الله – ﷻ – : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[1].في الآية مسألتان وهي :

۞ (٤٤)المسألة الأولى : في عود الضمير في قول الله تعالى :﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن الضمير يعود على ما يُفهم منه السياق أي : لن تحصوا تقدير الليل .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام .أي : لن تحصوا تقدير الليل .وقيل: معناه لن تطيقوه. أي: لن تطيقوا قيام الليل كله» [2].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للفراء ، والواحديّ ، والسمّعانيّ ، و الزمخشريّ وبيان الحق والرازيّ ، والقرطبيّ ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري [3] ووافقهم الخازن ، وأبو حيَّان والبقاعي ، وأبو السعود ، والألوسي ، والمراغي ، والسعدي [4] – رحمهم الله تعالى – .

---

(١)سورة المزَّمل:١٨ .

(٢) التسهيل (١٥٩/٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٠) ،والوسيط (٤ / ٣٧٧) ، وتفسير القرآن (٨٤/٦) ، والكشاف(٦٤٤/٤) ، وباهر البرهان (٣ / ١٥٧٣) ، والتفسير الكبير (١٦٤/٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٣/١٩) ، وأنوار التنزيل (٤٠٨/٥) ومدارك التنزيل (٣٠٦/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨٢) .

(٤) لباب التأويل (٦ / ٣٠٧) ، والبحر المحيط (٣٥٨/٨)، ونظم الدرر (٨ / ٢١٦) ، وإرشاد العقل السليم (٥٣/٩) وروح المعاني (١١١/٢٩) ،وتفسير المراغي(١٠ / ٢٤٢) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٤/١).

قال القرطبي : «﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾أي : لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به . وقيل: أي: لن تطيقوا قيام الليل . والأول أصح فإن قيام الليل مافرض كله قط» [1].

وقال أبو حيَّان : «والضمير في ﴿تُحْصُوهُ﴾الظاهر أنه عائد على المصدر المفهوم من يقدر . أي: أن لن تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار لا تحيطوا بها على الحقيقة» [2].

القول الثاني : لن تطيقوا قيام الليل. وهو قول الحسن [3]. وقال به الطبري والثعلبي والبغوي وابن عطية ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والثعالبي ، وابن عاشور [4]- رحمهم الله -.

قال الطبري : « وقوله : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾يقول : علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه فتاب عليكم إذ عجزتم وضعفتم عنه ورجع بكم إلى التخفيف عنكم» [5].

وقال ابن عطية : «﴿ لَّن تُحْصُوهُ﴾لن تستطيعوا قيامه لكثرته وشدته فخفف الله عنكم فضلا منه لا لقلة جهلهم بالتقدير وإحصاء الوقت » [6].

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – عود الضمير على مصدر "يقدر" أي : علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن " إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك [7].

فالسِّباق يدل على اختصاص – ﷻ – وحده بتقدير الأزمنة على حقيقتها بقوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٥٣).

(٢) البحر المحيط (٨/٣٥٨).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٩/١٤٠) ، ولفظه (أن لن تطيقوه) .

(٤) جامع البيان (٢٩/١٤٠) ، والكشف والبيان (١٠/٦٥) ،ومعالم التنزيل(٤/٤١١)،و المحررالوجيز (٥/٣٩٠) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/٣٣٤) ، تذكرة الأريب (٢/٢٥٣) ، و الجواهر الحسان (٤/٣٥٥) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٣) .

(٥) جامع البيان (٢٩/١٤٠).

(٦) المحرر الوجيز (٥/٣٩٠).

(٧) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

ﭐلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾. أي : لن تستطيعوا تقدير الأوقات وضبطها .

قال ابن منظور: « الإحصاء العدُّ والحفظ و أحصى الشيء أحاط به» [1].

وقال الألوسي : «﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله تعالى فإن تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبيناً عليه يقدر دالٌّ على الاختصاص على ما ذهب إليه جار الله ويؤيده قوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾فإن الضمير لمصدر يقدر لا للقيام المفهوم من الكلام والمعنى : علم أن الشأن لن تقدروا الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ولا يتأتى لكم حسابها بالتعديل وا لتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم» [2].و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) لسان العرب (١٨٤/١٤).

(٢) روح المعاني (١١١/٢٩).

❁ (٤٥)المسألة الثانية : في العلة من تكرار الأمر بالقراءة في الآية .

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ علة تكرار الأمر بالقراءة للتأكيد على التخفيف.

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به ، أو تأكيدا للتخفيف. وهذا أظهر ؛لأنه ذكره بأثر الأعذار» [١] .

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول قتاد ة [٢] . و قال به السّمعاني والرازي والبيضاوي [٣]، ووافقهم أبو حيان ،والشوكاني [٤] – رحمهم الله –.

قال البيضاوي : « ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها .قيل: كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس أو فاقرؤوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية الترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه» [٥].

---

(١) التسهيل (١٥٩/٤).

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن نصر : الدر المنثور (٣١٢/٨) . ولفظه (فرض قيام الليل في أول هذه السورة فقام أصحاب النبي – ﷺ – حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها حولا ثم أنزل التخفيف في آخرها فقال :﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ إلى قوله : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ فنسخ ما كان قبلها فقال : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾. فريضتان واجبتان ليس فيهما رخصة).

(٣) تفسير القرآن (٨٥/٦) ، والتفسير الكبير (١٦٥/٣٠) ، وأنوار التتريل (٥/ ٤٠٨) .

(٤) البحر المحيط (٣٥٩/٨) ، و فتح القدير (٣٢٢/٥) .

(٥) أنوار التتريل (٤٠٨/٥).

القول الثاني: كُرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به ، وهو قول الحسن [(١)]، ورجَّحه الثعالبي بقوله «فذكر الله سبحانه أعذار بني آدم التي هي حائلة بينهم وبين قيام الليل ثم كرر سبحانه الأمر بقراءة ما تيسر منه تأكيدا» [(٢)].

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – أن الله تعالى كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للتخفيف ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ لأن السياق في الآية يُظهر تفضل الله تعالى عباده بالتخفيف عليهم برفع القيام المفروض عليه في بداية السورة وذكر الله تعالى في **ذلك علتان وهما** :

الأولى : عدم مقدرتهم على إحصاء ساعات الليل وحصول المشقة لهم في ذلك

الثانية : علم سبحانه وتعالى أنه لن يتيسر لكم مستقبلا المحافظة على القيام لعذر المرض ، أو الضرب في الأرض للتجارة ، أو خروجهم للجهاد في سبيل الله ، وبعد ذكر الأعذار المانع من القيام على ما أمر به في بداية السورة كرر سبحانه الأمر لتخفيف عليهم ، و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد ه أولى من الخروج به عن ذلك[(٣)]) **ومما يؤيد هذا القول أمران** :

١. أن الله تعالى ذكر فريضتان بعد الرخصة وهما: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

قال قتادة : « ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾. فهما فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما فأدوهما إلى الله تعالى» [(٤)].

٢. يدل على التخفيف عليهم وعدم مؤاخذتهم أن الآية خُتمت باسمين جليلين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ . ويؤيده القاعدة التفسيرية : (كثيرًا ما تُختم الآيات القرآنية ببعض الأسماء الحسنى للتدلل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم) [(٥)]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد الدر المنثور (٣٢٢/٨)، ولفظه (لما نزلت على النبي – ﷺ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقام المسلمون معه حولا كاملا حتى تورمت أقدامهم فأنزل الله بعد الحول ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى قوله :﴿ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾قال الحسن : فالحمد لله الذي جعله تطوعا بعد فرضة ولا بد من قيام الليل).

(٢) الجواهر الحسان (٣٥٧/٤)

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) جامع البيان (١٤٢/٢٩).

(٥) واعد التفسير (٢ / ٧٤٤).



خامساً : سورة المدثِّر

قول الله – ﷻ –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[1] .

❁ (٤٦)مسألة : في أول ما نزول من القرآن.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن أول سورة نزلت هي سورة اقرأ.

ومجمل ما ذكره في الآية:

قال : « إن هذه أول سورة نزلت من القرآن . والصحيح أن سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾ نزلت قبلها» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول :ما رجَّحه ابن جُزيّ، وهو قول عائشة أم المؤمنين [3]–رضي الله عنها – وقولُ عبيدٍ بن عميرٍ [4]، ومجاهدٍ [5]، وأبي رجاء العطارديِّ [6] [7].

وقال به الإمامُ الطبريُّ ، وأبو الليثِ ، وابن أبي زمنين ، والثعلبيُّ ، والماورديُّ ، والسمعانيّ والبغويُّ والزمخشريُّ ، وابن عطية ، وابنُ العربيِّ ، وابنُ الجوزيَّ ، والقرطبيَّ ، والبيضاويَّ [8] ووافقهم الخازنُ

---

(١) سورة المدَّثر:١ .

(٢)التسهيل (١٦٠/٤).

(٣) سبق تخريجه ص (١٦٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٥٢/٣٠)، ولفظه قال : (أول سورة نزلت على رسول الله – ﷺ – ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ .وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٥٦٢/٨) وعزاه لابن أبي شيبة بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٥٢/٣٠)، ولفظه قال : (أول ما نزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾. وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٥٦٢/٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر بمثله.

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٥٢/٣٠)، ولفظه قال : (كنا في المسجد الجامع ومقرئنا أبو موسى الأشعري كأني أنظر إليه بين بردين أبيضين .قال أبو رجاء عنه : أخذت هذه السورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وكانت أول سورة نزلت على محمد) .

(٧) عمران بن ملحان ،ويقال بن تيم ،ويقال بن عبد الله أبو رجاء العطاردي البصري . أدرك زمن النبي – ﷺ – ولم يره . وروى عن عمر وعلي وعمران بن حصين وابن عباس ، و روى عنه أيوب السختياني ، وجرير بن حازم ،والجعد أبو عثمان. تُوفي سنة (١٠٩هـ).

يُنظر : تهذيب الكمال (٣٥٦/٢٢) ، و تهذيب التهذيب (١٢٤/٨).

(٨) جامع البيان(٢٥١/٣٠)، وبحر العلوم(٤٥٨/٣)، وتفسير القرآن العزيز (١٤٧/٥)، والجواهر الحسان(٢٤٢/١٠) والنكت

وابنُ كثيرٍ ، والثعالبيُّ ، والشربينيُّ ، والصاويُّ ، والشوكانيُّ ، والألوسيُّ والسعديُّ ، وعطية سالم — رحمهم الله تعالى —[1].

قال ابُن عطيةَ : « واختلف الناس في أول ما نزل من كتاب الله تعالى ، فقال جابر بن عبد الله[2] وأبو سلمة [3]والنخعي ومجاهد هو يا : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾الآيات ، وقال الزهري والجمهور هو ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.وهذا هو الأصح وحديث صدر كتاب البخاري نص في ذلك» [4].

وقال الألوسي معقبًا على الأقوال : « والصحيح كما قال البعض وهو الذي اختاره :إنَّ صدّرَ هذه السورة الكريمة هو أول ما أنزل من القرآن على الإطلاق . كيف وقد وردَّ حديثُ بدءِ الوحي المروي عن عائشة من أصح الأحاديث؟!» [5] .

القول الثاني : أوّل ما نزل سورة المدثر . و هو قول جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – [6]. وأورده ابن أبي زمنين ، وابنُ عطيةَ ، وابن العربيِّ ، والرازيُّ ، وابن كثيرٍ ، والثعالبيُّ ، وأبو السعود ، والألوسيُّ — رحمهم الله تعالى – [7].

القول الثالث : أنَّ أوّل ما نزل هو سورة الفاتحة . ذكر الزمخشري أنَّ قولُ الأكثرين ونسبه النسفي

والعيون (٦/ ٣٠٤) ، و تفسير القرآن (٢٥٥/٦)، ومعالم التنزيل(٥٠٦/٤) ، والكشاف (٧٨١/٤)، والمحرر الوجيز (٥٠١/٥)، و أحكام القرآن لابن العربي(٤١٧/٤)، و زاد المسير(١٧٥/٩)، والجامع لأحكام القرآن(١١٧/٢٠).

(١) لباب التأويل(٦ / ٣١٠) ، و البحر المحيط(٤٨٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٥٢٨/٤)، والج واهر الحسان (٤٢٧/٤)، و السراج المنير (٨ /١٦٢) ،و إرشاد العقل السليم (١٧٧/٩)، وحاشية الشهاب (٩ / ٣١٩) ، و فتح القدير (٤٦٧/٥)، و روح المعاني(١٧٨/٣٠)، و تيسير الكريم الرحمن (٩٣٠/١)، و أضواء البيان(١٣/٩).

(٢)جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، أبو عبد الله . أحد المكثرين عن النبي – ﷺ – وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة . تُوفي سنة (٧٣ هـــ).
يُنظر : الاستيعاب (٢١٩/١) ، و الإصابة في تمييز الصحابة (٤٣٤/١).

(٣)عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الأَسَدِ ابن هِلاَل بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم بن يَقَظَة ابن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍ القُرَشي المخزومي ، أبو سلمة . زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم . تُوفي سنة (٣ هــ).
يُنظر : الاستيعاب (٩٣٩/٣)، وأسد الغابة (٢٩٩/٣).

(٤) المحرر الوجيز(٣٩٢/٥).

(٥) روح المعاني (١٧٨/٣٠).

(٦) سبق تخريجه ص (١٦٤).

(٧) تفسير القرآن العزيز(٥٤/٥)، و معالم التنزيل(٤١٢/٤)، و المحرر الوجيز(٣٩٢/٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٣٨/٤)، والتفسير الكبير (١٦٧/٣٠)،و تفسير القرآن العظيم(٤٤١/٤)، والجواهر الحسان(٣٥٨/٤)، و إرشاد العقل السليم (٥٤/٩)، و روح المعاني(١١٥/٢٩).

للجمهور [١]. وممن أورده ابن عطية ، وابن العربي ، والألوسي [٢].

واستُدل عليه بما رواه عمرُ و بن شرحبيل- ﷺ - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال لخديجة : ((إني إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً، فقد والله خشيتُ أن يكون هذا أمرًا (ح). فقالت : معاذَ اللهِ ما كانَ اللهُ ليفعلَ بك؛ فوالله إنك لتؤدِّي الأمانةَ وتصلُّ الرَّحمِ وتصدقُ الحديثَ . فلمَّا دخل أبو بكرٍ وليس رسول الله - ﷺ - ثم ذكرتْ خديجةُ حديثهُ له وقالت: يا عتيقُ ،اذهب مع محمدٍ إلى ورقةَ، فلما دخلَ رسولُ الله - ﷺ - أخذَ أبو بكرٍ بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقةَ .فقال: ومن أخبرَك ؟ فقالَ :خديجةُ. فانطلقا إليه فقصاَّ عليه، فقال: إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً خلفي يا محمدُ يا محمدُ فأنطلقُ هاربا في الأرضِ. فقال : لا تفعل إذا أتاكَ فاثبت حتى تسمعَ ما يقولُ، ثم ائتني فأخبرني. فلمَّا خلا ناداه يا محمدُ قل :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣] حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٤])) [٥] .

وردَّ هذا القول الإمام ابن حجر بقوله : « قال صاحب الكشاف ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أنها أول سورة نزلت وأكثر المفسرين إلى أنَّ أول سورة نزلت فاتحة الكتاب كذا قال والذي ذ هب أكثر الأئمة إليه هو الأول وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول » [٦].

و قال الإمام النووي : « وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم» [٧].

---

(١) الكشاف (٧٨١/٤)، و مدارك التنزيل(٣٤٨/٤).

(٢) المحرر الوجيز(٥٠١/٥)، وأحكام القرآن لابن العربي(٤١٧/٤)، و روح المعاني (١٧٨/٣٠).

(٣) سورة الفاتحة : ١-٢ .

(٤) سورة الفاتحة :٧.

(٥) تاريخ مدينة دمشق (٦٣/٧) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور " (١٠/١) ، وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف ، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة والواحدي والثعلبي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل.

قال ابن حجر : « هو مرسل وأن كان رجاله ثقات ، والمحفوظ أن أول ما نزل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. وإن نزول الفاتحة كان بعد ذلك). يُنظر : فتح الباري (٧١٩/٨).

(٦) فتح الباري (٧١٤/٨).

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٨/٢).

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ صدَّر سورة العلق أوّ ل ما نزل على الإطلاق من ال قرآن وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهرة المفسرين [1] ؛ لثبوت الدليل الصحيح عليه [2]، فلا يصار إلى غيره [3].

قال النووي : « هذا دليل صريح في أنَّ أوّل ما نزل من القرآن ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف» [4].

و قد ذكر ابن جُزي في وجوه الترجيح عنده : « أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه » [5]. **ومما يؤيده :**

١. جعل الله – عز وجل – افتتاحية السورة بياناً وافيا لمقاصد القرآن حيث جاء الأمر الرباني الأول بالقراءة ؛ لأنها وسيلة اقتباس العلم الموصل إلى الله تعالى ، ولا يكون الأخذ من معينه إلا بالاستعانة بالله والتوّجُّه إليه وإخلاص العمل له ، فكلما أخلص في الطلب جاءه الفتح من الرب الكريم .

قال ابن حجر – رحمه الله تعالى – : « والحكمة في هذه الأولية أنَّ هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن ففيها براعة الاستهلال وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله ... وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن أنها تنحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله وفي هذه الإشارة إلى الأحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا إشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[6]» [7].

٢. ذكر العلماء[8] أوجهًا لدفع الإشكال بين رواية السيدة عائشة – رضي الله عنها– بأنَّ أوّل ما نزل صدر سورة العلق ، ورواية جابر بن عبد الله– رضي الله عنه – أنَّ أوّل ما نزل سورة المدثر وهي :

- أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام

---

(١) والجواهر الحسان(٣٥٨/٤).

(٢) سبق تخريجه ص١٦٤

(٣) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ١٩١).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم(١٩٩/٢).

(٥) التسهيل (٩/١).

(٦) سورة العلق:٥ .

(٧) فتح الباري(٧١٨/٨).

(٨) يُنظر : فتح الباري(٦٧٨/٨)، والإتقان في علوم القرآن(٧٦/١).

سورة ﴿اقْرَأْ﴾ فإنها أول ما نزل منها صدره ا . ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضا عن أبي سلمة عن جابر سمعت رسول الله – ﷺ – وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه :((بَيْنَا أَنَا أَمْشِى سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِى ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِى جَاءَنِى بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِىٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَفَرِقْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى . فَدَثَّرُوهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

فقول النبي – ﷺ – : ((الملك الذي جاءني بحراء)) يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ .

- أنَّ مراد جابر بالأولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة.
- أنَّ المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار وعبر بعضهم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول ما نزل للرسالة﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾
- أنّ المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما ﴿اقْرَأْ﴾ فترلت ابتداء بغير سبب متقدم . و الله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

قول الله – ﷻ – :﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1].

❁ (٤٧)مسألة : في حمل الآية على الحقيقة أم المجاز ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجح أنَّ اللفظين على حقيقتهما في تطهير الثياب من النجاسة .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : « قال تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة . واختلف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة .

والآخر : أنَّ يراد به الطّهارةُ من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز .

الثالث : أنَّ معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في لفظي " الثوب ، والتطهير " على ثلاثة أوجه وهي :

الوجه الأول : ما رجَّحه ابن جُزيٍّ ، وهو قولُ ابن زيدٍ[3] ، وابن سيرين [4] . و اختاره الطبريُّ والجصاص ، والزمخشري ،وأبو حيانَ ، وأبو السعودِ ، والشوكاني ، وعطية سالم [5] – رحمهم الله –.

قال الطبري : «وهذا القول الذي قاله بن سيرين وبن زيد في ذلك أظهر معانيه» [6].

وقال أبو حيان : « الظاهر أنَّه أمر بتطهير الثياب من النجاسات ؛ لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ويقبح أن تكون ثياب المؤمن نجسة» [7].

---

(١) سورة المدَّثر:٤ .

(٢) التسهيل (١٦٠/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٤٧/٢٩) . ولفظه قال : (كان المشركون لا يتطهرون فأمره أن يتطهر ويطهر ثيابه).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٤٦/٢٩) ، ولفظه (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال : اغسلها بالماء).

(٥) جامع البيان (١٤٧/٢٩)، و أحكام القرآن للجصاص (٣٦٩/٥)، والكشاف (٦٤٧/٤)، والبحر المحيط(٣٦٢/٨) و إرشاد العقل السليم (٥٥/٩) ، وفتح القدير(٣٢٤/٥)،و أضواء البيان (٣٦٢/٨).

(٦) جامع البيان(١٤٧/٢٩).

(٧)البحر المحيط (٣٦٢/٨).

الوجه الثاني : حَملُ اللفظان على المجاز. والمعنى : طهِّر نفسك عما تذمّ به من الأفعال وهو مروي عن ابن عباس [(١)]، وأبي رز ين [(٢)(٣)] – رضي الله عنهما – . وذكره الطبريُّ ، و الزمخشري والبيضاوي[(٤)] وحكاه ابن عطيةَ، وتبعَه الثعالبيُّ ، والألوسي عن الجمهور [(٥)]– رحمهم الله – .
وحجة هذا الوجه أنَّ العرب تكني عن الثياب بالنفس ومنه قول عنترة [(٦)]:

فشَكَكَت بالرمحِ الطويلِ ثيابَهُ   لَيسَ الكريمُ على القَنَا بِمُحرَّمِ [(٧)(٨)].

الوجه الثالث [(٩)]: أن يترك لفظ الثياب على حقيقته ويحمل لفظ التطهير على مجازه وفيه قولان :
القول الأول : أن المراد من قوله : ﴿فَطَهِّرْ﴾ أي : فقصر وذلك ؛لأن العرب كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس و؛لأن تطويل الذيل إنما يفعل للخيلاء والكبر فنهى الرسول – ﷺ – عن ذلك . أورده ابن الجوزي ، والنسفي ،والألوسي[(١٠)]– رحمهم الله –.
القول الثاني : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾. أي : ينبغي أن تكون الثياب التي تلبسها مطهرة عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون مكتسبة من وجه حلال . وهو مروي عن ابن عباس [(١١)]– ﷺ – وأورده الطبري

---

(١)أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٤٦/٢٩)، ولفظه قال : (من الإثم) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور " (٣٢٦/٨) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٤٦/٢٩)، ولفظه قال : (عملك فأصلحه وكان الرجل إذا كان خبيث العمل قالوا : فلان خبيث الثياب وإذا كان حسن العمل قالوا : فلان طاهر الثياب) . وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٢٦/٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه.

(٣) مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي أسد خزيمة مولى أبي وائل الأسدي الكوفي . روي عن زر بن حبيش الأسدي وعبد الله بن عباس ،وعبد الله بن مسعود ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وإسماعيل بن سميع والزبير بن عدي وسليمان الأعمش ،وعاصم بن أبي النجود ، وابنه عبد الله . قال أبو زرعة : اسمه مسعود كوفي ثقة .توفي سنة (٨٥ هـ).
يُنظر : تهذيب الكمال (٤٧٧/٢٧) ،و تهذيب التهذيب (١٠٧/١٠).

(٤) جامع البيان (١٤٦/٢٩)، والكشاف(٦٤٧/٤)،و أنوار التنزيل(٤١١/٥).

(٥) المحرر الوجيز(٣٩٣/٥)، والجواهر الحسان (٣٥٨/٤)،و روح المعاني(١١٧/٢٩).

(٦) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي . أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأ ولى. من أهل نجد . تُوفي نحو نحو (٢٢ ق هـ). الأعلام (٥ / ٩١).

(٧) جمهرة أشعار العرب (١٤٨/١) ، محاضرات الأدباء (١٧٧/٢).

(٨) يُنظر : اللباب (١٩ / ٤٩٥).

(٩) التفسير الكبير (١٦٩/٣٠).

(١٠) مدارك التنزيل(٣٠٨/٤) ،و زاد المسير(٤٠١/٨) ، وروح المعاني (١١٧/٢٩) .

(١١) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٤٦/٢٩) ، ولفظه قال : (لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب ويقال :

وابن عطية ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وابن كثير ، وجلال الدين المحلّي [1]- رحمهم الله -.

الترجّيح

الراجح – والله تعالى أعلم بمراده – أنَّ القول على حقيقته في تطهير الثياب من النجاسة . وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛لأن الأصل في الكلام أن يُحمل على الحقيقة ، (ولا يجوز العدول به عنها وله فيها محمل صحيح) [2].

قال الشوكاني : « والأول أولى ؛لأنه المعنى الحقيقي وليس في استعمال الثياب مجاز عن غيرها لعلاقة مع قرينه ما يدل على أنه المراد عند الإطلاق وليس في مثل هذا الأصل – أعني الحمل على الحقيقة عند الإطلاق –خلاف وفي الآية دليل على وجوب طهارة الثياب في الصلاة» [3].**ويؤيده:**

١. يشهد له سياق الآية بعدها في قوله تعالى : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ ومن معاني الرجز المعاصي فيكون الأمر واقعًا على الطهارة الحسية والمعنوية و (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) [4].
٢. ما ورد عن السلف بأن المراد تطهير النفس عما يذم من الأفعال فهو تفسير بالمعنى تحتمله الآية ؛ لأنه (غير جائز أن تخاطبَ العربُ في صفةِ شيء إلا بمثل ما تفهم عمن خاطبها) [5] فكما أن النبي – ﷺ – مأمور بطهارة الظاهر فهو مأمورٌ كذ لك بطهارة الباطنِ ، وبين الثوبِ والنفسِ تلازمٌ والعرب تكنى بالثياب عن النفس ومنه قول الشماخ [6]:

رموَا بأثوابٍ خفافٍ فلا ترَ ى لها شبهً ا إلا النعامَ المنفرَّ ا [7][8].

لا تلبس ثيابك على معصية) . وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٣٢٦/٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بنحوه.

(١) جامع البيان(١٤٧/٢٩)،و المحرر الوجيز (٣٩٣/٥)، و زاد المسير(٤٠٠/٨)، و أنوار التنزيل(٤١١/٥)،و تفسير القرآن العظيم(٤٤١/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٦/١).

(٢) قواعد الترجيح (٢ / ٣٨٧) .

(٣) فتح القدير(٣٢٤/٥).

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٤٧٣) .

(٥) قواعد التفسير (١ / ٢٩٣) .

(٦) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام. توفي سنة (٦٣ هـــ) يُنظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٣٥٣/٣) ، والأعلام (٧ / ٢٧٠).

(٧) تهذيب اللغة (١١٢/١٥).

(٨) إغاثة اللهفان (٥٣/١).

قال قتادة : « ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ هي كلمة من العربية كانت العرب تقولها طهر ثيابك أي من الذنوب » [1].

قال ابن القيم بعد ذكره للخلاف في الآية : « قلت الآية تعم هذا كله وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم إن لم تتناول ذلك لفظا فإن المأمور به إن كان طهارة القلب فطهارةُ الثوبِ وطيبُ مكسبه تكميلٌ لذلك. فإن خبثَ الملبس يُكسبُ القلبَ هيئةً خبيثةً كما أن خبث المطعمِ يكسبه ذلك ؛ ولذلك حرِّم لبس جلود النّمور والسباع بنهي النبي – ﷺ – عن ذلك في عدة أحاديث صحاح لا معارض لها لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات . فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن ولذلك حُرم لبس الحرير والذهب على الذكور ؛ لما يكتسب القلب من الهيئة التي تكون لمن ذلك لبسه من النساء وأهل الفخر والخيلاء.

والمقصود أنَّ طهارة الثوب ،وكونه من مكسب طيب هو من تمام طهارة القلب وكمالها ،فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها ، فالمقصود لنفسه أولى أن يكون مأمورًا به وإن كان المأمور به طهارة القلب و تزكية النفس، فلا يتم إلا بذلك فتبين دَلالة القرآن على هذا وهذا » [2] . و الله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) جامع البيان (٢٩/١٤٥).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٥٤ – ٥٥) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[1].

❁ (٤٨)مسألة : **معنى الرجز في الآية.**

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " الرجز" الأوثان.

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : « ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾فيه ثلاثة أقوال:

أحدها : أنَّ الرجز الأوثان روى ذلك عن رسول الله – ﷺ – ،وهو قول عائشة[2] – رضي الله عنها –

والآخر : أنَّ الرجز السخط والعذاب ، وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه

الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رجز»[3].

العرض والمناقشة :

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ. وهو قول ابن عباس [4]– ﷺ – قال به مجاهد [5] وقتادة [6] وابن زيد[7]. و اختاره الزجاج ، ومكي بن أبي طالب ، وابن الجوزي [8] ، و وافقهم جلال الدين

---

(١) سورة المدَّثر:٥ .

(٢) لم أقف على هذه الرواية ، إلا ما روته أم المؤمنين – رضي الله عنها – في كتاب بدء الوحي ، فإن كان مقصد ابن جُزي الاستدلال بهذه الرواية على تفسير "الرجز" بالأوثان ، فهذا القول فيه نظر ؛ لأن قول أم المؤمنين – رضي الله عنها – إنما في بيان ما ابتدأ به رسول الله – ﷺ – من الوحي بقولها :(أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم – من الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ)، ثم هذه الرواية ذُكر فيها نزول صدر سورة العلق ولم يرد فيها الخبر بنزول سورة المدثر . – والله تعالى أعلم – .

(٣) التسهيل(٤/ ١٦٠).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١٤٧/٢٩) ، ولفظه يقول: (السخط وهو الأصنام) .وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٢٦/٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٤٧/٢٩)، ولفظه قال : (الأوثان) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٤٧/٢٩) ، ولفظه قال : (إساف ونائلة ، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما فأمر الله نبيه أن يجتنبهما ويعتزلهما).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٤٧/٢٩)، ولفظه قال : (الرجز آلهتهم التي كانوا يعبدون أمره أن يهجرها فلا يأتيها ولا يقربها) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٩١) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨١٨) ، وتذكرة الأريب(٢/ ٢٥٤).

المحلّي[١]- رحمهم الله - .

قال السيوطي في الإتقان : « وكل ما فيه من رجز فالعذاب إلا ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾فالمراد به الصنم» [٢].

.[٢]

و استُدل عليه بعدة أدلة وهي :

١. نسب ابن جُزيّ تفسيره للنبي- ﷺ - لما ورد في بعض الروايات بلفظ : (هي الأوثان) مما قد يفهم منه أنه تفسير من النبي- ﷺ - . والصحيح أنّ هذا القول مُدرجٌ من كلام أبي سلمة - رضي الله عنه - وقد جاء في روايات أخرى التصريح بنسبته إليه- رضي الله عنه -[٣].

٢. الاختلاف في القراءة : قرأ حفص[٤] والمفضل[٥] عن عاصم[٦] ﴿وَالرُّجْزَ﴾ بضم الراء وقرأ الباقون الباقون وأبو بكر[٧] عن عاصم ﴿وَالرِّجْزَ﴾ بكسر الراء [٨].

قال مكي بن أبي طالب – رحمه الله - : « حجة من ضمّ أنه جعله اسم صنم ، وقيل : هما صنمان

---

(١) تفسير الجلالين (٧٧٦/١).

(٢) الإتقان في علوم القرآن(٤١٨/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨٢/٣) ح (٣٠٦٦) في كتاب بدء الوحي ، بَاب إذا قال أحدكم آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ في السَّمَاءِ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ . عن جَابِرُ بن عبد اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : ((ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيُ فَتْرَةً فَبَيْنَا أنا أَمْشِي سمعت صَوْتًا من السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فإذا الْمَلَكُ الذي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ على كُرْسِيٍّ بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجُئِثْتُ منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض فَجِئْتُ أَهْلِي فقلت: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى ﴿فَاهْجُرْ﴾ قال أبو سَلَمَةَ : وَالرِّجْزُ الْأَوْثَانُ). وأخرجه في كتاب التفسير ، بَاب قَوْلُهُ : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ يُقَالُ الرِّجْزُ وَالرِّجْسُ الْعَذَابُ(١٨٧٦/٤) ح (٤٦٤٢) بنحوه .

(٤) حفص بن سليمان بن المغيرة ، أبو عمرو بن أبي داوود الأسدي الكوفي ، وُلد سنة (٩٠هـ).أخذ القراءة عرضا وتلقينا على عاصم بن أبي النجودوفي سنة (١٨٠ هـ).
يُنظر : معرفة القراء الكبار (١٤٠/١) ، والوافي بالوفيات (٦٢/١٣) ، والأعلام (٢ / ٢٦٤).

(٥) المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر ، ويقال المفضل بن محمد بن سالم ويقال محمد بن سالم بن أبي المعالي بن يعلى بن سالم بن أبيّ بن سليم بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة إمام مقرئ نحوي أخباري موثق، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم ابن أبي النجود والأعمش .توفي سنة (٥٠٩ هـ) .
يُنظر : غاية النهاية (١ / ٢٥٤) ، تاريخ بغداد (١٢١/١٣).

(٦) عاصم بن أبي النجود الجحدري ، أبو بكر الكوفي ، أحد القراء السبعة ، كان أهل الكوفة يختارون قراءته توفي سنة (١٢٧ هـ)
يُنظر : معرفة القراء الكبار (٨٨/١) ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤٢٢/١).

(٧) شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الحناط بالنون الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم راوي عاصم اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولا أصحها شعبة وقيل غير ذلك توفي سنة (١٩٣ ،وقيل سنة ١٩٤).
يُنظر : معجم الأدباء (٣٣٧/٢)، ومعرفة القراء الكبار (١٣٤/١).

(٨) السبعة في القراءات (٦٥٩/١)، و حجة القراءات(٧٣٣/١).

كانا عند البيت "إساف ونائلة " ، وحجة من كسر أنّه جعل "الرجز " العذاب ، والمعنى أنه أُمِر أن يهجر ما يحلّ العذاب من أجله ، والتقدير : وذا الرِجز فاهجر» [1].

٣. أنَّ الزاي فيه منقلبة من السين والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجيهما ودليل هذا التأويل قوله تعالى : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [2][3].

قال الإمام الطبري — رحمه الله – : « وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول الرجس والنجس لغتان ويحكى عن العرب أنها تقول ما كان رجسا ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة وكان بعض نحاة البصريين يقول الرجس والرجز سواء وهما العذاب ...» [4]

القول الثاني : أنَّ معنى الرجز" السخط والعذاب" أي : اهجر أسباب العذاب المؤدية إليه وهو قول ابن عباس [5] ، وابن زيد[6] . وقال به ابُن قتي بةَ ، و الزمخشريُّ ، والبيضاوي والنسفي ، والقمي النيسابوري ، والخازن ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والمراغي [7]– رحمهم الله –

قال الزمخشري : « ﴿وَالرُّجْزَ﴾ قُرِئَ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره ؛لأنه كان بريئًامنه» [8] .

القول الثالث: أنَّ الرجز يراد به " المعاصي والفجور" . وهو قول إبراهيم النخعي[9] والضحاك[10] والضحاك[10] وأورده الطبري ، والثعلبي ، والمهدوي ، والماوردي ، والأصفهاني ، وا لبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي وأبو حيَّان ، وابن كثير ، والألوسي[11]— رحمهم الله –.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها(٢ / ٣٤٧).

(٢) سورة الحج:٣٠ .

(٣) السراج المنير(٨ / ١٦٦) .

(٤) جامع البيان(٣١/٨ — ٣٢) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٣٠٦/١)، ولفظه قال : (كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٣٠٥/١)، ولفظه قال : (الرجز العذاب وكل شيء في القرآن رجز فهو عذاب) .

(٧) تأويل مشكل القرآن (٤٧١)، الكشاف(٦٤٧/٤)، وأنوار التنزيل (٤١١/٥)، و مدارك التنزيل (٣٠٨/٤)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٨٧) ، ولباب التأويل (٦ / ٣١١) ، و إرشاد العقل السليم(٥٥/٩)، وفتح القدير (٥/ ٣٢٤ –٣٢٥)، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٤) ، وتفسير المراغي (١٠ / ٢٤٧) .

(٨) الكشاف(٦٤٧/٤).

(٩) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٤٧/٢٩)، ولفظه قال : (الإثم).

(١٠) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٤٨/٢٩)، ولفظه (﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ يقول :اهجر المعصية) .

(١١) تفسير جامع البيان (١٤٧/٢٩) ،وتفسير الكشف والبيان(٧٠/١٠) ،ومعالم التنزيل (٤١٣/٤)، وزاد المسير(٤٠٢/٨) والجامع

الترجيح

القول الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ معنى " الرجز " في الآية العذاب ، وهو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني ؛ لأنه مسَبب عن عبادة الأوثان . والمعنى أي : اهجر ما يؤدي إليه م ن عبادة الأوثان أو غيرها من المآثم ، **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ لفظ "الرجز " ورد في القرآن تسعَ مراتٍ كاسم و لم يرد فعلا مطلقا ، والغ الب في وروده أتى بمعنى العذاب .قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[(١)]

٢. تفسير السلَّف للرجز بأنها الأوثان أو المعاصي فهذا التفسير لا يخرج عن المعنى ؛ إذا هو من اختلاف التنوع وهو تفسير بلازم المعنى ؛ لأن الأوثان والمعاصي سبب للعذاب ففسر اللفظ بلازمه .

قال ابن حجر – رحمه الله – : « قوله : "الرجز" هي الأوثان وهو تفسير باللازم لأنها تؤدي إلى الوجز وهو العذاب » [(٢)].

٣. أمَّا القول باختلافِ المعنى ؛ نظرًا لاختلاف القراءة . قال الزجاج : «هما لغتان ومعناهما واحد» [(٣)].

و قال الطبري : « والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب والضم والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد و لم نجد أحدا من متقدمي أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك وإنما فرق بين ذلك فيما بلغنا الكسائي [(٤)]. و(اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه » [(٥)]. و الله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

والجامع لأحكام القرآن (٦٦/١٩) ، والبحر المحيط(٣٦٤/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٢/٤)،و روح المعاني(١١٩/٢٩).

(١) سورة الأعراف:١٣٤.

(٢) فتح الباري (١٢١/١).

(٣) حجة القراءات (٧٣٣/١).

(٤) جامع البيان(١٤٧/٢٩).

(٥) قواعد الترجيح (١ / ١٠٠) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾[1].

❁ (٤٩)مسألة : في مقدار المال الممدود .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ مقدار المال ألف دينار .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : «واختلف في مقداره . فقيل: ألف دينار. وقيل: عشرة آلاف دينار . وقيل: يعني الأرض لأنها مدت» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما:

القول الأول: من العلماء من جعل للمال المدود قدرا ، فقال البعض " ألف دينار "، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ، و هو قول ابن عباس[3] – ﷺ– ، وقال به سعيد بن جبير [4]، ومجاهد [5].

وممن أورد هذا القول من المفسرينَ الطبريُّ ، والثعلبي ، والماوردي ، والسمعاني ، والبغوي وابن عطية وابن الجوزي ، والخازن ، وابن كثير ، والشر بيني ، وأبو السعود ، والشوكاني والقنوجي [6]– رحمهم الله – .

ومنهم من قال أن مقدار المال الممدود " أربعة آلاف دينار ". وهو قول سفيان [7] [8]، ذكره في

---

(١) سورة المدَّثر:١٢ .

(٢) التسهيل(٤/١٦٠).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٢٩/٨) وعزاه لابن المنذر .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٥٣/٢٩) ، ولفظه قال :(ألف دينار) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٥٣/٢٩)، ولفظه قال :(كان ماله ألف دينار) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٢٩/٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) جامع البيان (١٥٣/٢٩)، و الكشف والبيان (٧١/١٠)، والنكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، وتفسير القرآن(٩١/٦) و معالم التنزيل (٤١٤/٤)، و المحرر الوجيز(٣٩٤/٥)، و زاد المسير(٤٠٤/٨)، ولباب التأويل (٦ / ٣١٣) وتفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٤)، والسراج المنير (٨ / ١٦٩) ، و إرشاد العقل السليم (٥٦/٩)، و فتح القدير(٣٢٦/٥)، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٨) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٥٣/٢٩)، ولفظه قال : (بلغني أنه أربعة آلاف دينار) .

(٨) سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري الكوفي . وُلد سنة (٩٥ هـ). كان إماما من أئمة المسلمين وعلما من اعلام الدين مجمعا على أمانته روى عن إبراهيم بن عبد الأعلى وإبراهيم بن عقبة ، وإبراهيم بن محمد بن المنتشر ، روى عنه خلق لا يحصون

معرض الأقوال الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والز مخشري ، وابن عطية، وابن الجوزي ،والشربيني وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي [1]- رحمهم الله -.

وقيل : أن مقداره " مائة ألف دينار ". وأورده الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والنسفي وابن كثير عن مجاهد - رضي الله عنه - [2].

وفسره عمر بن الخطاب رضي الله عنه [3]، بأنه " غلة شهر بشهر "، أورده الطبري ، والثعلبي ، والماوردي والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والخازن ، والقنوجي [4]- رحمهم الله -.

القول الثاني : ذهب فريق من المحققين بجعل اللفظ على إطلاقه و لم يجعل له قدر .

قال الطبري بعد عرضه للأقوال : « والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله وجعلت له مالا ممدودا وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته » [5].

ووافقه فيما ذهب إليه الواحدي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، و جلال الدين المحلّي ، والألوسي [6]- رحمهم الله-.

قال الواحدي : « والأولى في تفسير الممدود أن يكونَ ما يمد له بالزيادة والنماء كا لزرع والضرع والتجارة ويكونَ له مدد يأتي شيئا بعد شيء. قال الزجاج : مال غير منقطع عنه» [7].

وقال القرطبي : « والأظهر أنه إشارة إلى ما لا ينقطع رزقه بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة» [8].

منهم جعفر بن برقان وخصيف بن عبد الرحمن وابن إسحاق وغيرهم . تُوفي سنة (١٦١ هـ).

يُنظر : التاريخ الكبير (٩٢/٤)، و مشاهير علماء الأمصار(١٦٩/١) ،وتهذيب الكمال (١٥٥/١١).

(١) النكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، وتفسير القرآن(٩١/٦)، تفسير معالم التنزيل (٤١٤/٤)، والكشاف (٦٤٩/٤)، و المحرر الوجيز(٣٩٤/٥)، و زاد المسير(٤٠٥/٨)، والسراج المنير (٨ / ١٦٩) ، و إرشاد العقل السليم(٥٦/٩)، و فتح القدير (٣٢٦/٥) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٨) .

(٢) وجدته منسوبا في النكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، وتفسير القرآن (٩١/٦)، و معالم التنزيل (٤ /٤١٤)، و مدارك التنزيل (٢٩٥/٤)، و تفسير القرآن العظيم(٤٤٣/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٥٣/٢٩)، ولفظه قال : (غلة شهر بشهر) . و ذكره السيوطي في "الدر المنثور " (٣٣٠/٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والدينوري .

(٤) جامع البيان ١٥٣/٢٩ ،و الكشف والبيان(٧٢/١٠) ،والنكت والعيون (٦ / ١٣٩) ، و معالم التنزيل (٤١٤/٤)، و الكشاف(٦٤٩/٤)، و لباب التأويل (٦ / ٣١٣) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٠٨) .

(٥) جامع البيان (١٥٣/٢٩).

(٦) جامع البيان(١٥٣/٢٩)، والوسيط (٤ / ٣٨٢)، و الجامع لأحكام القرآن (٧١/١٩)، وأنوار التنزيل (٤١٢/٥)، و تفسير الجلالين(٧٧٦/١).

(٧) الوسيط (٤ / ٣٨٢) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٧١/١٩).

الترجيح

لعلَّ الأقرب إلى الصوّابِ – والله تعالى أعلم – أنَّ المال الممدود هو الكثير عدده أو مساحته وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ، **ويؤيد ذلك عدة أمور وهي :**

١. دخول معنى الكثرة في اللفظ دون تعيين.

قال ابن فارس : « الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول واتصال شيء بشيء في استطالة .تقول: مددت الشيءَ أمدُّه مدًّا ، ومدّ النهرِ ومدَّه نهرٌ آخر، أي: زاد فيه وواصله فأطال مدته »[1] . و (الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيده)[2].

٢. أنَّ هذا الاختلاف إنما هو اختلاف تنوع ولا تعارض في أقوال السلف ؛لأنها من باب التفسير بالمثال ، فكل واحد من السلف آتى بمثال للمال و لم يأتوا بتعيين مقداره.

قال الألوسي : « وهذه الأقوال إن صحت ليست المراد بها تعيين المال الممدود و أنه متى أطلق يراد به ذلك بل بيان أنه كان بالنسبة إلى المحدث عنه كذا»[3]. و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) يُنظر : مقاييس اللغة (٥/٢٦٩)، المصباح المنير (٢/٥٦٦)،وتاج العروس(٩/١٥٨).

(٢) قواعد التفسير (٢ / ٦٢١) .

(٣) روح المعاني (٢٩/١٢٢).

قول الله – ﷻ – : ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُوداً﴾[1].

❁ (٥٠)مسألة : معنى " صعودا ".

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " الصعود " العقبة الصعبة أي : سأُصعِده عقبة شاقة المصعد .

و مجمل ما ذكره في الآية

قال : « الصعود العقبة الصعبة ، وروى عن النبي – ﷺ – ((أنها عقبة في جه نم كلما صعدها الإ نسان ذاب ثم يعود))[2] فالمعنى سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها »[3].

العرض و المناقشة:

اختُلف في معنى " الصعود " على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما اختاره ابن جُزيّ ، وهو قول مجاهد [4]، و قتادة [5]. و قال به الطبري وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ،والنسفي ، و وافقهم أبو حيان ، والشربيني [6]– رحمهم الله –.

قال أبو حيَّان : « ﴿صَعُودًا﴾ عقبة في جهنم كلما وُ ضِع عليها شيءٌ من الإنسان ذاب ثم يعود . والصعود في اللغة : العقبة الشاقة» [7].

القول الثاني : أنَّ الصعود "جبل في النزار " يكلف أن يصعد فيه . قال به السمعاني ، و القمي النيسابوري [8] – رحمهما الله –.

واستُدل عليه بما روي عن النبي – ﷺ – قال: ((وَيْلٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يهوي فيه الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً قبل

---

(١) سورة المدَّثر:١٧.

(٢) لم أقف عليه .

(٣) التسهيل(١٦١/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٥٥/٢٩) ، ولفظه قال :(مشقة من العذاب) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٥٥/٢٩)، ولفظه قال : (عذابا لا راحة منه) .

(٦) جامع البيان(١٥٥/٢٩)، و تفسير القرآن العزيز (٥٦/٥)، والكشف والبيان(٧٢/١٠)، و معالم التنزيل (٤١٥/٤) المحرر الوجيز(٣٩٤/٥) ، و مدارك التنزيل (٢٩٥/٤)، والبحر المحيط(٣٦٦/٨)، والسراج المنير (٨ / ١٧٠) .

(٧) البحر المحيط (٣٦٦/٨).

(٨) تفسير القرآن (٩٢/٦)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٩١) .

أن يَبْلُغَ قَعْرَهُ. وَالصَّعُودُ جَبَلٌ من نَارٍ يَصْعَدُ فيه سَبْعِينَ خَرِيفاً يهوي بِهِ كَذَلِكَ فيه أَبَد))[1].

القول الثالث : أنَّ الصعود مثلٌ[2] لما يُلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق .
قاله به الزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، و القنوجي ،و ابن عاشور [3]- رحمهم الله -.
قال الزمخشري : « سأغشّيه عقبةً شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعد الذي لا يطاق» [4].

الترجيح

الظاهر – والله تعالى أعلم بمراده – أنَّ الصعود هي العقبة الصعبة ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن معه لأنه قول عام يندرج تحته الأقوال الأخرى التي هي مثال لهذا العموم وليس قصرا عليه و (حمل المعنى على عمومه أولى)[5].**ومما يؤيده :**

١. أنَّ أصل اشتقاق الكلمة يدل على عموم المعنى سواء كان جبلاً أو غيرَه .

قال ابن فارس : «" صعد" الصاد والعين والدال أصل صحيح يدل على ارتفاع ومشقة » [6]. و (والقول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية) [7].

٢. أن "صعودا " مصدر صعدا . و (التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم) [8] . والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في " مسنده " (٧٥/٣) ح (١١٧٣٠) من طريق ابن أبي لهيعة عن دراج به .
وأخرجه الترمذي في "سننه "(٤٢٩/٥) ح (٣٣٢٦) وقال : (هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إنما نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا من حديث بن لَهِيعَةَ وقد رُوِيَ شَيْءٌ من هذا عن عَطِيَّةَ عن أبي سَعِيدٍ قوله مَوْقُوفٌ . "وابن لهيعة مجروح) . فيض القدير (٢٣٨/٤).
وأخرجه الطبري في "جامع البيان " (١٥٥/٢٩) قال ابن كثير : (وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة). تفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٤).

(٢) قال الشهاب : (ومعنى كونه مثلا أنه شبه ما يسوقه الله تعالى له من المصائب بتكليف الصعود في الجبال الوعرة الشاهقة وأطلق لفظه عليه فهو استعارة تمثيلية). حاشية الشهاب (٩ / ٣٢٧) .

(٣) الكشاف(٦٥٠/٤)، وأنوار التنزيل (٤١٣/٥)، و إرشاد العقل السليم (٥٧/٩)، وفتح القدير (٣٢٦/٥)، وروح المعاني (١٢٢/٢٩).

(٤) الكشاف(٦٥٠/٤).

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٦) مقاييس اللغة (٢٨٧/٣).

(٧) قواعد الترجيح (٢ / ٥١١).

(٨) قواعد التفسير (١ /٢٤٦).

قول الله –ﷻ– : ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[1].

❁ (٥١)مسألة :في معنى لواحة .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى "لواحة " مغيرة . من لوَّحه أي : غيَّره ، وسوّده . والمعنى :أنها تحرق الجلود وتسودها .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « معنى " لواحة " مغيرة يقال : لوّحه السفر إذا غيره ، والبشر جمع بشرة وهي الجلدة فالمعنى : أنها تحرق الجلود وتسودها . وقيل: لواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أي تلوح للناس . وقال الحسن : تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " لوَّاحة " على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس [3] – ﷺ – ، وقال به أبو رزين [4]، و مجاهد[5] ، والضحاك [6]، وقتادة [7] .

واختاره الفرَّاء ، والطبري ، والزجّاج ، و اقتصر عليه أبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والنسفي [8] وقدمه مكي بن أبي طالب،والواحدي ،وابن عطية، والقمي النيسابوري [9]، ووافقهم الخازن وأبو حيان ، وابن وابن كثير ، و جلال الدين المحلّي ، وأبو السعود ، و رجحه الشوكاني ، والألوسي و قال به القنوجي ،

---

(١) سورة المدَّثر:٢٩.

(٢) التسهيل(٤/١٦١).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/١٥٩)، ولفظه قال : (تحرق بشرة الإنسان) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٨/٣٣٢) وعزاه لعبد بن حميد بنحوه.

(٤)أخرجه الطبري بسرده عنه " جامع البيان " (٢٩/١٥٩)، ولفظه قال : (تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل) . وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٨/٣٣٢) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد بمثله .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان "(٢٩/١٥٩)، ولفظه قال : (الجلد) . وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٨/٣٣٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٩/١٥٩)، ولفظه (تحرق بشره).

(٧)أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(٢٩/١٥٩)، ولفظه (حراقة للجلد).

(٨) معاني القرآن (٣ / ٢٠٣) ، و جامع البيان (٢٩/١٥٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٥ / ١٩٣) ،و بحر العلوم (٣/٤٩٤)، وتفسير القرآن (٥/٥٧)، ومدارك التنزيل (٤/٣١٠).

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٣٤) ، والوسيط (٤ / ٣٨٤) ، والمحرر الوجيز(٥/٣٩٥)، وغرائب القرآن (٦ / ٣٩٢).

والمراغي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [1].

قال أبو حيان : «﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور : معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسوّدة لها والبشر جمع بشرة وتقول العرب لاحت النار الشيء إذا أحرقته وسوّدته» [2].

وقال الشوكاني : « وقيل معنى ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أي : مغيرة لهم ومسوِّدة .قال مجاهد والعرب تقول : لاحهُ الحر والبرد والسقم والحزن إذا غيره .وهذا أرجح من الأول وإليه ذهب جمهور المفسرين ،ومنه قول الشاعر:

وتعجبُ هندٌ أن رأتني شاحبً ا تقولُ لشيءٍ لوّحتهُ السما ئ[3]» [4].

القول الثاني: أنَّ معنى " لواحة " أي : تلوح للناس من لاح إذا ظ هر . وهو قول الحسن [5]. و ممن ذكره الثعلبي ، والماوردي ، والزمخشري والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، وأبو حيان،وابن عادل ، والثعالبي ، والشربيني والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي [6] -رحمهم الله تعالى-.

القول الثالث: أنَّ اللوح شدة العطش والمعنى أنها معطشة للبشر ، قاله الأخفش ، وأورده الماوردي والسمعاني ، والقرطبي [7]- رحمهم الله - .

قال القرطبي : « وقيل: إن اللوح شدة العطش يقال لاحة العطش و لوحه أي غيره. والمعنى :أنها معطشة للبشر أي لأهلها قاله الأخفش ، وأنشد :

سقتني على لوحٍ من الماءِ شربةً سقاها بها اللهُ الرهامَ الغواديا .

---

(١) تفسير لباب التأويل (٦ / ٣١٦) ، و البحر المحيط ٣٦٧/٨ ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٤/٤)، و تفسير الجلالين(٧٧٧/١)، و إرشاد العقل السليم(٥٨/٩)، وفتح القدير(٣٢٧/٥)، وروح المعاني (١٢٥/٢٩)، وفتح البيان (١٤ / ٤١٢) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٢٥٣) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣١٢) .

(٢) البحر المحيط(٣٦٧/٨).

(٣) لم أقف على قائله .

(٤) فتح القدير (٣٢٧/٥).

(٥) المرجع السابق .

(٦) الكشف والبيان (٧٤/١٠)، والنكت والعيون (٦ / ١٤٣) ، والكشاف (٦٥٢/٤) ، والتفسير الكبير (١٧٨/٣٠) والجامع لأحكام القرآن(٧٨/١٩)، وأنوار التنزيل(٤١٥/٥)، و البحر المحيط(٣٦٧/٨)، واللباب (١٩ / ٥١٧) والسراج المنير (٨ / ١٧٣) ، و الجواهر (٣٦١/٤)، و فتح القدير(٣٢٧/٥)، و روح المعاني(١٢٥/٢٩) ، و فتح البيان (١٤ / ٤١٢) .

(٧) النكت والعيون (٦ / ١٤٣) ، و تفسير القرآن (٩٥/٦)، و الجامع لأحكام القرآن (٧٨/١٩).

يعني باللوح شدة العطش» [١].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن معنى " لواحة " أي ؛ مغيرة لألوانهم ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين [٢] ؛ لأن سباق الآية يدل عليه في قوله تعالى : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [٣]. يقال : صلي فلان بالنار يصلى صليا احترق قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ [٤]، فهذا الوصف لسقر يترتب عليه الإحراق وتغير ألوانهم لا مجرد الظهور. **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. جاء نظير هذا المعنى في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [٥].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت بدلناهم جلودا غيرها يعني غير الجلود التي قد نضجت فانشوت» [٦].

٢. أنَّ هذا الوصف أبلغ في تصوير عذاب المكذبين فقد جاء بصيغة المبالغة " لوّاحة " يقال : لَوَّحت الشمس فلاناً إذا غيرت لون جلده و سوَّدته [٧].(وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) [٨].
٣. تضافرت أقوال المفسرين سلفا وخلفا عليه . و (تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً) [٩]. والله تعالى أعلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧٨/١٩).
(٢) فتح القدير(٣٢٧/٥).
(٣)سورة المدّثر : ٢٦ .
(٤) لسان العرب (٤٦٧/١٤).
(٥) سورة النساء:٥٦ .
(٦) جامع البيان (١٤٢/٥).
(٧) تاج العروس (١٠٣/٧) ، ومقاييس اللغة(٢٢٠/٥).
(٨) قواعد التفسير (١ / ٣٥٦) .
(٩) قواعد التفسير (٢ / ٨٠٤) .

قول الله – ﷻ – : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[1].

❁ (٥٢)مسألة :في المراد بالتسعة عشر المذكورين في الآية.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بقوله تعالى :﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ملكٌ من خزنة جهنم .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : « فقيل :هم تسعة عشر ملكاً ، وقيل : تسعة عشر صفلًّمن الملائكة ، والأولُ أشهر» [2].

العرض و المناقشة:

اختُلف في المراد بالتسعةَ عشرَ على أربعة أقوال وهي :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ ،وهو قول ابن عباس[3]– ﷺ – . وقال به الطبريُّ و الزجاج الزجاج واقتصر عليه أبو الليث ، والواحدي ، و السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية وابن الجوزي ، والقرطبي و وافقهم الخازن ، وأبو حيان ، وجلال الدين المحلي ، والثعالبي و الشربيني ، والشوكاني ، والقنوجي والسعدي[4]– رحمهم الله تعالى – .

قال أبو حيان : « التمييزُ محذوفٌ ، والمتبادر إلى الذّهن أنه ملك . ألا ترى العرب ، وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد ملك حين سمعوا ذلك ؟» [5].

القول الثاني : أنَّ هؤلاء التسعةَ عشرَ هم الرؤساء و النقباء . أورده الثعلبي ، والزمخشري ،والقرطبي

(١) سورة المدثّر : ٣٠ .

(٢) التسهيل (١٦١/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٥٩/٢٩)، ولفظه (﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ إلى قوله : ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش : ثكلتكم أمهاتكم أسمع بن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يأتي أبا جهل فيأخذه بيده في بطحاء مكة فيقول له : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ فلما فعل ذلك به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال أبو جهل : والله لا تفعل أنت وربك شيئا فأخزاه الله يوم بدر) .

(٤) جامع البيان (١٥٩/٢٩) ، ومعاني القرآن للزجاج (٥ / ١٩٣) ،و بحر العلوم (٤٩٤/٣) ، والوسيط (٤ / ٣٨٤) ، وتفسير القرآن (٩٥/٦) ، و معالم التنزيل (٤١٧/٤) ، والمحرر الوجيز (٣٩٦/٥) ، و زاد المسير (٤٠٧/٨) ، و الجامع لأحكام القرآن (٧٩/١٩) ، ولباب التأويل(٦ / ٣١٦) ، والبحر المحيط (٣٦٧/٨) ، وتفسير الجلالين (٧٧٧/١) ، و الجواهر الحسان (٣٦١/٤) ، والسراج المنير (٨ / ١٧٣) ، وفتح القدير (٣٢٨/٥) ، وفتح البيان (١٤ / ٤١٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٧/١) .

(٥) البحر المحيط (٣٦٧/٨).

والنسفي ، وأبو حيان ، والشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني [1]- رحمهم الله تعالى.

القول الثالث: أنهم تسعة عشر صفًا من الملائكة .ذكره الثعلبي ، والرازي ، وأبو السعود والشوكاني [2]- رحمهم الله -.

القول الرابع : تسعة عشر صنفًا من الملائكة .أورده الثعلبي ، والزمخشري ، والرازي ،والبيضاوي والنسفي ، والقمي النيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السع ود ،والشوكاني [3]- رحمهم الله تعالى - .

الترجيح

الأقرب إلى الصواب – والله تعالى أعلم- ردُّ حقيقة هذا العدد إلى علّام ا لغيوب ، فإن الله – عز وجل – أخبر أنهم من الملائكة كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[4]والنصوص من الكتاب والسنة بينت أنهم ملائكة ، ولكن هل هم تسعة عشر ملكا فرداً ؟ أو صفا ؟ أو صنفا ؟ ، و (الأصل أن ما أبهم في القرآن فلا طائل لمعرفته)[5].

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني – رحمه الله تعالى – : « لم يرد بيان صريح عن الرسول – ﷺ – في هذا الأمر ، وإن كان الظّاهرُ ممَّا ورَدَ من تعليقات المشركين على ه ذا العدد أنّهم تسعةَ عشرَ ملكًا فردًا .

أمَّا المؤمنونَ بما جاء عن الله على لسان رسول الله – ﷺ – ، فلا يجدونَ أيَّ إشكالٍ حول أي بيان عن الله – عز وجل – في بيان أعداد المكلفين من الملائكة للقيام بأعمالٍ يأمرُهم الله بها ، فلو كان المكلف ملكاً واحداً لكان كافياً في تصورهم الإيماني للقيام بكل ما يأمُره الله به من أعمالٍ جليلةٍ ... » [6]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) الكشف والبيان (٧٤/١٠) ، و الكشاف (٤/ ٦٥٢) ، و الجامع لأحكام القرآن (٧٩/١٩) ، ومدارك التنزيل (٢٩٦/٤) ، و البحر المحيط (٣٦٧/٨) ، والسراج المنير (٨ / ١٧٣) ، و إرشاد العقل السليم (٥٩/٩) ، و فتح القدير (٣٢٨/٥) .

(٢) الكشف والبيان (٧٤/١٠) ، و التفسير الكبير(١٧٩/٣٠) ، وإرشاد العقل السليم (٥٩/٩) ، و فتح القدير (٣٢٨/٥) .

(٣) الكشف والبيان (٧٤/١٠) ، و الكشاف (٦٥٢/٤) ، والتفسير الكبير (١٧٩/٣٠) ، و أنوار التنزيل (٤١٥/٥) و ومدارك التنزيل (٣١٠/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٣٩٢) ، وإرشاد العقل السليم (٥٩/٩) ، و فتح القدير (٣٢٨/٥) .

(٤) سورة المدثر : ٣١ .

(٥) يُنظر : قواعد التفسير (٢ / ٧١٩) .

(٦) معارج التفكر (١ / ١١٢) .

قول الله – ﷻ– : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾[1].

❁ (٥٣)مسألة : في إعراب ﴿ لِمَن شَآءَ ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " من " بدل من البشر بإعادة العامل . والمعنى : أن البشر متمكنون من التقدم والتأخر .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : « و ﴿ لِمَن شَآءَ ﴾ بدل من البشر . أي : هم متمكنون من التقدم والتأخر . وقيل : معناه الوعيد كقوله :﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [2]. وعلى هذا أعرب الزمخشري أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره . والأول أظهر» [3] .

العرض و المناقشة:

اختُلف في إعراب" لمن شاء " على وجهين :

الوجه الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للطبري ، و وافقهما أبو حيان ، و جلال الدين المحلِّي واقتصر عليه الشربيني ، وقدمه أبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، وابن عاشور [4] – رحمهم الله –

قال الطبري : « وقوله :﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾يقول تعالى : ذكره نذيرا للبشر لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر في معصية الله » [5].

وقال أبو حيّان : « والظاهر أن﴿لِمَن﴾ بدل من البشر بإعادة الجار وأن يتقدم منصوب بشاء ضم ير يعود على من» [6].

---

(١) سورة المدَّثر:٣٧.

(٢)سورة الكهف : ٢٩.

(٣) التسهيل (١٦٢/٤).

(٤) جامع البيان (١٦٤/٢٩)، و البحر المحيط(٣٧٠/٨)، وتفسير الجلالين(٧٧٧/١)، و السراج المنير (٨ / ١٨٧) ، و إرشاد العقل السليم (٦١/٩)، وفتح القدير (٣٣١/٥)، وروح المعاني (١٣١/٢٩) ،والتحرير والتنوير (١٢ /٣٢٣).

(٥)جامع البيان (١٦٤/٢٩)

(٦)البحر المحيط(٣٧٠/٨)

الوجه الثاني : أن يكون ﴿لِمَن شَآءَ﴾ خبرا مقدما ، و " أن يتقدم " مبتدأ مؤخر . قاله الزمخشري وجوزه البيضاوي ، وابن عاشور [1]- رحمهم الله -.

قال الزمخشري : «﴿ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدّم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدّم أو التأخر أن يتقدّم أو يتأخر والمراد بالتقدّم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [2]»[3].

قال ابن عاشور : « ويجوز أن يقدر : لمن شاء أن يتقدم إليها ، أي إلى سَقَر بالإِقدام على الأعمال التي تُقدمه إليها ، أو يتأخر عنها بتجنب ما من شأنه أن يقربه منها» [4].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن " لمن شاء " بدل من البشر ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ لأن الخطاب في "نذيرا " للغائب ثم انتقل للمخاطب لإيقاظ نفسه في تحمل نتيجة اختياره فمن شاء التقدم إلى أسباب الهلاك تقدم ، ومن شاء أن يتأخر إلى مواقع النجاة والعمل الصالح تأخر باختياره . و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١)الكشاف (٦٥٥/٤) ، و أنوار التنزيل (٤١٧/٥) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٢٣).

(٢) سورة الكهف :٢٩.

(٣) الكشاف (٦٥٥/٤).

(٤)التحرير والتنوير (١٢ /٣٢٣).

قول الله – عز وجل – :﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[1] .

❁ (٥٤)مسألة : في فاعل" شاء ".

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ فاعل "شاء" ضمير يعود على " من " أي : من أراد أن يتذكر ذُ كِر بالقرآن ، وهو حضّ وترغيب لهم في التَذكُّر .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فاعل شاء ضمير يعود على من وفي ذلك حض وترغيب . وقيل : الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في فاعل " شاء " على قولين :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للطبري ، وقال به مكي بن أبي طالب ، و السمعاني والزمخشري ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، و وافق هم أبو السعود ، ورجحه الشوكاني و اقتصر عليه الألوسي ، وقدّمه ابن عاشور[3]– رحمهم الله – .

قال الإمام الطبري : « وقوله : ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾يقول تعالى ذكره : فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره فاتعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه»[4].

وقال مكي بن أبي طالب : « أي : فمن شاء من عباد الله – الذين ذكرهم بهذا القرآن — ذكره فاتعظ به واستعمل ما فيه» [5].

---

(١)سورة المدَّثر:٥٤ .

(٢) التسهيل (١٦٣/٤).

(٣) جامع البيان(١٧٢/٢٩) ، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٥٢) ،و تفسير القرآن(٩٩/٦)، والكشاف(٦٥٨/٤)، وزاد المسير(٤١٤/٨) ، و أنوار التتريل (٤١٨/٥) ، و إرشاد العقل السليم (٦٣/٩) ، وفتح القدير (٣٣٣/٥) وروح المعاني (١٣٥/٢٩)، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٣٢).

(٤) جامع البيان (١٧٢/٢٩).

(٥)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٥٢).

القول الثاني : أنَّ فاعل " شاء " عائد على الله تعالى . قال به ابن عطية ، وتبعه الثعالبي [1]– رحمهم الله –.

قال ابن عطيّة : « فمن شاء وفقه الله تعالى ؛ لذلك ذكر معاده فعمل له ثم أخبر تعالى أنَّ ذكرَ الإنسانُ معادَه وجريَ إلى فلاحِهِ إنما هو كلُّهُ بمشيئة الله تعالى وليس يكون شيء إلا بها »[2].

الترجّيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ فاعل " شاء " يعود على " من " ، وهو ما رجَّحه ابن جُزي ومن معه ؛ لأن (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك) [3].

حيث أخبر – ﷻ – عن إعراض المجرمين لقبول الحق ونفورهم منه وكان الداعي لهم أمران :

أحدهما : الكبر الذي انطوت عليه نفوسهم بأن يُؤتى كل واحد من زعمائهم صحفا منشرة.

والآخر : إنكارهم لليوم البعث والجزاء والحساب .

وردَّ الله تعالى رادعا لهم ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وهو بيان لأهم مقاصد القرآن وهو التذكر والانتفاع به كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [4]. وجعل لهم مطلق الحرية في تذكرهم به دون قسر ولا جبر ، ثم جعل حرية اختيار هم بعد مشيئة الله تعالى وحكمته. **ويؤيده** :

أنَّ إثبات مشيئة الله تعالى قد ذك ر في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [5])) . فكانت المشيئة الأولى للعبد ، وهي مشروطة بمشيئة الله تعالى . (وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) [6]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) المحرر الوجيز(٤٠٠/٥)، و الجواهر الحسان (٣٦٤/٤).

(٢) المحرر الوجيز (٤٠٠/٥).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) سورة ص:٢٩ .

(٥) سورة الإنسان:٣٠.

(٦) قواعد الترجيح (٢ / ٣٧٣) .



سادساً : سورة القيامة

قول الله – ﷻ – : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1].

❁ (٥٥)مسألة : في معنى " لا "

ترجِّيح ابن جُزيٍّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " لا " زائدة لتأكيد القسم.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ في الموضعين معناه أقسم "ولا"زائدة؛ لتأكيد القسم. وقيل: هي استفتاح كلام بمترلة "ألا"، وقيل: هي نفي لكلام الكفار»[2].

العرض والمناقشة:

للمفسرين في معنى " لا " أربعة أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزي موافقًا لابن أبي زمنين[3]، وقدمه أبو الليث ، والثعلبي وقال به البيضاوي [4]، ووافقهم ابن كثير ، وجلا ل الدين المحلِّي، وصدَّر به أبو السعود والثعالبي و الشوكاني أقوالهم ، واختاره عطية سالم –رحمهم الله تعالى– [5].

قال ابن كثير : «وقد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفيا جاز الإتيان بـــ "لا" قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ولهذا قال تعالى : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾» [6] .

القول الثاني : أن " لا " نافية . واختلفوا في هذا المنفي على قولين :

الأول : أنَّها نافية لكلامٍ تقدم ، كأنَّ الكفَّار ذكروا شيئاً ، فقيل له م : " لا " ثم ابتدأ الله قسماً . قاله

---

(١) سورة القيامة :١ .

(٢) التسهيل (١٦٣/٤).

(٣) تفسير القرآن العزيز (٦٣/٥).

(٤) بحر العلوم (٤٩٨/٣) ،و الجواهر الحسان (٣٦٥/٤) ،و أنوار التتريل (٤١٩/٥) .

(٥) القرآن العظيم (٤٤٨/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٧٨/١) ، و إرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وفتح القدير (٣٣٥/٥) ،و أضواء البيان (٣٧٠/٨) .

(٦) القرآن العظيم (٤٤٨/٤)

الفراء[1] ، و اختاره الإمام الطبري ، و الزركشي-رحمهم الله تعالى- [2].

قال الطبري :«وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال :إن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، وجعل "لا"ردًا لكلام قد كان تقدمه من قوم وجواباً لهم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب؛لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم، إذا قال أحدهم: "لا والله لا فعلت كذا" أنه يقصد بـ "لا" رد الكلام، وبقوله و"الله" ابتداء يمين، وكذلك قولهم: "لا أقسم بالله لا فعلت كذا "،فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا ، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جارياً مجراه ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له» [3].

وهذا القول عليه إشكال في إعادة حرف النفي مرة أخرى في قول الله تعالى ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[4]فلم يرد ما أثبت لنفيه.

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله – معقباًعليه : «وقيل :إن هذا الوجه وإن قال به كثير من العلماء إلا أنه ليس بوجيه عندي لقوله تعالى في سورة القيامة :﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ ؛لأن قوله : ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ يدل على أنه لم يرد الإثبات المستأنف بعد النفي بقوله :﴿أُقۡسِمُ ﴾ » [5].

القول الثاني : أنَّ "لا " للنفي على وجه إعظام ا لمقسَم به، والمعنى : كأنه قال : أنا لا أعظمه بالقسم فهو معظم بغير القسم ، هو المختار عن الزمخشري ، ورجحه الرازي ، وقال به ابن عاشور- رحمهم الله تعالى- [6].

قال الرازي : «أنَّ " لا " هاهنا لنفي القسم ،كأنه قال: لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ولكني أسألك غير مقسم أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك وهذا القول اختيار أبي مسلم [7]وهو الأصح» [1].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٢) جامع البيان (١٧٣/٢٩،١٧٤) ، و البرهان في علوم (٧٤/٣).

(٣) جامع البيان (١٧٣/٢٩ ، ١٧٤).

(٤) سورة القيامة:٢ .

(٥) أضواء البيان (٣٧١/٨).

(٦) الكشاف (٦٥٩/٤ ،٦٦٠) ، و التفسير الكبير (١٩٠/٣٠) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٣٨).

(٧) محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم ،من أهل أصفهان . وُلد سنة (٢٥٤هـ).معتزلي.من كبار الكتاب.كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر. من كتبه (جامع التأويل ، الناسخ والمنسوخ). تُوفي سنة (٣٢٢ هـ).
يُنظر : معجم الأدباء (٢٣٩/٥) ، وبغية الوعاة (٥٩/١) ، و الأعلام (٦ / ٥٠).

وهذا القول قائم على التقدير ، والقول بعدمه أولى.

القول الثالث: أن " لا" ليست زائدة ولا منفية ، بل هي أداة تنبيه لاستفتاح الكلام و الاهتمام بما بعدها، رجحه السعدي[٢] وممن أورده ابن عطية ، والسمعاني – رحمهما الله تعالى- [٣].

قال السعدي – رحمه الله – « ليست "لا " ههنا نافية ، ولا زائدة . وإنما أُتى بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها ولكثرة الإتيان بها مع اليم ين لا يستغرب الاستفتاح بها وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح فالمقسم به في هذا الموضع هو المقسم عليه وهو البعث بعد الموت وقيام الناس من قبورهم ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم» [٤].

القول الرابع : ذهب أبو حيَّان أنَّ " لا " أصلها " لام أشبعت فتحتها فأصبحت ألفا حيث قال : «والأولى عندي أنها لام أشبعت فتحتها ،فتولدت منها ألف ،كقوله: أعوذ بالله من العقراب» [٥] .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن " لا " زائدة لتأكيد القسم، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهرة المفسرين [٦]؛ لشيوع هذا الاستعمال في لغة العرب ، و (القرآن عربي فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها) [٧]**.ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. النظائر القرآنية : كما في قول الله – ﷻ -: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾[٨]، يعني أن تتبعني ، وقول الله تعالى :﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٩]أي : أن يعلم .

٢. جاءت به أشعار العرب ، ومنه قول امرؤ القيس:

---

(١) التفسير الكبير (٣٠/١٩٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/٨٩٨).

(٣) تفسير القرآن (٦/١٠١)، والمحرر الوجيز(٥/٤٠١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/٨٩٨).

(٥) البحر المحيط (٨/٢١٢).

(٦) أضواء البيان (٨/٣٧٠).

(٧) قواعد التفسير (١ / ٢٣٢).

(٨) سورة طه: ٩٢-٩٣ .

(٩) سورة الحديد:٢٩ .

لا وأبيكِ ابنةَ العامريِّ لا يدعي القومُ أني أفرُّ [1]»[2].

٣. لقد بلغ القرآن في فصاحته وبلاغته ما أعجز أهل اللسان والصنعة أن يعارضوه، وإذا كان كذلك فلا يتصور كل ذي عقل حصيف أن في القرآن ما لا فائدة فيه ، فالقول بالزيادة معناه: إن أصل المعنى متحقق بدونه، دون التأكيد، فبوجوده حصل التأكيد .

قال السيوطي-رحمه الله تعالى-: « وفائدتها مع التوكيد التمهيد ؛لنفي الجواب، والتقدير: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لا يتركون سدى ، ومثله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[3]،ويؤيده قراءة لأقسم »[4][5]، و (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)[6].

٤. جاء فعل القسم مقروناً بـــ " لا " في مواضع عدة: وفائدته تقوية المقسم عليه، وشدة انتفائه ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[7]، ثم قال بعده : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[8] .

قال ابن القيم — رحمه الله – : « فإنه لما كان المقصود بهذا القسم نفي ما قاله الكفار في القر آن من أنه شعر أو كهانه أو أساطير الأولين صدَّر القول بأداة النفي، ثم أثبت له ما قالوه، فتضمنت الآية أن ليس الأمر كما يزعمون ولكنه قرآن كريم »[9]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) خزانة الأدب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٣٦١/١) ، وتاج العروس (٢٢٠/٨).

(٢) أنوار التنزيل(٤١٩/٥) .

(٣) سورة النساء:٦٥ .

(٤)الإتقان في علوم القرآن (٥٠١/١) .

(٥) قرأ قنبل عن ابن كثير (لأقسم) بغير ألف بين اللام والقاف ، والثانية بلام وألف﴿لَآ أُقۡسِمُ ﴾.، والباقون بألف في الموضعين.
يُنظر : السبعة في القراءات (٦٦١/١) ، التيسير في القراءات السبع (٢١٦/١).

(٦) قواعد التفسير (٣٥٦/١).

(٧) سورة الواقعة:٧٥ .

(٨) سورة الواقعة:٧٦ .

(٩) زاد المهاجر (٢٨/١) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1].

❁ (٥٦)مسألة : في المراد بالنَّفس اللوَّامة.

ترجِّيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ النَّفس اللوَّامة هي نفس المؤمن التي تلوم صاحبها على الخير ، والشر .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « "النفس اللوَّامة"هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات ، فإن النفوس على ثلاثة أنواع : فخيرها النفس المطمئنة ،وشرها النفس الأمارة بالسوء ، وبينهما النفس اللوَّ امة . وقيل: اللوَّامة هي المذّ مومة الفاجرة ، وهذا بعيد ؛لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ،ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن عباس[3] – ﷺ – ،و قال به سعيد بن جبير [4] [4] ومجاهد [5]، وعكرمة [6] .

واختاره الطبري، واقتصر عليه ابن زمنين، و قال السمعاني بأنه الأصح [7]، وصدَّره الزمخشري والقرطبي والقرطبي والنسفي [8]، و وافقهم أبو حيَّان ، وقال به جلال الدين المحلِّي وأبو ا لسعود وذهب إليه الشوكاني والألوسي، والقنوجي، وابن عاشور[9] — رحمهم الله تعالى – .

---

(١) سورة القيامة:٢ .

(٢) التسهيل (١٦٣/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٧٤/٢٩)، ولفظه قال :(هي النفس اللؤم) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٧٤/٢٩) ، ولفظه قال : (تلوم على الخير والشر) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٧٤/٢٩) ، ولفظه قال : (تندم على ما فات وتلوم عليه) ، و ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٤٣/٨) ،وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٧٤/٢٩) ، ولفظه قال : (تلوم على الخير والشر) .

(٧) جامع البيان(٢٩ / ١٧٤) ، تفسير القرآن العزيز (٦٣/٥) تفسير القرآن (١٠٢/٦).

(٨) الكشاف (٦٦٠/٤) ،و الجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩) ،و مدارك التنزيل (٤ / ٣١٣).

(٩) البحر المحيط (٣٧٥/٨) ،وتفسير الجلالين (٧٧٩/١) ، وإرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وفتح القدير (٣٣٥/٥) وروح المعاني (١٣٦/٢٩) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٣٣) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٣٨) .

قال الإمام الطبري :«وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات»[1].

القول الثاني:النفس اللوَّامة هي المذّمومة الكافرة . وهو قول ابن عباس [2]- ﷺ - ، وقال به قتادة [3].وأورده الطبري، والثعلبي ، والماوردي ، والسمعاني ،والبغوي ،والزمخشري ،وابن عطية وابن الجوزي والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبي حيان وابن كثير ، وابن عادل والثعالبي ، والشربيني ، وأبي السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي-رحمهم الله تعالى - [4].

وحجة هذا القول ؛ أنَّ الله تعالى أقسم بيوم القيامة ، ولم يُقسم بالنفسِ اللوَّامة تحقيراً لها؛ لأن النفس اللوامة إمَّا أن تكون كافرة بالقيامة مع عِظَم أمرها ، وإمَّا أن تكون فاسقة مقصرة في العمل ، وعلى التقديرين فإنها تكون مستحقرة .

والصحيح الذي عليه الجمهور أن الله تعالى أقسم بهما جميعًا ، وهو المروي عن قتادة [5]، وقال به الطبري ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن كثير ، والثعالبي-رحمهم الله تعالى- [6].

القول الثالث: أنَّ جميع النفوس تلوم نفسها .قاله الفراء[7]، وأبو الليث، وابن القيم والسعدي [8]-

---

(١) جامع البيان (٢٩/ ١٧٥) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١٧٥/٢٩) ، ولفظه (يقول المذمومة)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٣/٨) ونسبه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (١٧٥/٢٩)، ولفظه (ولا أقسم بالنفس اللوامة أي الفاجرة) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٢/٨) ، و عزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٤) جامع البيان (١٧٥/٢٩) ،والكشف والبيان (٨٢/١٠) ،والنكت والعيون (٤ / ١٥١) ، وتفسير القرآن (١٠٢/٦) ومعالم التنزيل (٤ص٤٢١)،والكشاف(٦٦٠/٤) ، والمحرر الوجيز (٤٠٢/٥) ،وزاد المسير(٤١٦/٨) ،والتفسير الكبير (١٩١/٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩) ، وأنوار التنزيل (٤١٩/٥) ومدارك التنزيل(٤ / ٣١٤) ،ولباب التأويل(٦/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٣٧٥/٨)، والقرآن العظيم (٤٤٩/٤) ، واللباب (١٩/ ٥٤٥)، والجواهر الحسان (٣٦٥/٤)، والسراج المنير (٨ / ١٨٤) ،وإرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وفتح القدير (٣٣٥/٥) ، وروح المعاني (١٣٦/٢٩)، وفتح البيان (١٤/ ٤٣٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان "(١٧٣/٢٩) ، ولفظه قال :(أقسم بهما جميعا) .

(٦) تفسير جامع البيان(١٧٣/٢٩)، الكشف والبيان (٨١/١٠) ،معالم التنزيل(٤٢١/٤) ،تفسير القرآن العظيم(٤٤٨/٤) تفسير الجواهر الحسان(٣٦٥/٤).

(٧) معالم التنزيل(٤٢١/٤).

(٨) بحر العلوم (٤٩٨/٣) ،وتفسير الكريم الرحمن (٨٩٨/١).

رحمهم الله -.

وذكره الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والقمي النيسابوري ، والخازن ، والسمين ، وابن كثير ، وأبي السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والمراغي- رحمهم الله تعالى - [1].

قال الفرَّاء : «ليس من نفس بَرّة ولا فاجرة إلاّ وهى تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً قالت : هلا ازددت ! وإن كانت عملت سُوءًا قالت: ليتنى قصرت. ليتنى لم أفعل![2]

وقال ابن القيِّم : «والأظهر أنَّ المراد نفس الإنسان مطلقًا ، فإن نفس كل إنسان لوامة .كما أقسم بجنس النفس في قوله : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[3] فإنَّ لا بدّ لكل إنسان أن يلوم نفسه أو غيره على أمره... وكل نفس لوامة فالنفس السعيدة تلوم على فعل الشر وترك الخير فتبادر إلى التوبة والنفس الشقية بالضد من ذلك»[4].

ورُدَّ هذا القول؛ لأن اللوم لا يكون محلا للإقسام إن صدر عن النفس المؤمنة فالكافرة من باب أولى .

قال أبو السعود : «ولا يخفى ضعفه فإن هذا القدر من اللوم لا يكون مدارًا للإعظام بالإقسام،وإن صدر عن النفس المؤمنة المسيئة ،فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس» [5].

القول الثالث : المراد بالنفس " نفس آدم – عليه السلام- " لم تزل تلومه على فعلها .ذكره الزمخشري وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، و النسفي ، وابن عادل ، والشربيني ، وأبي السعود ، والألوسي والقنوجي- رحمهم الله تعالى- [6].

---

(١) الوسيط (٤ /٣٩٠) ،وتفسير القرآن (١٠٢/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢١/٤) ، و زاد المسير (٤١٦/٨) ، و التفسير الكبير (١٩١/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩)، و أنوار التنزيل (٤١٩/٥) ،و غرائب القرآن (٦ /٣٩٩) ، و لباب التأويل (٦ / ٣٢٣) ، وعمدة الحفاظ (٤/ ٥٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ،و فتح القدير(٣٣٥/٥) ، وروح المعاني (١٣٦/٢٩)، وتفسير المراغي (٢٦٣/١٠).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٨).

(٣) الشمس:٧ -٨.

(٤)التبيان في أقسام القرآن (١١/١).

(٥) المرجع السابق (٦٤/٩).

(٦) الكشاف (٦٦٠/٤)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٠٢/٥) ، و التفسير الكبير (١٩١/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٩) ، ومدارك التنزيل (٢٩٩/٤) ، واللباب في علوم الكتاب (٥٤٥/١٩) ، والسراج المنير (٨/ ١٨٤) و إرشاد العقل السليم (٦٤/٩) ، وروح المعاني (١٣٦/٢٩)، وفتح البيان (٣٣٤/١٤).

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ النفس اللوَّامة هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب والتقصير في الطاعات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، لأن الله تعالى أقسم بها ،و (إقسامه تعالى بشيء من مخلوقاته دليل على عظم منزلة المقسم به)[1].

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني – رحمه الله تعالى – : «والنفس اللوامة باعثٌ فطريٌّ يهدي صاحب البصيرة المنصف إلى قانون الجزاء الرَّبَّانيّ ، وهو يأخذُ بأسبابِ الفكر إلى الإيمان باليوم الآخر للحساب وفصل القضاء ، وتحقيق الجزاء . فإيجاد النفس اللوامة داخل الإنسان أمرٌ عجيب ، يستحقُّ أن يُقسم اللهُ به ؛لأنه أمر من الخلق عظيم و؛لأن في القسم بها توجيه نظر فكر الإنسان لها ، لتهدِيَهُ إلى قانون الجزاء الرَّبَّانيّ»[2] . **ومما يؤيده :**

أَّن الاختلاف بين نفس الكافر ونفس المؤمن في مفهوم الجزاء والحساب ليدلنا إلى أن المراد بالنفس جنس النفس المؤمنة ؛لأنها مدارٌ للإقسام بها ، بخلاف النفس الكافرة المنكرة للجزاء والحساب، فهي ماضية قدماً في شهواتها ،وملذاتها، باعتبار أن لا حياة إلا الحياة الدنيا ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[3] و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[4]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) قواعد التفسير (١ / ٤٧٤).

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر (٢ / ٤٦٩) .

(٣) سورة الجاثية:٢٤ .

(٤) قواعد التفسير(١ / ١٢٥).

قول الله – ﷻ – : ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [1].

❁ (٥٧)مسألة : في المراد بتسوية البنان.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بتسوية البنان خلقها بعد فنائها مستوية متقنة .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «البنان الأصابع ، وفي المعنى قولان:

أحدهما : أنّ إخبار بالقدرة على البعث أي : قادرين على أن نسوي أصابعه ، أي: نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خصَّ الأصابع دون سائر الأعضاء ؛لدقة عظامها ،وتفرقها .

والآخر: أنَّ تهديد في الدنيا أي : قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كـ "يد الحمار" وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه. والأول أليق بسياق الكلام» [2].

العرض والمناقشة:

للمفسرين في تسوية البنان قولان وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لابن قتيبة ، و قدَّمه الزمخشري والقمي النيسابوري [3] وأظهره ابن عطية ، والرازي ، والقرطبي [4]، واقتصر عليه النسفي ، ووافقهم الخازن بقوله أقرب إلى الصواب[5] ، واستظهره أبو حيَّان ،وقال به ابن كثير ، و جلال الدين المحلّي، وأبو السعود [6]، ورجحه الثعالبي ، وابن عادل، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي وابن عاشور وعطية سالم[7] – رحمهم الله–

قال ابن عطية : «والبنان الأصابع فكان الكفار لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والإرمام . قيل: لهم إنما تجمع ويسوى أكثرها تفرقاً وأدقها أجزاء وهي عظام الأنامل ومفاصلها ، وهذا كله عند البعث .

(١) سورة القيامة:٤.

(٢) التسهيل (١٦٤/٤).

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٤٦) ، والكشاف (٦٦١/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤٠٠).

(٤) المحرر الوجيز (٤٠٢/٥) ،و التفسير الكبير (١٩٢/٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن(٩٤/١٩).

(٥) مدارك التنزيل (٣١٤/٤) ،ولباب التأويل(٦ / ٣٢٤).

(٦) البحر المحيط (٣٧٦/٨)،و تفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١) ،وإرشاد العقل السليم (٦٥/٩).

(٧) الجواهر الحسان (٣٦٥/٤) ، واللباب (١٩ / ٥٤٧) ،وفتح القدير (٣٣٦/٥)، وروح المعاني (١٣٨/٢٩) ، وفتح البيان (١٤ / ٣٣٦) ، والتحرير والتنوير(٣٤٠/١٢)، وأضواء البيان (٣٧٢/٨).

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: ﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ معناه: نجعلها في حياته هذه بضعة أو عظمًا واحدًا كخف البعير لا تفاريق فيه . فكان المعنى قادرين؛ لأن في الدنيا على أن نجعلها دون تفرق فتقل منفعته بيده . فكان التقدير: بلى نحن أهل أن نجمعها قادرين على إزالة منفعة بيده ففي هذا توعدٌ مَّا .والقول الأول أحرى مع رصف الكلام...»[1].

القول الثاني : ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ﴾ أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كـ"يد الحمار" وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه ، وهذا تهديد في الدنيا . وهو قول ابن عباس[2] -رضي الله عنه- ، وقال به عكرمة [3]، والحسن[4] ومجاهد [5]، وقتادة [6]والضحاك [7] .

واختاره الطبري [8]، وقدَّمه الثعلبي ، والبغوي[9] ، وذهب إليه السمعاني[10] -رحمهم الله تعالى-

قال الطبري : «وقوله: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[11]يقول تعالى ذكره أيظن بن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟! ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ على أعظم من ذلك أن نسوي بنانه ،وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئاً واحداً كخف البعير ،أو حافر الحمار ، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها ويتناول ،ويقبض إذا شاء ويبسط فحسن خلقه »[12].

---

(١)المحرر الوجيز (٤٠٢/٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٧٥/٢٩) ،ولفظه قال : (أنا قادر على أن أجعل كفه مجمرة مثل خف البعير)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٤٣/٨) ، ونسبه لسعيد بن منصور عنه ، ولفظه (نجعلها كفا ليس فيه أصابع).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (١٧٥/٢٩) ، ولفظه قال : (على أن نجعله مثل خف البعير أو الحمار) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (١٧٥/٢٩) ، ولفظه قال : (جعلها يدا وجعلها أصابع يقبضهن ويبسطهن ولو شاء لجمعهن فاتقيت الأرض بفيك ولكن سواك خلقا حسنا) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (١٧٦/٢٩)، ولفظه (رجليه قال كخف البعير فلا يعمل بهما شيئا) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٤٣/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " المرجع السابق" (١٧٦/٢٩) ، ولفظه (قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة أو كخف البعير ولو شاء لجعله كذلك فإنما ينقي طعامه بفيه).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه: المصدر السابق (١٧٦/٢٩)، ولفظه قال : (البنان الأصابع يقول نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خف البعير) ، وذكره السيوطي في" الدر المنثور" (٣٤٣/٨) ، ونسبه لابن جرير وابن المنذر.

(٨)جامع البيان(١٧٥/٢٩).

(٩) الكشف والبيان (٨٣/١٠) ، ومعالم التنزيل (٤٢١/٤).

(١٠)تفسير القرآن (١٠٣/٦).

(١١) سورة القيامة : ٣ .

(١٢)جامع البيان (١٧٥/٢٩).

الترجيح

الراجح – والله أعلم بالصواب – حمل المعنى على القولين ، بأن تسوية البنان بخلقه متقناً بعد فنائه يكون في الآخرة .وتسويته بجعله شيئاً واحداً مستوياً لا ينتفع به تهديد في الدنيا ، فلكل قول ما يؤيده :

فالقول الأول : يؤيده السياق. فسبق الآية يصف تصور المنكر للبعث باستحالة رجوع العظام بعدما صارت رفاتاً خلقا آخر ، فجاء الرد بنفي ذلك التصور ، وإثبات ضده من تمام القدرة في الخلق والإيجاد.

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : «السياق في إنكار البعث واستبعاده ومجيء نظير ذلك في سورة "يس" يرشد إلى أن سبحانه قادر بعد موت العبد وتلاشيه في التراب وتحول عظامه رميمًا فهو قادر على أن يعيده تمامًا كما أنشأه أول مرة ، ومن ضمن تلك الإعادة أن يسوي بنانه أي يعدلها و ينشؤها كما كانت أول مرة والعلم عند الله تعالى» [(١)].

وهو مُحتفٌّ بالنظائر القرآنية نحو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [(٢)]، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [(٣)]، وقال تعالى ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [(٤)]. فمن قدر على الإيجاد الأول ، فهو قادر على الإعادة من باب أولى.

والقول الثاني : تسوية بنانه بعد تفرقها بجعله مستوياً لا ينتفع به حاصل في الدنيا ، وفيه دليل على مخاطبة الكافر بشيء محسوس من خلقه كما خاطبه بما يراه من ظواهر طبيعية من نفس بيئته . قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [(٥)] ويؤيده: أنَّ توافرت عليه عبارات الجمهور [(١)] .

---

(١) أضواء البيان (٣٧٢/٨) .

(٢) سورة يس:٧٨ .

(٣) سورة يس:٧٩ .

(٤) سورة عبس: ١٧ –٢٣ .

(٥) سورة الغاشية:١٧ – ٢٠ .

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى – في حمل المعنى على القولين : « وهما وجهان حسنان وكل منهما له ترجيح من وجه ، فيرجح الأول : أنه هو المقصود وهو الذي أنكره الكفار ، وهو إجراء على نسق الكلام و اطراده؛ ولأن الكلام لم يسق لجمع العظام وتفريقها في الدنيا وإنما سبق لجمعه ا في الآخرة بعد تفرقها بالموت، ويرجح القول الثاني : – ولعله قول جمهور المفسرين حتى أن فيهم من لم يذكر غيره وأنَّ استدلال بآية ظاهرة مشهورة – وهي تفريق البنان مع انتظامها في كف واحد ، وارتباط بعضها ببعض فهي متفرقة في عضو واحد يقبض منها واحدة ويبسط أخرى ،ويحرك واحدة والأخرى ساكنة ويعمل بواحدة والأخرى معطلة، وكلها في كف واحد قد جمعها ساعد واحد، فلو شاء سبحانه لسواها فجعلها صفة واحدة، كباطن الكف ففاتتهذه المنافع والمصالح التي حصلت بتفريقها ، ففي هذا أعظم الأدلة على قدرته سبحانه على جمع عظامه بعد الموت » [2].و الله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) يُنظر : البحر المحيط (٣٧٦/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤) .

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٩٣/١، ٩٤) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِذَا بَرَقَ ٱلْبَصَرُ﴾[1].

❁(٥٨) مسألة : في زمن بروق البصر .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن البصر يبرق يوم القيامة .

مجمل ما ذكره في الآية

قال :« هذا إخبار عن يوم القيامة . وقيل: عن حالة الموت ،وهذا خطأ ؛ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد ولا يجمع بينه وبين الشمس. و﴿بَرَقَ﴾[2]بفتح الراء معناه: لمع وصار له برق وقرئ بكسر الراء ومعناه: تحير من الفزع. وقيل: معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر »[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لسمرقندي ، و ما اقتصر عليه ابن أبي زمنين و الواحدي [4]، و وذهب إليه مكي بن أبي طالب ، والزمخشري ، والرازي ، والقمي النيسابوري [5]، و وافقهم ابن كثير ، والبقاعي ، والمراغي والسعدي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [6].

قال ابن عاشور : «عدل عن أن يجابوا بتعيين وقت ليوم القيامة إلى أن يهددوا بأهواله ؛ لأنهم لم يكونوا جادين في سؤالهم ،فكان من مقتضى حالهم أن ينذروا بما يقع من الأهوال عند حلول هذا اليوم مع تضمين تحقيق وقوعه ؛فإن كلام القرآن إرشاد ،وهدى ما يترك فرصة للهدي ،والإرشاد إلا انتهزها وهذا تهديد في ابتدائه جاء في صورة التعيين لوقت يوم القيامة إيهاما بالجواب عن سؤالهم كأنه حمل

---

(١) سورة القيامة:٧.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة و الكسائي﴿بَرِقَ﴾ بكسر الراء ، وقرأ نافع وأبان عن عاصم ﴿بَرَقَ﴾ بفتح الراء السبعة في القراءات (٦٦١/١) ، وأما الفتح من شخص بصره عند الموت وقيل : لمع بصره ، وقال أهل اللغة: برق وبرق فهما بمعنى واحد، وهو تحير الناظر عند الموت، والعرب تقول لكل داخل برقة أي دهشة وحيرة . يُنظر الحجة في القراءات السبع (٣٥٧/١).

(٣) التسهيل (١٦٤/٤) .

(٤) تفسير بحر العلوم (٤٩٩/٣) ،وتفسير القرآن العزيز (٦٤/٥) ، والوسيط (٤/ ٣٩١).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٥) ، والكشاف (٦٦١/٤) ،و التفسير الكبير (١٩٣/٣٠) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤٠١).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، ونظم الدرر (٨ /٢٤٥)، وتفسير المراغي (٢٦٤/١٠) ، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٤٤) .

لكلامهم على خلاف الاستهزاء على طريقة الأسلوب الحكيم »[1].

القول الثاني : وصف البصر بالبروق؛ لِما عاينه عند الموت ، و هو قول مجاهد [2]- .

وصدَّر به البغوي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والألوسي أقوالهم [3] . وأورده الماوردي ، والبغوي وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، و الخازن ، وأبو حيان ، وابن عادل والثعالبي-رحمهم الله تعالى- [4].

واستُدل عليه: بأن "برَق " بفتح الراء في تأويلها وجهان :

أحدهما : يعني خف وانكسر عند الموت ، قاله عبد الله بن أبي إسحاق [5] .

الثاني : شخص وفتح عينه عند معاينة ملك الموت فزعًا ، وأنشد الفراء :

فنْفسَكَ فَانْعَ ولا تُنعَني   وداوِ الكُلومَ ولا تَبْرَقِ   [6].

وردَّه ابن جُزيّ بأن القمر لا يُخسف لموت أحد ولا يجمع بينه وبين الشمس لذلك ، وإنما هو وصف لهول يوم القيامة .

الترجيح

والراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل المعنى على القولين فبرق البصر من فزع الموت وهول يوم القيامة ،وهو قول ابن عباس [7] – رضي الله عنه – ؛ لأن السياق جاء في سؤال الكافر عن القيامة، سؤال استبعاد استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

---

(١) التحرير والتنوير (١٢ / ٣٤٤) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٠/٢٩) ، ولفظه قوله : ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾قال : (عند الموت) ، و ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٤٥/٨) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) معالم التنزيل (٤٢٢/٤) ،و الجامع لأحكام القرآن (٩٥/١٩) ،وفتح القدير (٣٣٦/٥) ، وروح المعاني (١٣٩/٢٩).

(٤)النكت والعيون (١٥٢/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤) ، و المحرر الوجيز (٤٠٣/٥) ، و زاد المسير (٤١٩/٨) ، التفسير الكبير (٣٠/ ١٩٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٩٥/١٩) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٢٥) ، واللباب (١٩/ ٥٥١) ، و الجواهر الحسان (٣٦٦/٤) .

(٥) عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي الحضرمي: نحوي، من الموالي، من أهل البصرة، ولد سنة (٢٩ هـ) أخذ عنه كبار من النحاة كأبي عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي و الأخفش. فرع النحو، وقاسه، وكان أعلم البصريين به . توفي سنة (١١٧ هـ) . الأعلام (٤ / ٧١) .

(٦) البيت لطرفة بن العبد . يُنظر : تهذيب اللغة (١١٥/٩) ، وتاج العروس (٤٠/٢٥).

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه ، جامع البيان (١٧٩/٢٩) ، ولفظه (يعني يبرق البصر الموت و بروق البصر هي الساعة) .

صَـٰدِقِينَ ﴾[1]فهو يسأل عن الزمن بقوله " أيان "، فجاء الرد بـــ " إذا " الدالة عليه ، والموت أول الحقائق التي تنكشف ؛لأن حالة الإنسان المحتضر يرى مالا يرى غيره فيبرق بصره ويتحير لما عاين عند ساعة موته كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[2]،وكذلك لحاق الآية في وصف أهوال يوم القيامة [3]. فلا وجه لتخصيص تحير البصر بيوم القيامة دون الموت ؛ لتحققه في الموضعين و (إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها). **ومما يؤده:**

أنَّ الاستدلال باختلاف المعنى نظراً لاختلاف القراءة، يردُّه أن كلا القراءتين بمعنى واحد.

قال مكي – رحمه الله – : « وقيل : الفتح في الراء والكسرُ لغتان ، بمعنى : لَمَع وشَخَصَ ، ويدل على صحة ذلك قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾[4]، فهذا هو الشخوص ، لا تطرف أعينهم وذلك من شدة شدة هول يوم القيامة»[5]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) سورة سبأ:٢٩.

(٢) سورة الأنفال :٥٠.

(٣) يُنظر : تفسير القرآن العظيم (٤/٤٤٩) ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (٢٠٨) .

(٤) سورة إبراهيم:٤٣.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٦٤).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1].

❁ (٥٩)مسألة : في المقصود بالجمع بين الشمس والقمر.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد بالجمع قُرن بين الشمس ،والقمر في طلوعهما من المغرب .

ومجمل ما ذكره في الآية

قال: « في جمعهما ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهما يجمعان،حيث يطلعهما الله من المغرب.

والآخر : أنهما يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار. وقيل: في البحر فتكون النار الكبرى.

الثالث :أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما »[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول : مارجَّحه ابن جُزيّ موافقا للمروي عن ابن مسعود [3] – ﷺ– . وقدَّمه الزمخشري و وافقهما أبو السعود–رحمهم الله تعالى– [4].

قال الزمخشري : « ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾حيث يطلعهما الله من المغرب» [5] .

القول الثاني : يجمعان يوم القيامة ، وفيه قولان :

الأول : يجتمعان ثم يقذفان في النار . ذكره الزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي والقرطبي والألوسي–رحمهم الله تعالى – [6].

---

(١) سورة القيامة:٩.

(٢) التسهيل (٤/١٦٤).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٣٨٩) ، ونسبه لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ ، والطبراني، عن ابن مسعود﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ قال : (طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين) ثم قرأ : ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

(٤) الكشاف (٤/٦٦١)، وإرشاد العقل السليم (٩/٦٥).

(٥)الكشاف (٤/٦٦١).

(٦) الكشاف (٤/٦٦١)، والمحرر الوجيز(٥/٤٠٣)، وزاد المسير(٨/٤١٩)، والتفسير الكبير(٣٠/١٩٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٩٧)، وروح المعاني(٢٩/١٣٩).

واستُدل عليه : بقوله-ﷺ-: ((إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار))[1].

الثاني : يجتمعان ويقذفان في البحر . وهو قول عطاء ابن يسار [2]، وذكره الزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والألوسي-رحمهم الله تعالى- [3].

القول الثالث :جمع بينهما في ذهاب الضوء . قاله الفراء ، والطبري ، ومكي بن أبي طالب والقاسمي [4]، وأورده الزمخشري ، وابن عطية ، وا بن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي والشوكاني والألوسي —رحمهم الله تعالى – [5].

---

(١) أخرجه الطيالسي في " مسنده " (٢٨١/١) ح (٢١٠٣) عن يونس قال : حدثنا أبو داود قال :حدثنا درست عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس رفعه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار)).

و هذا الحديث إسناده ضعيف من أجل الرقاشي فإنه ضعيف .

يُنظر : الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي(٢٠٧/٣)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢٣٣/٧).

و مثله درست : منكر الحديث.

يُنظر : المجروحين (٢٩٣/١) ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤٣/٣).

و أخرجه أبو يعلى في "مسنده " (١٤٨/٧) ح (٤١١٦) من طريق درست بن زياد بنحوه.

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (١١٥٩/٤) عن أنس رضي الله بنحوه .

وله شاهد من رواية أبي هريرة عن النبي – عليه السلام – قال : ((الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ مُكَوَّرَانِ يوم الْقِيامَةِ)) . فقال الْحَسَنُ ما ذَنْبُهُمَا؟ فقال : إِنَّمَا أُحَدِّثُك عن رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَسَكَتَ الْحَسَنُ). شرح مشكل الآثار(١/ ١٧٠).

قال الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١ / ١٩٢) قلت : و هذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

و قد أخرجه في " صحيحه " مختصرا ؛حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا عبد الْعَزِيزِ بن الْمُخْتَارِ به بلفظ : ((الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يوم الْقِيَامَةِ)). كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ ، بَاب صِفَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ(١١٧١/٣) ح (٣٠٢٨).

قال الشيخ الألباني رحمه الله : (و ليس المراد من الحديث ما تبادر إلى ذهن الحسن البصري أن الشمس و القمر في النار يعذبان فيها عقوبة لهما ، كلا فإن الله – عز و جل –لا يعذب من أطاعه من خلقه و من ذلك الشمس و القمر كما يشير إليه قول الله تبارك و تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ فأخبر تعالى أن عذابه إنما يحق على غير من كان يسجد له تعالى في الدنيا ، كما قال الطحاوي ، و عليه فإلقاؤهما في النار يحتمل أمرين :

الأول : أنهما من وقود النار .

و الثاني : أنهما يلقيان فيها تبكيتا لعبادهما .ينظر : السلسلة الصحيحة (١ / ١٢٣).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٠/٢٩) ، ولفظه (يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى) ، وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٤٥/٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) الكشاف(٦٦١/٤)، والمحرر الوجيز(٤٠٣/٥)، وزاد المسير(٤١٩/٨)، والتفسير الكبير (١٩٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩٧/١٩)، وروح المعاني (١٣٩/٢٩).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٩)، و جامع البيان(١٨٠/٢٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٥) ، ومحاسن التأويل (٤٠٢٥/٩).

(٥) الكشاف(٦٦١/٤)، والمحرر الوجيز(٤٠٣/٥) ، وزاد المسير (٤١٩/٨)، والتفسير الكبير (١٩٤/٣٠)، والجامع لأحكام

قال الفراء « وفي قراءة عبد الله "وجمع بين الشمس والقمر" يريد: في ذهاب ضوئها أيضا فلا ضوء لهذا ولا لهذه. فمعناه: جمع بينهما في ذهاب الضوء كما تقول : هذا يوم يستوي فيه الأعمى والبصير أي: يكونان فيه أعميين جميعا »[1].

الترجيح

أقرب الأقوال إلى الصواب - والله تعالى أعلم — أنَّ المراد بالجمع ، جمع بينهما في ذهاب الضوء ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ؛ لأن الله تعالى خلق الشمس والقمر في فلك خاص بنظام دقيق محكم ، يدل على سير الحياة كما قال تعالى : ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾[2] ، فإذا كان يوم القيامة اختل ذلك النظام وأظلما وما كان لهما من قبل ؛ ولكنَّ ذلك إيذانا بالساعة الكبرى ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3]

قال ابن جرير — رحمه الله تعالى - : «وقوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ يقول تعالى ذكره : وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر لي (وجُمِعَ بَين الشَّمْس والقَمَرِ) وقيل: إنهما يجمعان ثم يكوّران، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[4]. وإنما قيل: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾لما ذكرت من أن معناه جمع بينهما».ومما يؤيده :

١. دلالة اللغة :فالجمع يطلق على جمع الشيء عن تفرقة .يجمعه جمعًا و جَمعه و أَجمعه فاجتمع [5]
٢. أنَّ بقية الأقوال لم تبين المعنى بل بينت الهيئة .أي :هيئة اجتماعهما من المغرب أو يلقى بهما في النار أو البحر ، فهذا كله لهيئتهما بعد اجتماعهما . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

القرآن(٩٧/١٩) ، وفتح القدير (٣٣٧/٥) ، وروح المعاني (١٣٩/٢٩).

(١) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠٩) .

(٢) سورة يس:٤٠.

(٣) سورة الأنعام:١٥٨.

(٤) سورة التكوير :١.

(٥) لسان العرب (٥٣/٨).

قول الله – ﷻ – : ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1].

❁ (٦٠)مسألة : في معنى الآية.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " ما قدَّم وأخر " أي: ينبأ الإنسان بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « بما قدم وأخر أي: بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره . وقيل: ما تقدم في حياته وما أخر من سنة ، أو وصية بعد مماته . وقيل: ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته »[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة أربعة أقوال وهي:

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا لقول ابن مسعود [3]– ﷺ – .

و قال به الطبري ، ومكي بن أبي طالب ، والنسفي ، و وافقهم أبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي والبقاعي الشربيني ، والمراغي ، والسعدي–رحمهم الله تعالى – [4].

قال الإمام الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندنا أنَّ ذلك خبر من الله أنَّ الإنسان ينبأ بكل ما قدم أمامه مما عمل من خير ،أو شر في حياته ،وأخر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدم وأخر ،كذلك ما قدم من عمل عمله من خير أو شر وأخر بعده من عمل كان عليه فضيعه فلم يعمله مما قدم ،وأخر و لم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض ،فكل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة» [5] .

---

(١) سورة القيامة:١٣.

(٢) التسهيل (١٦٤/٤) .

(٣) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٣٣٤/٣) ، ولفظه قال : (بما قدم من عمله وأخر من سنة عمل بها بعده من خير أو شر) ، وأخرجه الطبري بسنده عنه: جامع البيان (١٨٣/٢٩) بمثله .

(٤) جامع البيان (١٨٤/٢٩)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٦٩) ، ومدارك التنزيل (٣١٤/٤)، و البحر المحيط (٣٧٧/٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٤٩/٤)، والجواهر الحسان (٣٦٦/٤)، ونظم الدرر(٨/ ٢٤٧)، والسراج المنير (٨ / ١٨٧) ،وتفسير المراغي (١٠/ ٢٦٥)، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١).

(٥) جامع البيان (١٨٤/٢٩).

قال أبو حيَّان : «والظاهر حمله على العموم ، أي يخبره بكل ما قدم وكل ما أخر مما ذكره المف سرون ومما لم يذكروه»[1].

القول الثاني: ما قدم من معصية وأخر من طاعة . وهو مروي عن ابن عباس [2]- رضي الله عنه - وذكره الطبري ، والثعلبي، والواحدي، والماوردي ،والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي والقرطبي ، والخازن وابن عادل ، والشربيني ، والشوكاني ، والقنوجي – رحمهم الله تعالى - [3].

القول الثالث: ينبأ بأول عمله وآخره ، قاله مجاهد [4]، و أورده الطبري ، و الواحدي والسمعاني والبغوي ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ،والخازن ،وابن عادل والشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي – رحمهم الله تعالى - [5] .

القول الرابع: ما قدم لنفسه من مال وما أخر لورثته . وهو مروي عن زيد بن أسلم [6] [7]وأورده [7]وأورده الثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والبيضاوي والخازن والخازن ، وابن عادل ، والشربيني - رحمهم الله تعالى- [8].

---

(١) البحر المحيط (٣٧٧/٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٤/٢٩)، ولفظه يقول : (بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة فينبأ بذلك).

(٣) جامع البيان (١٨٤/٢٩)، والكشف والبيان (٨٥/١٠)، والوسيط (٣٩٢/٤)، والنكت والعيون (١٥٤/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤)، والمحرر الوجيز (٤٠٣/٥)، و زاد المسير (٤٢٠/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٥٥٥)، والسراج المنير (٨/ ١٨٧)، فتح القدير (٣٣٧/٥)، وفتح البيان (٤٣٩/١٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٤/٢٩) ، ولفظه قال : (بأول عمله وآخره) .

(٥) جامع البيان (١٨٤/٢٩)، والوسيط (٣٩٢/٤)، تفسير القرآن (١٠٤/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤)، وزاد المسير (٤٢٠/٨)، والتفسير الكبير(١٩٥/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣٢٦/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٥٥٥/١٩)، والسراج المنير (٨/ ١٨٧)، وفتح القدير (٣٣٧/٥) وفتح البيان (١٤/ ٤٣٩).

(٦) وقفت عليه منسوبا في معالم التنزيل (٤٢٢/٤) ، والمحرر الوجيز (٤٠٤/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (٩٩/١٩).

(٧) زيد بن أسلم القرشي العدوي أبو أسامة ، ويقال أبو عبد الله المدني الفقيه .مولى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - . روى عن عياض بن عبد الله ، وعطاء بن يسار ، عبد الرحمن بن أبي سعيد. وعنه ابنه أسامة بن زيد بن أسلم ، وإسماعيل بن عياش ، وأيوب السختياني. تُوفي سنة (١٣٦ هـ).
يُنظر : تهذيب الكمال (١٤/١٠)، و رجال مسلم (٢١٤/١).

(٨) الوسيط (٣٩٢/٤)، ومعالم التنزيل (٤٢٢/٤)، و زاد المسير (٤٢٠/٨)، والتفسير الكبير (١٩٥/٣٠)، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥)، ولباب التأويل (٦/ ٣٢٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٥٥٥)، والسراج المنير (٨/ ١٨٧).

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – ينبأ الإنسان يوم القيامة بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن(الأصل في كلام الله تعالى أن يحمل على العموم ، ولا يقال بالتخصيص إلا بدليل يجب التسليم به) [1] . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. التعبير القرآني دال على العموم ، فـ "ما" موصولة وهي ومن صيغ العموم، وأيضاً كلمة "قدم " للدلالة على ما قدمه من أعمال في حياته، وما لم يعمله بكلمة " أخر " ، وفي ذلك بيان أن كل أعمال العبد في حياته الدنيا مكتوبة في صحائف أعماله ، وهو نحو قول الله تعالى﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2].

١. أنَّ هذه الأقوال لا تعارض بينها ، فهي من أمثلة العموم ، والقول الأول يجمعها دون تدافع . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) ينظر: قواعد التفسير (٢ / ٥٢٧).

(٢) سورة الكهف:٤٩.

قول الله – ﷻ – : ﴿بَلِ ٱلإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾[1].

❁ (٦١)مسألة : في معنى " بصيرة "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " بصيرة " جامعا لمعنيين ، أن بصير بمعنى مبصر أي : أنَّ الإنسان شاهد على نفسه وأن للإنسان من نفسه رقباء إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « في معناه قولان:

أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة .

والآخر: أنه حجة بينة ؛لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازاً ؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق، والأول أليق بما قبله وما بعده ، كأنه قال:﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ﴾[2]بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله : ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[3] ويكون هو جواب لو حسبما نذكره »[4].

العرض والمناقشة:

قي المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به ، وهو ما رجحه ابن جزي ، وهو قول ابن عباس[5]– ﷺ– .وقال به الفراء ، والطبري ، و السمرقندي ، وابن كثير[6]،و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، وجلال الدين المحلِّي [7]، وقدمه الثعلبي ، والبغوي [8]– رحمهم

(١) سورة القيامة:١٤.

(٢) سورة القيامة:١٣.

(٣) سورة القيامة:١٥.

(٤) التسهيل (١٦٥/٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٨٥/٢٩)، ولفظه يقول : (سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٤٧/٨) ، و عزاه لابن جري وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني القرآن (٢١١/٣) ، و جامع البيان (١٨٤/٢٩)، وبحر العلوم(٥٠٠/٣) ،و تفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤).

(٧) تفسير القرآن العزيز (٦٤/٥) ، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١).

(٨) الكشف والبيان (٨٦/١٠) ،و معالم التنزيل (٤٢٣/٤).

الله-

قال الفراء : «على الإنسان من نفسه رقباء يشهدون عليه بع مله: اليدان، والرجلان، والعينان والذكر قال الشاعر:

كأنَّ على ذى الظن عين ـــًا بصيرةً بمقعَدِه أو منظرٍ هو ناظ ـــــــ رُه

يُحاذِرُ حتى يحسِبُ الناسَ كلَّهم من الخوفِ لا تخفى عليهم سرائرُه [1]» [2]

القول الثاني: بل الإنسان شاهد على نفسه وحده ، فيكون " بصير " بمعنى مبصر شديد المراقبة بنفسه، وهو قول قتادة [3]، وابن زيد [4]،و قال به الأخفش ، و السمعاني [5]، وقدّمه الرازي والشوكاني [6]، واختاره أبو حيَّان [7].

قال الأخفش : « ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ فجعله هو البصيرة كما تقول للرجل: "أَنْتَ حُجَّةٌ على نَفْسِكَ"» [8].

القول الثالث: أنه حجة بينة ، قال به الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبي السعود ، وقدمه الأ لوسي – رحمهم الله تعالى – [9].

قال الزمخشري : «﴿ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [10]، أو عين بصيرة والمعنى: أنه

---

(١) القائل : مُضرِّس بن ربعي . يُنظر : معاهدة التنصيص معاهد (١٣٢/١).

(٢) معاني القرآن للفرّاء (٣ / ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٥/٢٩) ، ولفظه قال : (شاهد عليها بعملها)، وذكره السيوطي في" الدر المنثور " (٣٤٧/٨) ،و نسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٥/٢٩) ، ولفظه قال : (هو شاهد على نفسه وقرأ :﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾.

(٥) تفسير القرآن (١٠٥/٦).

(٦)التفسير الكبير (١٩٥/٣٠)، و فتح القدير (٣٣٧/٥).

(٧)تفسير البحر المحيط (٣٧٧/٨).

(٨) معاني القرآن للأخفش (٣٠١).

(٩) الكشاف (٦٦٢/٤) ، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥) ، والبحر المحيط (٣٧٧/٨) ، و إرشاد العقل السليم (٦٦/٩) ، وروح المعاني (١٤٠/٢٩).

(١٠) سورة النمل:١٣.

ينبأ بأعماله، وإن لم ينبأ ففيه ما يجزيء عن الإنباء ؛ لأنه شاهد عليها بما عملت ؛ لأنّ جوارحه تنطق بذلك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]»[2].

الترجيح

والراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن جوارح الإنسان شاهد عليه وهو ما رجحه ابن جُزي لدلالة السياق من إنبائه بما قدم وأخر قبل مجاز اته يجده مكتوبا محصيٌّ عليه ، ثم بين سبحانه زيادة في إثبات الحجة عليه أن جعل له من نفسه شاهد يشهد عليه ولو ألقى جميع أعذ اره ، و(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[3] . ويؤيده عدة أمور وهي :

١. النظائر القرآنية : نحو قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].
٢. أن القول الثاني داخل في معنى القول الأول.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) سورة النور:٢٤.
(٢) الكشاف (٤/٦٦٢).
(٣) قواعد التفسير (١/١٢٥) .
(٤) سورة فُصلَت:٢١.

قول الله – ﷻ – : ﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[1].

❁ (٦٢)مسألة : في معنى "المعاذير" .

ترجيح ابن جُزيٍّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المعاذير هي الأعذار التي يعتذر بها .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾فيه قولان:

أحدهما:أن المعاذير لأعذار، أي الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن "المعاذير" الستور، أي:الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح » [2].

العرض والمناقشة:

ذكر المفسرون في معنى المعاذير قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزي موافقاً للمروي عن ابن عباس [3] – رضي الله عنه – ، وقال به سعيد ابن جبير [4] . و استظهره الطبري ، والقرطبي [5]، وقدَّمه السمرقندي ، والثعلبي ،ومكي بن أبي طالب والزمخشري ،وابن الجوزي ونسبه للأكثرين ، وأفرده بالذكر البيضاوي [6]، و وافقهم أبو حيان و هو الصحيح عند ابن كثير ، و اقتصر عليه جلال الدين المحلِّي ، و رجحه الشوكاني ، وقال به عطية سالم –رحمهم الله تعالى– [7].

---

(١) سورة القيامة:١٥.

(٢) التسهيل (١٦٤/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٥/٢٩)، ولفظه (ولو ألقى معاذيره يعني الاعتذار ألم تسمع أنه قال لا ينفع الظالمين معذرتهم وقال الله: ﴿ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ ﴾ وقولهم :﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه" جامع البيان" (١٨٦/٢٩)، ولفظه قال : (شاهد على نفسه ولو اعتذر).

(٥) جامع البيان(١٨٦/٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٩).

(٦) بحر العلوم (٥٠٠/٣) ، و الكشف والبيان (٨٦/١٠) ، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٢) ، و الكشاف (٦٦٢/٤) ، و وزاد المسير (٤٢٠/٨)، وأنوار التنزيل (٤٢١/٥).

(٧) البحر المحيط (٣٧٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١) ،والجواهر الحسان (٣٦٦/٤) ، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، و أضواء البيان(٣٧٣/٨).

قال الإمام الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال معناه ولو اعتذر ؛ لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل ، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهداً من نفسه بقوله: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[1] . فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك ولو جادل عنها بالباطل واعتذر بغير الحق فشهادة نفسه عليه به أحق وأولى من اعتذاره بالباطل »[2].

القول الثاني: أنَّ المعاذير جمع معذار وهو الستور. فالمعنى ولو أرخى ستوره ، وهو قول الضَّحاك[3] و السُدِّي [4] . واختاره القصّاب بقوله : « ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، أي : ولو أسبل ستوره عند خلوته خلوته بالمعاصي ، و أهل اليمن يسمون الستور المعاذير ، واحدها معذار» [5].

وممن ذكره الطبري ، والسمعاني ، والزمخشري وابن الجوزي ، والرازي، والنسفي ، وأبو حيان وابن كثير ، وأبو السعود ، والشوكاني والألوسي –رحمهم الله تعالى –[6].

قال الألوسي : «والمعنى أن احتجابه في الدنيا واستتاره لا يغني عنه شيئاً لأن عليه من نفسه بصيرة وفيه تلويح إلى معنى قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾[7]الآية» [8].

الترجيح

الظاهر – والله أعلم بمراده – أنَّ المعاذير في الآ ية الأعذار ، والمعنى : ولو اعتذر عن قبائحه ،وهو ما رجحه ابن جزيٍّ؛ لأنه الأولى بظاهر القرآن . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

---

(١) سورة القيامة:١٤.

(٢) جامع البيان (١٨٦/٢٩).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٤٧/٨)، ونسبه لابن المنذر عن ابن عباس ولفظه (﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ولو ألقى معاذيره ستوره بلغة أهل اليمن).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٦/٢٩) ، ولفظه (﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو ألقى معاذيره ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب).

(٥) نُكت القرآن (٤ / ٤٥٢).

(٦) جامع البيان (١٨٦/٢٩)، وتفسير القرآن (١٠٥/٦)، والكشاف (٦٦٢/٤)، وزاد المسير (٤٢١/٨)، والتفسير الكبير (١٩٦/٣٠)، ومدارك التنزيل (٣١٤/٤)، والبحر المحيط (٣٧٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٦/٩)، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، وروح المعاني (١٤١/٢٩).

(٧) سورة فُصِّلَت:٢٢.

(٨) روح المعاني (١٤١/٢٩).

١. السياق: فإن الإنسان شاهد على نفسه ولو اعتذر بأعذار باطلة . و العذر : تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه [١].

قال القرطبي :«قلت والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والاعتذار من الذنب» [٢].

٢. النظائر القرآنية : بين الله تعالى بعض هذه المعاذير ومنها قوله تعالى : ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [٣] . ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [٤]

٣. جاء في الصحيح : (فيقول : يا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ويثني بِخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ .فيقول : ها هنا إذًا .قال : ثُمَّ يُقَالُ له :الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ من ذَا الذي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ على فيه وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أنطقي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ من نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الذي يَسْخَطُ الله عليه)[٥] .

فقوله – صلى الله عليه وسلم – : ((ليعذر من نفسه)) أي : لم يبق له عذر يتمسك به بعد شهادة جوارحه عليه .و (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه) [٦].

٤. أن القول الثاني ذكره المفسرون في معرض الأقوال بخلاف الأول ، ويؤيده القاعدة التفسيرية :(

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٣٢٧/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠١/١٩).

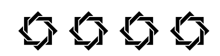
(٣) سورة الأعراف:٣٨ .

(٤) سورة الأنعام:٢٣.

(٥) أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة " صحيح مسلم " ، كتاب الزهد والرقائق (٢٢٧٩/٤) ح (٢٩٦٨) ، ولفظه (قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ ؟ قال : هل تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ في الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ في سَحَابَةٍ؟ قالوا : لَا قال: فَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ليس في سَحَابَةٍ؟ قالوا: لَا .قال : فَوَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إلا كما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. قال : فَيَلْقَى الْعَبْدَ فيقول : أَيْ فُلْ : أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لك الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ . فيقول : بَلَى . قال : فيقول : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ . فيقول : لَا . فيقول : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فيقول :أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لك الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ .فيقول : بَلَى أَيْ رَبِّ. فيقول :أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ. فيقول :لَا .فيقول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فيقول له مِثْلَ ذلك . فيقول : يا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ويثني بِخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ . فيقول : ها هنا إذًا. قال :ثُمَّ يُقَالُ له : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ من ذَا الذي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ على فيه وَيُقَالُ : لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أنطقي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ من نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الذي يَسْخط الله عليه).

(٦) قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦).

تُحمل الآية على المعنى الذي استفاض ا لنقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً) [1]. والله تعالى أعلم.



(١) قواعد التفسير (٢/ ٨٠٤).

قول الله – ﷻ – :﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[1].

❁ (٦٣)مسألة : سبب النهي في قوله تعالى:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ النبي – ﷺ –كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسانه مخافة أن ينساه لحينه فنهاه الله تعالى عن ذلك .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : « وسبب الآية أن رسول الله – ﷺ –كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل : كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية، والأول هو الصحيح ؛لأنه ورد في البخاري وغيره [2]»[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان :

القول الأول [4]: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا فيه المروي عن ابن عباس [5]– رضي الله عنه – و قال به سعيد ابن جبير[6]، والضحاك [7]، وابن زيد [1].و استظهره الطبري ، واقتصر عليه أبو الليث ومكي بن أبي

---

(١) سورة القيامة:١٦.

(٢) لفظ الحديث من رواية ابن عباس قال : كان رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – إذا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ وكان مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عليه وكان يُعْرَفُ منه . فَأَنْزَلَ الله الْآيَةَ التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ في صَدْرِكَ ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾فإذا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ. قال: فَكَانَ إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فإذا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وَعَدَهُ الله).
أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " (١٨٧٧/٤) ح (٤٦٤٥) ، و أخرجه مسلم في " صحيحه" ، كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة (٣٣٠/١) ح (٤٤٨). بنحوه .

(٣) التسهيل (١٦٥/٤).

(٤) من المفسرين من جعل السبب لشدة حب النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وضمه إلى أن ذلك من شدة حرصه ، وقد جعلته قولا واحدا إذ لا منافاة بينهما.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٧/٢٩)، ولفظه (أن النبي كان إذا نزل عليه القرآن تعجل يريد حفظه فقال الله تعالى ذكره :﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وقال بن عباس: هكذا وحرك شفتيه) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (١٨٧/٢٩)، ولفظه (أن النبي –ﷺ– كان إذا نزل عليه القرآن تعجل به يريد حفظه) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال : (كان نبي إذا نزل عليه الوحي من القرآن حرك به لسانه مخافة أن

طالب ، والسمعاني ، والبغوي والزمخشري، وابن الجوزي ، والقرطبي ،و وافقهم الخازن ، وقال به ابن كثير ، وأفرده بالذكر الشوكاني ، والسعدي ، وابن عاشور وعطية سالم – رحمهم الله تعالى – [٢].

القول الثاني: سبب النهي لأن النبي –ﷺ– كان يكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه ، فقيل له: لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا أن نجمعه لك ونقرأه لك فلا تنسى [٣]، وهو مروي عن مجاهد[٤]، والحسن البصري[٥]، وقتادة [٦].

وأورده الطبري ،و الماوردي ، وابن عطية ، والقرطبي ،والخازن وابن عاشور — رحمهم الله تعالى – [٧].

الترجيح

الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — سبب نهي الله عز وجل لرسوله –ﷺ– عن تحريك لسانه بالقرآن لخشيته من تفلته منه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وأكثر المفسرين [٨] ، لصحة حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – ، و(إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له) ، **ويؤيده عدة أمور وهي:**

١. أنَّ النبي –ﷺ – من شدة حرصه على تبليغ ما أنزل عليه ، كان يحرك شفتيه بالقرآن خشية نسيانه

أن ينساه) .

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال : (لا تكلم بالذي أوحينا إليك حتى يقضي إليك وحيه فإذا قضينا إليك وحيه فتكلم به).

(٢) جامع البيان (١٨٨/٢٩)، وبحر العلوم (٥٠٠/٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٣) ،و تفسير القرآن (١٠٥/٦)، و معالم التنزيل (٤٢٣/٤)، الكشاف (٦٦٢/٤)، و زاد المسير (٤٢١/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١٩)، و لباب لتأويل (٦ /٣٢٦)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤)، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١)، والتحرير والتن وير (٣٥٠/١٢)، و أضواء البيان (٣٧٤/٨).

(٣) جامع البيان (١٨٨/٢٩).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال :(كان يستذكر القرآن مخافة النسيان فقال له كفيناكه يا محمد).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٨٨/٢٩)، ولفظه قال : (كان رسول الله يحرك به لسانه ليستذكره فقال الله : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾إنا سنحفظه عليك).

(٦)أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٨٨/٢٩)،ولفظه (كان نبي الله يحرك به لسانه مخافة النسيان فأنزل الله ما تسمع).

(٧) جامع البيان (١٨٨/٢٩)، والنكت والعيون (١٥٥/٦)، والمحرر الوجيز (٤٠٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١٩)، ولباب التأويل (٦ / ٣٢٦)، و البحر المحيط (٣٧٨/٨)، والتحرير والتنوير (٣٥٠/١٢).

(٨) المحرر الوجيز (٤٠٤/٥).

ثم بين الله تعالى لنبيه -ﷺ -كيفية تلقي القرآن بنهيه عن العجلة ، وأمره بعد ذلك باتباع جبريل -عليه السلام- في القراءة بعد انتهائه بقوله : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1]و فسر المعنى بنظيره في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]

٢. أنَّ القول الثاني قائم على المدارسة فبعد أن جمع في صدر النبي كان يحرك به لسانه لا ستذكاره وهذا القول يأباه السياق ؛ لأن النبي-ﷺ - نُهي عن تحريك لسانه بالقرآن قبل جمعه .(وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[3].

قال الإمام الطبري — رحمه الله تعالى - : « وأشبه القولين بما دل عليه ظاهر التتريل القول الذي ذكر عن سعيد بن جبير عن بن عباس -رضي الله عنه- وذلك أن قوله "إن علينا جمعه وقرآنه" ينبئ أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبي -ﷺ - من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك »[4]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) سورة القيامة:١٨ .

(٢) سورة طه:١١٤ .

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤) جامع البيان (١٨٨/٢٩).

قول الله – ﷻ – :﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[1].

❀ (٦٤)مسالة : المراد "ببيان القرآن "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جزي أنَّ المراد بالبيان تيسير حفظه ببيان ألفاظه .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «أي:علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه ، وقيل : علينا أن نبين معانيه وأحكامه»[2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في المراد ببيان القرآن على قولين وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وهو قول ابن عباس– ﵄– في أحد قوليه [3]، و قال به الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والثعالبي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى – [4].

قال السمعاني : « وقوله:﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ أي: علينا أن نجمعه في صدرك ؛ لتبينه للناس وتقرأه عليهم، وهو مذكور بمعنى تيسير الحفظ عليه وتسهيله بمعونة الله تعالى ، وقد كان يلقى من الحفظ شدة قبل ذلك، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية كان إذا قرأ عليه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأ كما أنزل » [5].

وقال ابن عاشور : « و "ثم" في ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ للتراخي في الرتبة ، أي التفاوتِ بين رتبة الجملة المعطوف عليها وهي قولُه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[6] ،وبين رتبة الجملة المعطوفة وهي : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ومعنى الجملتين : أن علينا جمع الوحي ، وأن تقرأه وفوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك ، أي نتكفل لك بأن يكون جمعه وقرآنه بلسانك ، أي عن ظهر قلبك لا بكتابة تقرؤها بل أن يكون محفوظاً

---

(١) سورة القيامة:١٨.

(٢) التسهيل (١٦٥/٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ،في كتاب التفسير ، باب قوله:﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾(١٨٧٧/٤، ح٤٦٤٥)، ولفظه قال : (أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قال فَكَانَ إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فإذا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وَعَدَهُ الله).

(٤) الوسيط (٣٩٣/٤) ، وتفسير القرآن (١٠٦/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٣/٤)، الجواهر الحسان (٣٦٧/٤)، والتحرير والتنوير (٣٥٠/١٢).

(٥) تفسير القرآن (١٠٦/٦).

(٦) سورة القيامة:١٧.

في الصدور بيّناً لكل سامع لا يتوقف على مراجعة ولا عل ى إحضار مصحف من قُرب أو بُعد . فالبيان هنا بيان ألفاظه وليس بيان معانيه لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه » [١].

القول الثاني : بيان معانيه وأحكامه، وهو قول ابن عباس [٢] - رضي الله عنه - ، وقتادة [٣] ، وقال به الطبري ومكي بن أبي طالب [٤]، واقتصر عليه أبو الليث ، والثعلبي ، والزمخشري ، وابن العربي والبيضاوي ، والنسفي ، وقال به ابن كثير ، وجلال الدين المحلّي ، والشربيني ، وأبي السعود والصاوي ، والمراغي ، والسعدي- رحمهم الله تعالى - [٥].
قال الطبري «يقول تعالى ذكره ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه وأحكامه لك مفصلّة »[٦].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ البيان في الآية يراد به بيان المعاني ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ؛ لأن البيان يراد به الكشف والوضوح . يقال:بان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف [٧]

قال الراغب الأصفهاني- رحمه الله تعالى-: « و"البيان" الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق مختص بالإنسان ويسمى ما بين به "بياناً" »، ثم قال : « وسمي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [٨].وسمي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بيانا نحو قوله : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا

(١) التحرير والتنوير (٣٥٠/١٢) .
(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٩٠/٢٩)، ولفظه (يقول : حلاله وحرامه فذلك بيانه)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور "(٣٤٨/٨) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.
(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٠/٢٩)، ولفظه (بيان حلاله واجتناب حرامه ومعصيته وطاعته)، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٤٨/٨) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.
(٤) جامع البيان (١٩٠/٢٩)، و الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٦).
(٥) بحر العلوم (٥٠٠/٣)، والكشف والبيان (٨٧/١٠)، والكشاف (٦٦٢/٤) ، أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٨/٤)، وأنوار التنزيل (٤٢٢/٥)، ومدارك التنزيل (٣١٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٤)، وتفسير الجلالين (٧٧٩/١)، والسراج المنير (١٨٩/٨)، وإرشاد العقل السليم (٦٧/٩)، وحاشية الصاوي (٢٠٥/٦)، وتفسير المراغي (٢٦٧)، و تفسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١).
(٦) جامع البيان (١٩٠/٢٩).
(٧) مقاييس اللغة (٣٢٨/١).
(٨) سورة آل عمران:١٣٨ .

جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ويقال: بينته وأبنته إذا جعلت له بيانا تكشفه نحو لتبين للناس ما نزل إليهم »[1].

ويؤيده عدة أمور وهي:

١. أنَّ وعد الله لنبيه- ﷺ - بحفظ ألفاظه تحقق بجمعه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[2] وأدى النبي- ﷺ -كلام الله عز وجل كما سمعه قال تعالى ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[3]وكما بين -ﷺ- للأمة ألفاظ الوحي فقد بين معانيه .

٢. لا سبيل لبيان اللفظ إلا بفهم معناه على ما أر اد الله تعالى ، وعلى هذا بين النبي- ﷺ - للأمة القرآن لفظا ومعنى فيما استشكل عليهم فهمه قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : «يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[5]يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا»[6]

والبيان المقصود في الآية بيان على التراخي لدلالة حرف العطف " ثم " فكل فا يتعلق من المعاني بذات الله عز وجل وأصول الدين فقد بينه النبي- ﷺ - ، وفي هذا يظهر كمال الحفظ للقرآن وصيانته من التغير والتبديل.

قال مكي بن أبي طالب – رحمه الله – : «أي علينا بيان ما فيه من حلال وحرام وأحكام ، فأعلم الله – جلَّ ذكره – أنَّه المتولي لحفظ كتابه علينا ، ولم يكل ذلك إلينا ، فَسَلِمَ من التغيير . ولو وكله إلينا لم نأمن أن يغيره ويبدله زنادقة هذه الأمة ، فالحمد لله على ذلك ، وقد وكل الله حفظ التوراة والإنجيل إلى اليهود والنصارى فغيروا وبدلوا »[7].

(١) المفردات في غريب القرآن (٦٩/١).

(٢) سورة القيامة : ١٧.

(٣) سورة الإسراء:١٠٦ .

(٤) سورة النحل:٦٤ .

(٥) سورة النحل:٤٤ .

(٦)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٣١/١٣).

(٧)الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٦).

وأما ما يتعلق بفهم معانيه الأخرى فهذ ا يهدي الله تعالى إليه من يشاء من عباده كما قال تعالى :
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) سورة فُصِّلَت:٥٣ .

قول الله – ﷻ – :﴿ اِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1].

❁ (٦٥)مسألة : في معنى " ناظرة "

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " ناظرة " ترى الله تعالى عيانا.

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « ﴿ اِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾هذا من النظر بالعين ،وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة ، وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة ،وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ،وهذا باطل ؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر .تقول :نظرتك .أي :انتظرتك ،وأما المتعدي بإلى ،فهو من نظر العين ،ومنه قوله : ومنهم من ينظر إليك ، وقال بعضهم : إلى هنا ليست بحرف جر ،وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم ،وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري بأن معناه : كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ،ويتعلق به ،وهذا بعيد، وقد جاء عن النبي – ﷺ– في النظر إلى الله ،أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل ،فهي تفسير للآية »[2].

العرض والمناقشة :

اختُلف في معنى " ناظرة " على قولين وهما:

القول الأول : قول الجمهور من أهل السنة ، وهو ما رجحه ابن جُزي موافقا للمروي عن ابن عباس [3] ، والحسن [4]– رضي الله عنهما– .

وما رجَّحه الطبري ، وقال به القصّاب ، و الثعلبي ،ومكي بن أبي طالب ، والسمعاني ، واقتصر عليه البغوي ، وابن الجوزي ، واستظهره القرطبي ،و قدّمه النسفي [5]، و وافقهم الخازن ، وحكى ابن كثير عليه الإجماع ، و أفرده بالذكر جلال الدين المحلِّي ، والثعالبي ، وذهب إليه ابن عادل والبقاعي

---

(١) سورة القيامة:٢٣.

(٢)التسهيل (١٦٥/٤).

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥٠/٨) ، ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس ، ولفظه (تنظر إلى وجه ربها).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٩٢/٢٩) ، ولفظه قال : (تنظر إلى ربها نظرا) .

(٥) جامع البيان (١٩٣/٢٩)، و نكت القرآن (٤ / ٤٥٤) ، والكشف والبيان (٨٨/١٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٨٧٨) وتفسير القرآن (١٠٧/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٤/٤)، وزاد المسير (٤٢٢/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٩)، ومدارك التنزيل (٣١٥/٤).

والشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والقنوجي ، والقاسمي والسعدي ، والمراغي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [1].

قال الإمام الطبري : « وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» [2].

القول الثاني : صرف اللفظ عن ظاهره ، وهو على عدة معان وهي :

- أنَّ ناظرة بمعنى منتظرة أي : تنتظر الثواب من الله عز وجل ، وهو مروي عن أبي صالح [3] ومجاهد [4]،وذكره الطبري، والماوردي، وابن عطية، والرازي-رحمهم الله تعالى-[5].

- أنَّ " إلى " ليست حرف جر و إنما هي واحدة الآلاء . أي : نعمة منتظرة . ذكره القرطبي والألوسي . وردّه القرطبي بقوله : « باطل؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء، ثم الآلاء نعمة الدفع وهم في الجنة لا ينتظرون دفع نقمه عنهم ، والمنتظر للشيء متنغص العيش فلا يوصف أهل الجنة بذلك » [6].
- أنَّ النظر كناية عن التوقع والرجاء ، ق اله الزمخشري [7]، فالمعنى عنده أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه سبحانه وتعالى تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول » [8].

---

(١) لباب التأويل (٦ / ٣٢٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥١/٤) ، وتفسير الجلالين (٧٨٠/١)، والجواهر الحسان (٣٦٧/٤)، واللباب (٥٦٥/١٠)،ونظم الدرر (٢٥٢/٨)، والسراج المنير (١٩٠/٨)، وإرشاد العقل السليم (٦٧/٩)، وفتح القدير (٣٣٨/٥)، وروح المعاني (١٤٤/٢٩)، وفتح البيان (٤٤٢/١٤)، ومحاسن التأويل(٤٠٢٩/٩)، و تيسير الكريم الرحمن (٨٩٩/١) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٢٦٧)، والتحرير والتنوير (٣٥٣/١٢).

(٢) جامع البيان(١٩٣/٢٩).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٣/٢٩)، ولفظه قال : (تنتظر الثواب).

(٤) أخرجه الطبري من طريق منصور بن المعتمر عن مجاهد به ، بثلاثة أسانيد (١٩٣/٢٩).

وأخرج في رواية أخرى من طريق منصور بزيادة قال : (تنتظر الثواب من ربها لا يراه من خلقه شيء تفسير)، وفي رواية أخرى أنه سُئل فقيل له :(إن ناسا يقولون إنه يرى قال يرى ولا يراه شيء).

وأخرج من طريق منصور عنه قال :(تنتظر من ربها ما أمر لها).

وأورده ابن حجر في الفتح ، وعزاه إلى عبد بن حميد وصححه (٤٢٥/١٣).

(٥) جامع البيان (١٩٢/٢٩)، والنكت والعيون (١٥٦/٦)، والمحرر الوجيز (٤٠٥/٥)، التفسير الكبير (٢٠٠/٣٠).

(٦) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٠/١٩)، و روح المعاني (١٤٥/٢٩).

(٧) الكشاف (٦٦٣/٤).

(٨) روح المعاني (١٤٥/٢٩).

قال الزمخشري : «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [1] كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليه ولا هم يحزنون ؛ فاختصاصه ينظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قوله الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء »[2] .

الترجّيح

والراجح – والله تعالى أعلم بالصواب- أن معنى " ناظرة " أي : تنظر إلى ربها بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة"﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ،وجمهور ،وجمهور المفسرين ، **ويؤيده ما يلي:**

١. أن رؤية المؤمنين لربهم عز وجل دلَّت عليه النصوص من الكتاب والسنة

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4] وقال جل ثناؤه: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[5] قال أنس–رضي الله عنه–في تفسيرها : « يتجلى لهم لهم الرب عز وجل » [6]، وقوله تعالى في نفي الرؤية عن المجرمين : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [7] فالمؤمنون على خلاف ذلك .

ومن السنة : استفاضت الأحاديث المشهورة في ثبوت الرؤية يوم القيا مة ، ومن ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ أَنَّ الناس قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ فقال رسول اللَّهِ -ﷺ-:«هل تُضَارُّونَ في الْقَمَرِ

---

(١) سورة القيامة:١٢ .

(٢) الكشاف (٦٦٣/٤).

(٣) سورة الشورى:١١ .

(٤) سورة يونس:٢٦ .

(٥) سورة ق:٣٥ .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٥/٧)، ونسبه لبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٧) سورة المطفّفين:.١٥

لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قالوا: لَا يا رَسُولَ اللَّهِ .قال :فَهَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ ليس دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قالوا : لَا يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ» [1] .

وقوله -ﷺ-: ((جَنَّتَانِ من فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ من ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا وما بين الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الْكِبْرِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ)) [2].

و (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له) [3].

٢. قول مجاهد – ﷺ – في تفسير ناظرة أي : منتظرة . تفسير فيه نظر ، وهو مردود بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال ابن عبد البر — رحمه الله تعالى – : « وقول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي -ﷺ- وأقاويل الصحابة ،وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم -ﷺ- وليس من العلماء أحد إلا ،وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله -ﷺ- »[4] »[4]

وذكر ابن كثير هذا القول ، ثم عقب عليه بقوله : «فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب إليه وأين هو من قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله تعالى ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل » [5]. و(كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع الأمة فهو رد) [6].

٣. ما تعلق به المعتزلة في معنى " ناظرة " أي " منتظرة " يرده استعمال اللغة ،فإن أريد بالنظر الانتظار يقال: نظرته ، وإن كان المراد منه التفكر يقال نظرت فيه ، وأما إذا عُدي بإلى فمعناه المعاينة .

قال ابن أبي العزّ الحنفي — رحمه الله تعالى – : «وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية ،وتعديته بأداة إلى الصرحية في نظر العين ،وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب – جَلَّ جَلَالُهُ – فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ

---

(١) صحيح البخاري (٦/٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه " ، كتاب التوحيد ، باب قول اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٦/٢٧١٠) ح (٧٠٠٦).

(٣) قواعد الترجيح (٢٠٦).

(٤) التمهيد لابن عبد البر التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/١٥٧).

(٥)تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥١).

(٦) قواعد الترجيح (١ / ٢١٤).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[1] وإن عدي بـ " في " فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2]وإن عدي بـ "إلى" فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾[3]فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر »[4]. [4]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) سورة الحديد:١٣ .

(٢) سورة الأعراف:١٨٥ .

(٣) سورة الأنعام:٩٩ .

(٤)شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٠٥).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَقِيلَ مَن رَّاقٍ﴾[1]

❁ (٦٦)مسألة : في معنى " من راق "

ترجِّيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " من راق " من الر قية ، أي : هل من راقي يرقي المريض؟

مجمل ما ذكره في الآية

قال: « أي : قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه ، وقيل: معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أي يصعد بها إلى السماء، فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثاني من الرقى وهو العلو » [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " من راق " على قولين :

القول الأول:ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا للمروي عن أبي قلابة [3][4] ،و عكرمة [5] والضحاك[6] وقتادة[7] . و قال به الطبري ، واقتصر عليه ابن أبي زمنين، والواحدي [8]، وقدمه السمعاني ، والبغوي والبغوي والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي [9]ووافقهم ابن القيم ، و أفرده بالذكر جلال الدين المحلِّي ، والقاسمي، والسعدي، وابن عاشور، و رجحه عطية سالم– رحمهم الله – [10].

---

(١) سورة القيامة: ٢٦.

(٢) التسهيل (١٦٥/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (١٩٤/٢٩)، ولفظه قال : (هل من طبيب شاف) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٦١/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤)عبد الله بن زيد بن عمر الجرمي ، أبو قلابة .أحد الأئمة الأعلام كثير الحديث. روى عن أنس بن مالك ، ومالك بن الحويرث . و روى عنه قتادة ، ويحيى بن أبي كثير، وأيوب. توفي سنة (١٠٤ هـ).
يُنظر : الثقات (٢/٥)، و طبقات الحفاظ (٤٣/١).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٤/٢٩)، ولفظه قال : (هل من راق يرقي).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٤/٢٩)، ولفظه قال : (هو الطبيب)، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٦١/٨) ، ونسبه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٥/٢٩)، ولفظه (أي التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا) وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٦١/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٨) جامع البيان (١٩٤/٢٩)، وتفسير القرآن العزيز (٦٥/٥)، والوسيط (٣٩٥/٤).

(٩)تفسير القرآن (١٠٩/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٤/٤)، والكشاف(٦٦٤/٤)،و المحرر الوجيز (٤٠٦/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (١١١/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٣/٥).

(١٠) التبيان في أقسام القرآن(١/ ٩٦) ،وتفسير الجلالين (٧٨٠/١)، ومحاسن التأويل (٤٠٣٠/٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٩٠٠/١)،

قال الإمام الطبري : « ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ يقول تعالى ذكره : وقال أهله : من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به وطلبوا له الأطباء والمداوين فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا» [1].

القول الثاني: أنَّ الملائكة تقول من يرقى بروحه أي : يصعد بها إلى السماء ، فهو من الرقي بمعنى الصعود ، وهو قول ابن عباس[2] -رضي الله عنه- ، وقال به ابن أبي الجوزاء [3][4].

وأورده أبو الليث ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والرازي والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي ، وأبي السعود ، والشوكاني ،والألوسي — رحمهم الله تعالى – [5].

قال أبو حيَّان رحمه الله تعالى – : « وقيل إنما يقولون ذلك لكراهتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها ويدل عليه قوله بعد ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[6] » [7].

الترجيح

أولى الأقوال بالصواب — و العلم عند الله تعالى — أنَّ معنى " من راق " هل من راق يرقيه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيٍّ ، ومن معه ؛ لأن السياق في وصف حال الكافر عند احتضاره ويأسه من نفسه ويأس

والتحرير والتنوير (١٢/ ٣٥٨)، وأضواء البيان (٣٧٦/٨).

(١) جامع البيان (١٩٤/٢٩).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (١٩٥/٢٩)، ولفظه قال : (إذا بلغت نفسه يرقى بها قالت الملائكة من يصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٥/٢٩)، ولفظه قال : (قالت الملائكة بعضهم لبعض : من يرقى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب).

(٤) أوس بن عبد الله الرَبعي ،أبو الجوزاء ، بصري. روى عن صفوان بن عسال المرادي وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وعائشة أم المؤمنين ،وعنه أبان بن أبي عياش، وبديل بن ميسرة ، وأبو الأشهب جعفر بن حيان العطاردي . كثير الثقة ،من الثالثة . مات سنة (٨٣ هـ) .
يُنظر : تهذيب الكمال (٣٩٢/٣)، و تقريب التهذيب (١/ ١١٦).

(٥) بحر العلوم (٥٠١/٣)، والكشف والبيان (٨٩/١٠)، وتفسير القرآن (١٠٩/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٤/٤) ، والكشاف (٦٦٤/٤)، وزاد المسير (٤٢٤/٨)، والتفسير الكبير (٢٠٤/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١١١/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٣/٥)، ومدارك التنزيل (٣٠١/٤)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٤)، والجواهر الحسان (٣٦٨/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٩)، وفتح القدير (٣٤١/٥)، وروح المعاني (١٤٧/٢٩).

(٦) سورة القيامة:٣١ .

(٧) البحر المحيط (٣٨١/٨).

الحاضرين حوله من بلوغ أسباب الحياة إليه فهبوا يتلمسون عن سبب يرد له بقية من حياة فقالوا : من راق يرقيه ؟ ، فحمل المعنى على الرقية أنسب من حمله على الرُقي لمناسبة السياق .

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : « وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ اختلف في معنى ﴿رَاقٍ﴾ هذه فقيل:من الرقية،أي:قال من حوله من يرتقيه ، هل من طبيب يرقيه؟ أي: حالة اشتداد الأمر عليه رجاء لشفاه أو استبعاداً ا، بأنه لا ينفعه ، وقيل: من الرقى أن تقول الملائكة من الذي سيرقى بروحه أملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة؟.

ولكن في الآية قرينة على أن الأول أرجح ؛ لأن قول الملائكة يكون في حق الشخص المتردَّ د في أمره ،وهذا ه نا ليس موضع تردد ؛لأن نهاية السياق ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[1] إلى ما بعده »[2].

ويتأيد بالقاعدة الترجيحية (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)[3])[3] **وملم يظهر هذا المعنى وضوحًا وجلاءً عدة أمور وهي :**

الأول : أنَّ طلب الرقية أمر جرت ا لعادة به عند العرب ، لمن شارف على الهلاك ويدل على ذلك ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال : نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَأَتَتْنَا امْرَأَةٌ .فقالت :إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ لُدِغَ فَهَلْ فِيكُمْ من رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا ما كنا نَظُنُّهُ يُحْ سِنُ رُقْيَةً ، فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ ، فَأَعْطَوْهُ غَنَمًا وَسَقَوْنَا لَبَنًا فَقُلْنَا : أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً؟ فقال : ما رَقَيْتُهُ إلا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ قال : فقلت :لَا تُحَرِّكُوهَا حتى نَأْتِيَ النبي -ﷺ- فَأَتَيْنَا النبي -ﷺ- فَذَكَرْنَا ذلك له . فقال:((ما كان يُدْرِيهِ أنها رُقْيَةٌ أقسموا وَاضْرِبُوا لي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ))[4]، وهذا يدل على أن الرقية كانت معروفة لديهم إذ كانوا كفارا .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : « أن هذا خرج على عادة العرب وغيرهم في طلب الرقية لمن وصل إلى مثل تلك الحال فحكى الله سبحانه ما جرت عادتهم بقوله وحذف فاعل القول لانه ليس الغرض متعلقا بالقائل بل بالقول و لم تجر عادة المخاطبين بأن يقولوا من يرقى بروحه فكان حمل الكلام على ما ألف وجرت العادة بقوله أولى» [5].

ثانيًا : على قول من قال أن هذا من قول الملائكة لبعضهم : من راق " يرقَى به استكراها لحمل الروح

(١) سورة القيامة: ٣١-٣٢ .

(٢) أضواء البيان (٣٧٥/٨) ، (/٣٧٦).

(٣) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).

(٤)أخرجه مسلم في " صحيحه " كتاب السلام ، بَاب جَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ على الرُّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ (١٧٢٨/٤) ح (٢٢٠١).

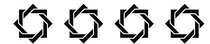
(٥)التبيان في أقسام القرآن (٩٦/١).

الخبيثة ، فهذا القول مرجوح لعدة أسباب :

١. أنَّ الروح يرتقي بها الملك بعد مفارقتها الجسد وليس حال الاحتضار ، والسياق في احتضار الميت

٢. من قال بأن هذا قول الملائكة استكراها لحمل الروح الخبيثة مخالف لما عليه النصوص الصريحة في وصف الملائكة الأبرار بفعلهم ما يؤمرون به كما قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(١)

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – بقوله : « وفي هذا نظر ؛ لأن الله تعالى جعل ملائكة للمشركين وهم ملائكة العذاب وملائكة للمؤمنين وهم ملائكة الرحمة ، ولا يستنكره فريق منهما أن يصعد بما تخصص له ، بل قد لا يسمح للآخر بما يخصه ،كما في حديث الذي قتل مائة نفس وأدركته الوفاة في منتصف الطريق فحضرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون أيهم يصعد بروحه كل يريد أن يتولى قبض روحه أولئك يقولون إنه قتل مائة نفس و لم يعمل خيراً قط وأولئك يقولون إنه خرج تائباً إلى الله تعالى(٢) »(٣).و الله تعالى أعلم .



(١) سورة النحل:٥٠.

(٢) لفظ الحديث عن أبي سعِيدٍ – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ((كان في بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فقال له : هل من تَوْبَةٍ؟ قال : لَا ، فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ فقال: له رَجُلٌ ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَبَاعَدِي وقال قِيسُوا ما بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إلى هذه أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ له). أخرجه البخاري في " صحيحه " (١٢٨٠/٣) ح (٣٢٨٣).

و أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري – ﷺ – ، كتاب التوبة ، باب قبول توبةِ القاتِلِ وإن كثُر قتلُهُ (٢١١٨/٤) ح (٢٧٦٦) ولفظه (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قال: كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تسعه وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عن أَعْلَمِ أَهْلِ الأرض فَدُلَّ على رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فقال : إنه قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ له من تَوْبَةٍ ؟ فقال: لَا . فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عن أَعْلَمِ أَهْلِ الأرض فَدُلَّ على رَجُلٍ عَالِمٍ فقال : إنه قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ له من تَوْبَةٍ ؟ فقال : نعم وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إلى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فإن بها أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ ولا تَرْجِعْ إلى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ ، فأنطلق حتى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. فقالت مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جاء تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إلى اللَّهِ . وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إنه لم يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فقال: قِيسُوا ما بين الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كان أَدْنَى فَهُوَ له فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إلى الأرض التي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ).

(٣)أضواء البيان (٣٧٦/٨).

قول الله – ﷻ – :﴿ وَالْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾[1].

❁ (٦٧)مسألة : التفاف " الساق بالأخرى " على الحقيقة أم المجاز؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المعنى على حقيقته، وهو التفاف ساق الميت على الآخر عند السياق .

مجمل ما ذكره في الآية:

قال: « هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته ، أي: التفت ساقه على الأخرى عند السياق . وقيل: هو مجاز،كقوله :كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت . وقيل: معناه ماتت ساقه فلا تحمله، وقيل[2]: التفت أي :لفها الكافر إذا كفر »[3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول:ما رجحه ابن جُزي موافقاً فيه المروي عن أبي مالك[4] [5]،وقتادة [6]، والحسن [7] .

. وذكره الثعلبي ، والماوردي ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية والرازي والقرطبي والبيضاوي وأبي حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والشوكاني،والألوسي ، والقنوجي، وابن عاشور– رحمهم الله تعالى– [8].

---

(١) سورة القيامة:٢٨.

(٢) لم أقف على هذا القول . ولعل مراد ابن جُزيٍّ أن ذلك كناية في تغطية الكفر لكل عمل صالح قد تقوم به ساقيه ؛ وهذا المعنى يأباه السياق فإنه في وصف حال الاحتضار .هذا فيما ظهر لي – والله تعالى أعلم – .

(٣) التسهيل (١٦٥/٤).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٧/٢٩) ، ولفظه قال : (التفت ساقاك عند الموت) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد .

(٥) غزوان أبو مالك الغفاري. روى عن عمار بن ياسر وابن عباس وابن ابزى . روى عنه سلمة بن كهيل والسدي وحصين بن عبد الرحمن. قال يحي بن معين : كوفي ثقة. تُوفي سنة (٩٠ هـ).
يُنظر : التاريخ الكبير (١٠٨/٧) ، والجرح والتعديل (٥٥/٧) ، و تهذيب التهذيب (٢٢٠/٨).

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (١٩٨/٢٩) ، ولفظه قال : (أما رأيته إذا ضرب برجله رجله الأخرى)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور " (٣٦٢/٨) ، وعزاه لابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٧/٢٩)، ولفظه قال : (لفهما في الكفن) ، وذكره السيوطي في" الدر المنثور "(٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٨) الكشف والبيان (٩٠/١٠)، والنكت والعيون (١٥٨/٦)، والوسيط (٣٩٥/٤)، والكشاف (٦٦٤/٤)، المحرر الوجيز (٤٠٦/٥)،

القول الثاني : أنّ معنى"الساق" كناية عن الشدّة ، أي : اتصلت شدة فراق الدنيا بشدّة الإقبال على أحوال الآخرة وأهوالها ، وهو قول ابن عباس [١]، وقال به مجاهد [٢]،والضحاك [٣]،وقتادة [٤]– رضي الله عنه – .

وذهب إليه الفراء ، و الطبري ، و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، و قدمه الثعلبي ، والسمعاني ، و الرازي والقرطبي ، وابن كثير [٥]، قال به البقاعي ، والشربيني ، والشوكاني ، والقنوجي والسعدي–رحمهم الله تعالى – [٦].

قال الفرّاء : « أتاه أولُ شدة أمر الآخرة، وأشد آخر أمر الدنيا، فذلك قوله : ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ »[٧].

الترجيح

الظاهر – والله تعالى أعلم بالصواب – التفت ساق الدنيا بساق الآخرة ، وهو ما رجّحه الفرّاء و جمهور المفسرين[٨] ؛ لأن (القرآن عربي فيُسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير

والتفسير الكبير (٢٠٥/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١١٢/١٩)، وأنوار التنزيل (٤٢٣/٥)، والبحر المحيط (٣٨١/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٤)، و الجواهر الحسان (٣٦٨/٤)، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٩)، وفتح القدير (٣٤١/٥)، وروح المعاني (١٤٧/٢٩)، والتحرير والتنوير(٣٥٩/١٢).

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٥/٢٩)، ولفظه قال : (الدنيا بالآخرة شدة) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٢/٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٦/٢٩)، ولفظه (التف أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (١٩٦/٢٩)، ولفظه قال : (أهل الدنيا يجهزون الجسد وأهل الآخرة يجهزون الروح) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور "(٣٦٢/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(١٩٦/٢٩)، ولفظه : (ساق الدنيا بالآخرة).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٢) ، وجامع البيان (١٩٨/٢٩)، وتفسير القرآن العزيز (٦٥/٥)، الكشف والبيان (٩٠/١٠)، وتفسير القرآن (١٠٩/٦) ، والتفسير الكبير (٢٠٥/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (١١٢/١٩)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٤).

(٦) نظم الدر(٨ / ٢٥٤) ، والسراج المنير (١٩٣/٨)، وفتح القدير (٣٤١/٥)، وتيسر الكريم الرحمن (٩٠٠/١).

(٧)معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٢).

(٨) فتح القدير (٣٤١/٥).

معانيها)[1] ، والعرب إنما تذكر الساق في المحن ، ومنه قولهم : قامت الحرب على ساقها أي : على شدتها ، وجاءت به أشعارهم ، ومنه قولهم :

أخو الحربِ إنْ عضتْ به الحربُ عضَّها   وإنْ شمرتْ عن ساقِها الحربُ

قال الإمام الطبري : « وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال معنى ذلك : والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلع والذي يدل على أن ذلك تأويله قوله : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[2] والعرب تقول لكل أمر اشتدّ قد شمّر عن ساقه وكشف عن ساقه ... »[3]. والله تعالى أعلم .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) يُنظر : قواعد التفسير (١ / ٢٣٢).

(٢) سورة القيامة : ٣٠ .

(٣) جامع البيان (٢٩/١٩٩) .

قول الله – ﷻ – :﴿ أَيَحْسِبُ ٱلإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدىً ﴾[1].

❁ (٦٨)مسألة : في المخاطب بالآية.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أن المخاطب بالآية جنس الإنسان الكافر .

مجمل ما ذكره في الآية

قال: «﴿ أَيَحْسِبُ ٱلإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدىً ﴾هذا توبيخ ،ومعناه :أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ،ولا جزاء ، فهو كقوله :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[2]، والإنسان هنا جنس ، وقيل: نزلت في أبي جهل [3] ولا يبعد أن يكون سببها خاصاً ومعناها عام »[4] .

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزي موافقًا للطبري [5]، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ،والنسفي [6] وقدّمه الزمخشري ، والرازي [7] ، و وافقهم ابن كثير ،وأبو السعود ، وعطية سالم [8]، وقال به ابن عاشور[9]–رحمهم الله تعالى –

---

(١) سورة القيامة:٣٥.

(٢) سورة المؤمنون:١١٦.

(٣) لم أقف على سبب نزول يخصص الآية بأبي جهل إلا ما أخرجه الطبري بسنده عن قتادة أنه قال : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾وعيد على وعيد كما تسمعون زعم أن هذا أنزل في عدو الله أبي جهل . ذكر لنا أن نبي الله –ﷺ– أخذ بمجامع ثيابه فقال : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾. فقال عدو الله أبو جهل : أيوعدني محمد والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئا والله لأنا أعز من مشى بين جبليها) ، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده عنه في " تفسير القرآن العظيم " (٣٣٨٩/١٠) ح (١٩٠٧٠) ، وذكره السيوطي في " الدر المنثور" (٣٦٣/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) التسهيل (١٦٦/٤).

(٥)جامع البيان (٢٠٠/٢٩).

(٦)تفسير القرآن العزيز (٦٧/٥)، ومدارك التنزيل (٣١٦/٤).

(٧) الكشاف (٦٦٤/٤)، و التفسير الكبير (٢٠٦/٣٠).

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤٥٣/٤)،و إرشاد العقل السليم (٦٩/٩) ، وأضواء البيان (٣٧٦/٨).

(٩)التحرير والتنوير (٣٦٥/١٢)

قال الإمام الطبري : «وقوله ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ يقول تعالى ذكره : أيظن هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملا أن لا يؤمر ولا ينهى ولا يتعبد بعبادة» [1].

القول الثاني : أنَّ المخاطب بالآية أبا جهل . قال به الواحدي ، وابن الجوزي [2] ، وممن ذكره أبو حيّان ، وابن عادل ، والبقاعي ، والشربيني –رحمهم الله تعالى – [3].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول الأول الذي رجَّحه ابن جُزيّ بأن " الإنسان " هنا عام في جنس الإنسان الكافر ، لأن سياق الآيات في السورة مرتبط بتصوير معتقد الإنسان الكافر في مبدئها عند قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[4]، وقوله تعالى﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾[5]، **ومما يؤيده** : حمل الآية على العموم أولى ؛ ليدخل فيه كل كافر مكذب بالبعث سواء كان أبو جهل أو غيره قال ابن عاشور – رحمه الله تعالى- : « قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [6]تكرير وتعداد للإنكار على الكافرين تكذيبهم بالعبث، ألا ترى أنه وقع بعد وصف يوم القيامة وما فيه من الحساب على ما قدّم الإنسان وأخّر . ومعنى هذا مثل قوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[7]»[8] . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١)جامع البيان (٢٩/٢٠٠).

٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣٩٦/٤)، و زاد المسير(٤٢٥/٨).

(٣) البحر المحيط (٣٨١/٨)، واللباب في علوم الكتاب (١٧٦/١٩)، ونظم الدرر (٢٥٦/٨)، والسراج المنير (١٩٥/٨).

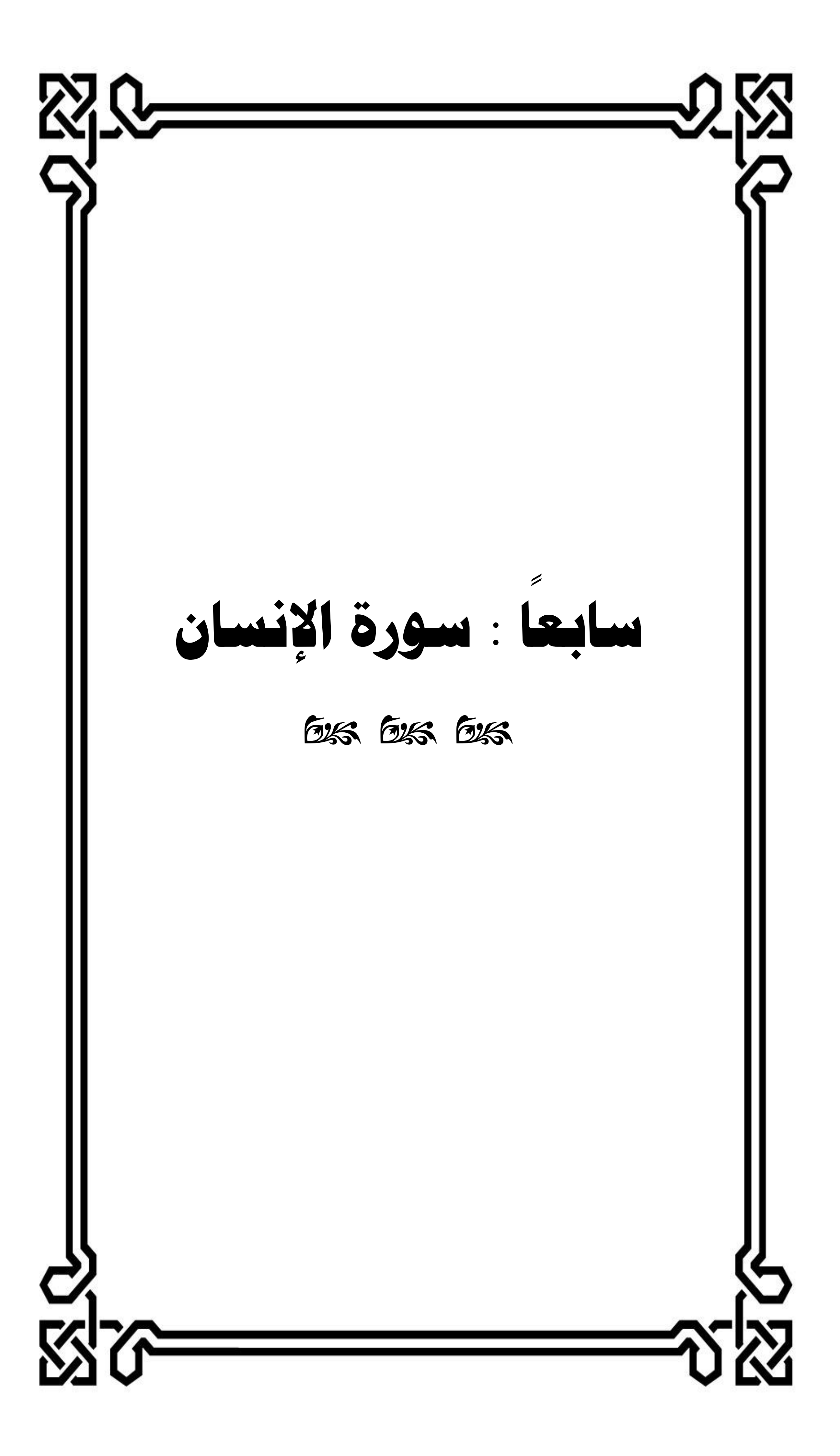
(٤) سورة القيامة:٣.

(٥) سورة القيامة:٣٤.

(٦) سورة القيامة:٣٦.

(٧) سورة المؤمنون:١١٥.

(٨)التحرير والتنوير (٣٦٥/١٢).



سابعاً : سورة الإنسان

قول الله – ﷻ – : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[1]. في الآية مسألتان وهما :

❀ (٦٩)المسألة الأولى : في معنى " هل " .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ " هل " للاستفهام التقريري .

مجمل ما ذكره في الآية

قال : «هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام ، وقيل: هل بمعنى [قد[2]] » [3].

العرض والمناقشة :

في المسألة ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيٍّ موافقًا لمكي بن أبي طالب ، و الزمخشري ، وبيان الحق النيسابوري ، والبيضاوي ، و وافقهم أبو السعود ، و تبعهم الخفاجي ، و القاسمي ، وابن عاشور – رحمهم الله تعالى – [4].

قال مكي : « هل في هذا الموضع خبر لا جحدٌ . وفي الكلام معنى التقرير ، كأنه قال : قد أتى على الإنسان زمن طويل لم يكن شيئًا مذكورًا) [5].

قال الزمخشري : « "هل" بمعنى " قد " في الاستفهام خاصةً ، والأصل "أهل" بدليل قوله :

أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْعِ[6] الْقَاعِ[7] ذِي الأكَمِ[8] [9]

---

(١) سورة الإنسان:١ .

(٢) في المطبوع (قد) والتصويب من "ز" (ب / ٢٢٩) ، و " د" (ب / ٢٣٤).

(٣) التسهيل (١٦٦/٤) .

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٩٠١) ، والكشاف (٦٦٦/٤) ، و وباهر البرهان (٣ / ١٥٩٧) ، وأنوار التتريل (٤٢٥/٥) ، وإرشاد العقل السليم (٧٠/٩) ،وحاشية الشهاب (٩ / ٣٤٩). ومحاسن التأويل (١٠ / ٤٠٥٥) والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٧١).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٩٠١).

(٦) سفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء . يُنظر : لسان العرب (٤٨٥/٢).

(٧) القاع : الأرض صلبة القفاف حرة الطين .يُنظر : لسان العرب (٣٠٤/٨).

(٨) الأكم :جمع أكمة وهي التل أي الجبل الصغير . لسان العرب (٢٠/١٢).

(٩) القائل : زيد الخيل .

فالمعنى :أقد أتى على التقرير والتقريب جميعاً .أي : أتى على الإنسان قبل زمان قريب ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن﴾فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ أي :كان شيئاً منسياً غير مذكور »[1].

وقال بيان الحق النيسابوري : « يمكن تقرير "هل " على وضعه في الاستفهام هاهنا ، كأنه سؤال عن الإنسان هل أتى عليه هذا ؟ فلا بدَّ في جوابه من " نعم " ملفوظًا أو مقدّرًا ، ثم يكون المعنى: إنَّ الأمر كما أنه كذلك، فينبغي للإنسان أن يحتقر نفسه، ولا يرتكب ما قبح له . ويبين هذا ما عدَّد عليه من النعم بعده» [2] .

القول الثاني : أنَّ " هل " بمعنى " قد " على وجه التحقيق . قاله الفرَّاء ، وقال به الطبري والسمرقندي ، وابن أبي زم نين ، والثعلبي ، والبغوي، وابن كثير ، وجلال الدين المحلِّي [3] وقدّمه السمعاني ،والقرطبي، والشوكاني [4]،وحكى الرازي ، وعطية سالم اتفاق المفسرين عليه [5]–رحمهم الله تعالى–

قال الفراء : « معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر . و"هل" قد تكون جحدا، وتكون خبرا . فهذا من الخبر؛ لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته و الجحدُ أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟» [6].

القول الثالث : أنَّ " ه ل " للاستفهام المحض . قال به أبو حيَّان ، وممن أورده القرطبي والسمين الحلبي ، و الألوسي–رحمهم الله تعالى– [7].

قال أبو حيّان : « " هل "حرف استفهام ، فإن دخلت على الجملة الا سمية لم يمكن تأويله بقد ؛لأن قد

يُنظر : المقتضب (٤٤/١)، و روح المعاني (١٥٠/٢٩) ، والتحرير والتنوير(١ / ٢٨٢).

(١) الكشاف (٦٦٦/٤) .

(٢) باهر البرهان (٣ / ١٥٩٧) .

(٣) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٣).جامع البيان(٢٠٢/٢٩)، وبحر العلوم (٥٠٣/٣)، والقرآن العزيز (٦٩/٥)، والكشف والبيان (٩٣/١٠)، و ، ومعالم التنزيل (٤٢٦/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٤)، و تفسير الجلالين (٧٨١/١).

(٤) تفسير القرآن (١١٢/٦)،و الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٩) ، وفتح القدير (٣٤٤/٥)

(٥) التفسير الكبير (٢٠٨/٣٠) ،و أضواء البيان (٢٠٢/٢٩) .

(٦) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٩) ، والدر المصون (٦ / ٤٣٦) ، و روح المعاني (١٥٠/٢٩) .

من خواص الفعل ، فإن دخلت على الفعل ، فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض» [1].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " هل " للاستفهام الذي معناه التقرير ، بمعنى " أقد أتى على الإنسان " فلاستفهام قائم والمراد منه التقرير وليس استفهاما محضا. وهو ما رجَّحه ابن جُزيٍّ ومن معه لأن (جميع الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير)[2]، فالله تعالى يقول : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ ليقر المخاطب : نعم قد مضى زمن طويل لا إنسان فيه .

قال ابن عاشور – رحمه الله – : «﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ استفهام تقريري والاستفهام من أقسام الخطاب ،وهو هنا موجه إلى غير معين ومستعمل في تحقيق الأمر المقرر به على طريق الكناية ؛لأن الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما تقرر به إلى إيماء إلى استحقاق الله أن يعترف الإنسان له بالوحدانية في الربوبية إبطالا لإشراك المشركين . وتقديم هذا الاستفهام لما فيه من تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام » [3].**ومما يُظهر هذا المعنى عدة أمور وهي :**

١. أنَّ هذا القول تظهر فيه نكتةُ بلاغية وه ي إشراك المخاطب في الأمر ليقرر ويجيب بنفسه بخلاف ما لو ذُكر بصور الخبر لكان إخبار من قبل المتكلم نفسه [4].
٢. القول الثالث : ظاهر بطلانه ؛ لأن الاستفهام المحضُّ من الله تعالى محال المتره عن كل نقص فلابد من حمله على الاستفهام التقرير . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) البحر المحيط (٨/٣٨٥).
(٢) قواعد التفسير (٢ / ٥٤٤).
(٣) التحرير والتنوير (١٢ /).
(٤) معاني النحو (٤ / ٢١١).

❁ (٧٠)المسألة الثانية : المراد بالإنسان في الآية

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ المراد بــ " الإنسان " بنو آدم -عليه السلام-

ومجمل ما ذكره في الآية

قال: « والإنسان هنا جنس ، والحين الذي أتى عليه حين كان معدوماً قبل أن يخلق .

وقيل: الإنسان هنا آدم ، والحين الذي أتى عليه حين كان طيناً قبل أن ينفخ فيه الروح . وهذا ضعيفٌ لوجهين:

أحدهما:قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾وهو هنا جنس بالاتفاق إذ لا يصح هنا في آدم- عليه السلام-.

والآخر: أنَّ مقصد الآية تحقير الإنسان» [١].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ، وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن عباس [٢] - رضي الله عنه - ، وما ذهب إليه الزمخشري ، وابن عطية ، والرازي، و وافقهم الثعالبي ، وحسنه ابن عادل ، و قال به الألوسي والقاسمي ، وابن عاشور -رحمهم الله تعالى- [٣].

قال الزمخشري:«والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾» [٤].

وقال الثعالبي:« والإنسان اسمُ جنسٍ أي:إذا تأمل كل إنسان نفسه علم بأنه قد مر حين من الدهر عظيم لم يكن فيه شيء مذكوراً ، وهذا هو القوي إن الإنسان اسم جنس ، وأنَّ الآية جُعلت عبرة لكل

---

(١) التسهيل (٤ / ٣١٠) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٨) ، وعزاه لابن المنذر بلفظ (كل إنسان).

(٣) الكشاف (٦٦٦/٤) ، والمحرر الوجيز (٤٠٨/٥) ، والتفسير الكبير (٢٠٨/٣٠) ، و الجواهر الحسان (٣٧٠/٤) واللباب في علوم الكتاب (٢٠ / ٥) ، و روح المعاني (١٥١/٢٩) ، و محاسن التأويل (١٠ / ٤٠٥٥)، والتحرير والتنوير (١ / ٣٧٢)

(٤) الكشاف (٦٦٦/٤) .

أحد من الناس ليعلم أنَّ الخالق له قادر على إعادته»[1].

القول الثاني : أنَّ المراد " بالإنسان " آدم -عليه السلام- ، وهو مروي عن قتادة [2] . وقال به الطبري وأبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والنسفي والقمي النيسابوري ، وجلال الدين المحلّي – رحمهم الله تعالى – [3].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى -: « والإنسان الذي قال جلَّ ثناؤه في هذا الموضع : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[4] هو آدم -عليه السلام-» [5] .

وحجة هذا القول : إنَّ الله تعالى ذكرَ خلق آدم في هذه الآية ثم عقب بذكر ولده في قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾[6]

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ المراد " بالإنسان " في هذا الموضع بنو آدم-عليه السلام – وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ و من معه ؛ لأنَّ مقصد الآية تحقير الإنسان في بيان أصله حين كان معدوما ؛ ليتفكر في خلقه ، ويُسلم لخالقه القادر على إعادته كما قال تعالى ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[7] .

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير– رحمه الله تعالى – : « قوله تعالى :﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ

---

(١) الجواهر الحسان (٤/٣٧٠) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/٢٠٢) ، ولفظه قال : (إنما خلق الإنسان ها هنا حديثا ما يعلم من خليقة الله خليقة كانت بعد الإنسان)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ص٣٦٦) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) جامع البيان (٢٩/٢٠٢) ، و بحر العلوم (٣/٥٠٣)، و تفسير القرآن العزيز (٥/٦٩) ، و الكشف والبيان (١٠/٩٣) ،و تفسير القرآن (٦/١١٢) ، و معالم التنزيل (٤/٤٢٦) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٩/١١٩) ، و مدارك التنزيل (٤/٣١٦) ، وتفسير الجلالين (١/٧٨١) .

(٤) سورة الإنسان:١.

(٥) جامع البيان (٢٩/٢٠٢) .

(٦) سورة الإنسان : ٢.

(٧) سورة مريم:٦٧.

لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ تعريف الإنسان بحاله وابتداءُ أمره ؛ ليعلم أن لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه،وأن لا يغلطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية والاعتناء الإلهي و التكرمة فيعتقد أنه يستوجب ذلك ويستحقه» [1] . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ نظمَ الآيةِ يتسقُّ بأن اللفظ في الموضعين للجنس.

قال الفخر الرازي – رحمه الله – : «المراد بالإنسان بنو آدم بدليل قوله : ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ ﴾فالإنسان في الموضعين واحد وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن » [2].

٢. أن الله– ﷻ – خلق الخلق وامتحنهم في هذه الدار لتمحيص أعمالهم كما في قول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [3] ، فكان الابتلاء واقعًا على بني آدم وأما ابتلاء آدم عليه السلام فقد تاب إلى الله تعالى فتاب عليه.

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : «ولعل في السياق قرينة تدل على ما قاله ، وهي أن قوله تعالى: ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ قطعاً لبني آدم لأن آدم –عليه السلام– انتهى أمره بالسمع والطاعة ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4]. و لم يبق مجال لابتلائه إنما ذلك لبنيه » [5]. و الله تعالى أعلم.

أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) نظم الدرر (٨ / ٢٥٩) .

(٢) التفسير الكبير (٢٠٨/٣٠).

(٣) سورة المُلك:٢.

(٤) سورة البقرة:٣٧.

(٥) أضواء البيان (٣٧٨/٨) .

قول الله – ﷻ – : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[1].في الآية ثلاث مسائل وهي:

❁ (٧١) مسألة :في معنى " الأمشاج "

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الأمشاج هي: اختلاط الدم ،والبلغم ،والصفراء والسوداء[2] .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « واختلف في معنى الأخلاط هنا فقيل: اختلاط الدم ،والبلغم والصفراء ،والسوداء . وقيل : اختلاط ماء الرجل ،والمرأة ، و رُوى أنَّ عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل ،وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة [3] .

وقيل معناه : ألوان وأطوار ،أي : يكون نطفة ثم ،علقة ،ثم مضغة» [4].

العرض والمناقشة :

---

(١) سورة الإنسان:٢ .

(٢) قال ابن منظور : « لأمشاج أخلاط الكيموسات الأربع وهي: المرار الأحمر ،والمرار الأسود ،والدم ، والمني ». لسان العرب (٣٦٨/٢) .

(٣) لفظ الحديث من رواية عبد اللَّهِ بن مسعود – ﷺ – قال : مَرَّ يهودي بِرَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وهو يحدث أَصْحَابَهُ ، فقالت قُرَيْشٌ : يا يهودي إن هذا يَزْعُمُ أنه نبي ، فقال : لأَسْأَلَنَّهُ عن شيء لاَ يَعْلَمُهُ إلا نبي. قال: فَجَاءَ حتى جَلَسَ ،ثُمَّ قال :يا محمد مِمَّ يُخْلَقُ الإِنْسَانُ؟ ((قال: يا يهودي من كُلٍّ يُخْلَقُ من نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَمِنْ نُطْفَةِ الْمَرْأَةِ ،فَأَمَّا نُطْفَةُ الرَّجُلِ ،فَنُطْفَةٌ غَلِيظَةٌ منها الْعَظْمُ ، وَالْعَصَبُ وأما نُطْفَةُ الْمَرْأَةِ ، فَنُطْفَةٌ رَقِيقَةٌ منها اللَّحْمُ وَالدَّمُ)). فَقَامَ اليهودي فقال : هَكَذَا كان يقول من قَبْلَكَ).

أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده (١/ ٤٦٥) ح (٤٤٣٨).

وأخرجه النسائي في سننه الكبرى . باب صفة ماء الرجل وصفة ماء المرأة (٥/ ٣٣٩) ح (٩٠٧٥).

والطبراني في معجمه الكبير (١٠/ ١٧٢) ح (١٠٣٦٠) بنحوه .

و أخرجه البزار في مسنده (٣٥١/٤) ح (١٥٥٠) عنه بلفظ : (جاء نفر من اليهود إلى النبي – ﷺ – فقالوا يا محمد إن كنت نبيا كما تذكر فأخبرنا من أين الشبه يشبه الرجل مرة أعمامه ومرة أخواله فقال : ((إن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا غلب الشبه)).

قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني والبزار بإسنادين وفي أحد إسناديه عامر بن مدرك وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات وفي إسناد الجماعة عطاء بن السائب وقد اختلط. مجمع الزوائد (٢٤١/٨).

(٤) التسهيل (١٦٦/٤) .

في المسألة أربعة أقوال وهي :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ . وأورده ابن عطية ، وأبو حيَّان ، و الألوسي –رحمهم الله تعالى– [1].

القول الثاني: أنَّ الأمشاج هي : اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ،وهو قولُ ابن عباسٍ [2] – رضي الله عنه – و قال به عكرمةَ [3] ، والحسن [4]. واختاره الإمام الطبري ، واقتصر عليه السمرقندي ، والواحدي وابن العربي ، وابن الجوزي وبيان الحق النيسابوري ، وابن كثير ، والمحلِّي ، وتبعه الصاوي ، وقدَّمه الشوكاني – رحمهم الله تعالى – [5].

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك : ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ نطفة الرجل ،ونطفة المرأة؛ لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج وهي إذا انتقلت فصارت علقة ،فقد استحالت عن معنى النطفة ،فكيف تكون نطفة أمشاجا وهي علقة؟ وأمَّا الذين قالوا : إنَّ نطفة الرجل بيضاء ،وحمراء ،فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد ،وهي بيضاءُ تضربُ إلى الحُمْرَة، وإذا كانت لوناً واحدًا لم تكن ألواناً مختلفة . وأحسب أنَّ الذين قالوا : هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى» [6] .

القول الثالث : أنَّ الأمشاج هي: اختلاط العروق في النطفة ،وهو قول عبد الله بن مسعود [7] – رضي الله عنه – ، وأورده الطبري ، والثعلبي ، والسمعاني ، والزمخشري، وأبو حيَّان –رحمهم الله تعالى– [8].

---

(١) المحرر الوجيز (٥/٤٠٩) ، و البحر المحيط (٨/٣٨٦) ، روح المعاني (٢٩/١٥٢) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٩/٢٠٤) ، ولفظه قال : (ماء المرأة وماء الرجل يمشجان) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٦٧) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم بنحوه .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٢٠٣) ، ولفظه قال : (ماء الرجل وماء المرأة يختلطان) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٢٠٤) ، ولفظه قال:(مشج ماء المرأة مع ماء الرجل) .

(٥) جامع البيان (٢٩/٢٠٥) ، وبحر العلوم (٣/٥٠٣) ، والوسيط(٤ / ٣٩٨) ، و أحكام القرآن لابن العربي (٤/٣٥٢) و زاد المسير (٨/٤٢٨)، و باهر البرهان (٣ / ١٥٩٧) ، والقرآن العظيم (٤/٤٥٤) ، و تفسير الجلالين (١/٧٨١) وحاشية الصاوي (٦/٢٠٩) ، و فتح القدير (٥/٣٤٥).

(٦) جامع البيان (٢٩/٢٠٥) .

(٧) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٢٠٥) ، ولفظه قال : (أمشاجها عروقها) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٦٧) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٨) جامع البيان (٢٩/٢٠٥) ، و الكشف والبيان (١٠/٩٤) ، وتفسير القرآن (٦/١١٢) ، والكشاف (٤/٦٦٧) ، والبحر المحيط

القول الرابع : أنَّ الأمشاج هي : اختلاط ألوان النطفة . وهو مروي عن ابن عباس [(١)]– رضي الله عنه – وقال به مجاهد [(٢)]، وذكره الطبري ، و الثعلبي ، وأبو حيَّان ، والشربيني ، والمراغي – رحمهم الله تعالى- [(٣)].

القول الخامس : اختلاف لون الأطوار ،أي : نطفة ألوان ينتقل إليها يكون نطفة ثم يصير علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم كُسي لحما[(٤)]. وهو مروي عن ابن عباس [(٥)] – رضي الله عنه – ، وقال به عكرمة [(٦)]،و قتادة [(٧)]. وأورده الطبري ، والثعلبي ، والقرطبي، والألوسي ، والمراغي –رحمهم الله تعالى – [(٨)].

الترجيح

الظَّاهر – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ الأمشاج هي: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري –رحمه الله تعالى – لأن؛ الله تعالى وصف النطفة بكونها أمشاج وإذا انتقلت إلى حالة أخرى ،فهي علقة، ولا ينطبق عليها مسمى النطفة ، **ويؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ الله – عز وجل – وصف النطفة بكونها " أمشاج " بالجمع ، ومفردها " مشج " ويطلق في لغة العرب على كل لونين اختلطا . وقيل :هو ما اختلط من حمرة وبياض . وقيل هو كل شيئين

(٣٨٦/٨) .

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه (مختلفة الألوان) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٨/٨) ، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٥/٢٩) ، ولفظه قال : (ألوان النطفة) .

(٣) جامع البيان (٢٠٥/٢٩) ، و الكشف والبيان (٩٤/١٠) ، و البحر المحيط (٣٨٦/٨) ، والسراج المنير(٨ / ١٩٩) وتفسير المراغي (١٠ / ٢٧٤) .

(٤) جامع البيان (٢٠٤/٢٩) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه : (الأمشاج خلق من ألوان خلق من تراب ،ثم من ماء الفرج ،والرحم ،وهي: النطفة ،ثم علقة ،ثم مضغة ،ثم عظما ،ثم أنشأه خلقا آخر، فهو ذلك).

(٦)أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه قال : (نطفة ،ثم علقة ،ثم مضغة ،ثم عظما) .

(٧)أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٤/٢٩) ، ولفظه (أطوار الخلق طورا نطفة ،وطورا علقة ،وطورا مضغة وطورا عظاما ،ثم كسى الله العظام لحما ،ثم أنشأه خلقا آخر أنبت له الشعر) .

(٨) جامع البيان (٢٠٤/٢٩)، والكشف والبيان (٩٤/١٠)، و الجامع لأحكام القرآن (١٢١/١٩)، و روح المعاني (١٥٢/٢٩) وتفسير المراغي (١٠ / ٢٧٤) .

مختلطين والجمع أمشاج [1].

فالله – سبحانه وتعالى– أتى بالكلمة على الجمع دون الإفراد للتنبيه على أسرار هذا الوصف ، فمن المعلوم أنَّ الموصوف يتبع الصفة ،وجاء الوصف بالجمع على خلاف الصفة المفردة؛ لبيان أنَّ لكل خلية تحمل أخلاطاً من الصفات الوراثية ،فالجمع على اعتبار ما تتكون منه هذه النطفة.

قال الدكتور زغلول النجار [2]: « طور النطفة الأمشاج : وهي في اللغة المختلطة ، والنطفة مفرد وأمشاج جمع مشيج ، واستخدم الجمع للتعبير عن خلط أكثر من شيئين ؛لأن الذي يختلط فيها ليس مجرد خليتي التكاثر الذكرية ،والأنثوية ، ولكن ما بداخل كل واحدة منهما من مكونات ،وأهمها الشفرة الوراثية ... » [3] .

٢. إنَّ وصف النطفة بكونها أمشاج مختلطة من مني الرجل والمرأة ليوجه القلوب إلى وحدانية الله تعالى فما من شيء مخلوق إلا وهو قائم على الزوجية في الكون والإنسان والحيوان والنبات والجماد ليتفرد الله تعالى وحده بالوحدانية قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [4].

قال مجاهد – رضي الله عنه– : « قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا ؛لأن الله يقول : ﴿خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾» [5].

وقال الإمام الطبري – رحمه الله – : «يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال وماء أنثى من النساء » [6].

٣. أنَّ هذا القول عام تنتظم تحته كل المعاني المذكورة، وما ورد من عبارات عن السلف فهي تفسير بالمثال فلا تعارض بينها. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) لسان العرب (٢/٣٦٧).

(٢) زغلول راغب محمد النجار . رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة . خلق الإنسان في القرآن الكريم (٥).

(٣) المرجع السابق (١٢٠) .

(٤) سورة النجم ٤٥: – ٤٦.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان " (٢٦/١٣٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٧٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٦)جامع البيان (٢٦/١٣٨).

❁ (٧٢)المسألة الثانية : في معنى نبتليه .

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ الابتلاء هنا بمعنى الا ختبار . والمراد: مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد على أنَّ الحال مقدرة[1] ، فتكون جملة ﴿ نَّبْتَلِيه ﴾ في محل نصب حال من الفاعل.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ نَّبْتَلِيه ﴾أي: نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له.
وقيل :معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة» [2].

العرض و المناقشة:

في المسألة قولان وهما :

القول الأول: ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقًا للطبري ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني ،والبغوي وقدَّمه ابن عطية ، واقتصر عليه النسفي، و وافقهم ابن كثير ، والثعالبي ، وابن عاشور- رحمهم الله تعالى-[3].

قال النسفي : « ﴿ نَبْتَلِيهِ ﴾حال أي:خلقناه مبتلين،أي: مريدين ابتلاءه بالأمر ،والنهي له. ﴿فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾إذا سمع وبصر» [4].

وقال ابن عاشور : «جملة ﴿ نَبْتَلِيهِ ﴾ في موضع الحال من الإِنسان ،وهي حال مقدرة ، أي : مريدين ابتلاءه في المستقبل ، أي :بعد بلوغه طور العقل والتكليف» [5].

---

(١) وهي الحال التي يكون حصولها مقدرا وصاحب هذه الحال لم يكن على تلك الحال زمن الأخبار عنها . دستور العلماء (٤٩/٤).

(٢) التسهيل (١٦٦/٤ ، ١٦٧) .

(٣) جامع البيان (٢٠٥/٢٩)، والقرآن العزيز (٧٠/٥)، وتفسير القرآن (١١٣/٦)، ومعالم التنزيل (٤٢٧/٤)، والمحرر الوجيز (٤٠٩/٥) ،ومدارك التنزيل (٣٠٢/٤)،والقرآن العظيم (٤٥٤/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٨١/١) ، و الجواهر الحسان (٣٧٠/٤) ، والتحرير والتنوير (٣٧٤/١٢) .

(٤) مدارك التنزيل (٣٠٢/٤) .

(٥) التحرير والتنوير (٣٧٤/١٢) .

القول الثاني : معنى الابتلاء هنا بمعنى التصريف أي :﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ بصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة. وهو قول ابن عباس [(١)] - رضي الله عنه -

وقال بجوازه الزمخشري ، والسمين الحلبي ، والشوكاني [(٢)].و ذكره القرطبي ، والبيضاوي ، وأبي حيان والشربيني ، وأبو السعود ، و الألوسي –رحمهم الله تعالى- [(٣)] .

والمعنى على هذا القول : خلقنا الإنسان مُبتلى عند تصريفه في بطن أمه ، على أن الحال مقارنة [(٤)]

وتكون جملة ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ في محل نصب حال من المفعول.

قال الزمخشري : «ويجوز أن يراد : ناقلين له من حال إلى حال ، فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة» [(٥)].

وقال الألوسي : « وقوله تعالى : « ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ حال من فاعل خلقنا والمراد مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد على أن الحال مقدرة أو ناقلين له من حال إلى حال ومن طور إلى طور على طريقة الاستعارة ؛ لأن المنقول يظهر في كل طور ظهورًا آخر كظهور نتيجة الابتلاء والامتحان بعده ، وروى نحوه عن ابن عباس» [(٦)].

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ معنى ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ أي :نختبره ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لدلالة ظاهر القرآن على أنَّ معنى " الابتلاء " الاختبار .

ونظيره قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[(٧)]

[(٧)]**و قوله تعالى** : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾[(١)]. و(لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)[(٢)]

---

(١) لم أقف عليه مسندا ووقفت عليه منسوبا في الكشاف (٦٦٧/٤) ، و البحر المحيط (٣٨٦/٨)، و إرشاد العقل السليم (٧٠/٩) .

(٢) الكشاف (٦٦٧/٤) ، والدر المصون (٦ / ٤٣٨) ، وفتح القدير (٣٤٥/٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢٢/١٩)، وأنوار التتريل (٤٢٥/٥)، والبحر المحيط(٣٨٦/٨)، والسراج المنير (٢٠٠/٨) وإرشاد العقل السليم (٧٠/٩)، وفتح القدير(٣٤٥/٥)، روح المعاني (١٥٢/٢٩).

(٤) الحال المقارنة : هي التي يُقارن زمنها زمن عاملها . معاني النحو (٢ / ٢٤١).

(٥) الكشاف (٦٦٧/٤) .

(٦) روح المعاني (١٥٢/٢٩).

(٧) سورة الأنبياء:٣٥.

بدليل)[2] **ويؤيده عدة أمور وهي:**

١. دلالة اللغة : فإن المشهور في لغة العرب أنَّ الابتلاء معناه الاختبار ، و (في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يُراعى الأغلب و الأشهر و الأفصح دون الشاذ أو القليل) [3].

قال ابن منظور : « بلا بلوت الرجل بلوا و بلاء و ابتليته اختبرته و بلاه يبلوه بلوا إذا جرّ به واختبره » [4].

٢. أنَّ القول الثاني منسوب لابن عباس – رضي الله عنه – . وذكره أهل التفسير في معرض الأقوال بخلاف القول الأول قال به جمع من العلماء ، ويشهد لصحته النظائر القرآنية ، ودلالة اللغة فله من القرائن ما يجعل القول به أولى . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) سورة الصافات:١٠٦.

(٢) قواعد الترجيح (١ / ١٣٧) .

(٣) قواعد التفسير (١ / ٢١٣).

(٤) لسان العرب (٨٣/١٤).

قول الله – ﷻ – : ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[1].

❁ (٧٣)مسألة :في معنى الباء في قوله تعالى :﴿ يَشْرَبُ بِهَا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى الباء للإلصاق . بمعنى المزج ،والخلط .

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿ يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى: يشربها، وهذا ضعيف ؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها ،وإنما هي :كقولك شربت الماء بالعسل ؛لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر» [2].

العرض والمناقشة:

اختُلف في معنى " الباء " على ثلاثة أقوال:

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقاً للزمخشري ، و اقتصر عليه الرازي ،والنيسابوري و وافقهم أبو حيَّان ، والبقاعي ، وصدّره ابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [3].

قال الزمخشري : «فإن قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلاً وبحرف الإلصاق آخراً ؟ قلت : لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكان ا لمعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول : شربت الماء بالعسل» [4] .

القول الثاني : أن " الباء " بمعنى " من " لابتداء الغاية. قال به السمعاني ، واقتصر عليه جلال الدين

---

(١) سورة الإنسان:٦.

(٢) التسهيل (١٦٧/٤) .

(٣) الكشاف (٤/ ٦٦٨) التفسير الكبير (٢١٣/٣٠) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١١) ، البحر المحيط (٣٨٧/٨) ونظم الدرر (٨ / ٢٦٦) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٨١).

(٤)الكشاف (٦٦٨/٤).

المحلّي ، و الشربيني ، وتبعهم الصاوي –رحمهم الله تعالى– [(١)].

القول الثالث : أنَّ الباء زائدة ، والمعنى يشربها. اختاره ابن عطية بقوله : « وقوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ بمنزلة يشربها ،فالباء زائدة، وقال الهذلي[(٢)] : شربن بماء البحر[(٣)] . أي شربن ماء البحر ...» [(٤)].

القول الرابع : القول بتضمين [(٥)] " يشربون " معنى يرتون ، أي : يروى بها عباد الله . قال به الطبري ، وابن القيم ، وابن كثير–رحمهم الله تعالى– [(٦)].

قال الطبري : «وقوله :﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره :كان مزاج الكأس التي يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور في طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة . والعين على هذا التأويل نصب على الحال من الهاء التي في مزاجها ويعني بقوله يشرب بها عباد الله يروى بها وينتقع » [(٧)].

وقال ابن كثير : « ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله، صرفًا بلا مزج بها ؛ولهذا ضمن "يشرب " معنى " يروى" حتى عدّاه بالباء ونصب عيناً على التمييز. قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور» [(٨)].

الترجيح

(١) تفسير القرآن (٦/١١٥) ، وتفسير الجلالين (١/٧٨١) ، و السراج المنير (٨ / ٢٠٤) ، وحاشية الصاوي على الجلالين (٦ / ٢١٠) .

(٢) خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر .شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية ،و الإسلام. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح.توفي نحو(٢٧ هــ).
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (١/١٢٣) ، والأعلام (٢ / ٣٢٥).

(٣) خزانة الأدب (٧/٩٠).

(٤) المحرر الوجيز (٥/٤١٠) .

(٥) التضمين هو : أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة ، ويكون في الحرف ،والفعل ،والاسم ، وفائدة التضمين هي: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين .
يُنظر : الكليات (١/٢٦٦) ، و قواعد التفسير (٢ / ٣٨٦) .

(٦) جامع البيان (٢٩/٢٠٧) ، وبدائع الفوائد (٢/٢٥٩) ، و تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٥) .

(٧) جامع البيان (٢٩/٢٠٧).

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٥) .

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول بالتضمّين ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ يروي بها : وهو ما رجَّحه الإمام الطبري–رحمه الله تعالى– ؛لأن الفعل يشرب إنما يتعدى بـــ " من " فعندما عُدي بالباء لتضمين معنى " يشرب به " يرتوي به " ، وعلى هذا الوجه يكون المعنى أبلغ ؛ ليفيد أنهم يشربون منها ،ويستمتعون بها ،ويرتوون بها . (فالغرض من التضمين إفراغ اللفظين إفراغًا كأن أحدهما سُبك في الآخر .فالمعنى لا يأتيك مُصرحًا بذكره ، مكشوفًا عن وجهه بل مدلولا عليه بغيره)[1] ؛ ولأن (لكل حرف من حروف المعاني وجه هو أولى به من غيره ، فلا يجوز تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة)[2].

قال ابن القيِّم – رحمه الله تعالى – : « وهذا نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾يضمنون يشرب معنى يروي ،فيعدونه بالباء التي تطلبها ،فيكون في ذلك دليل على الفعلين:

أحدهما: بالتصريح به . والثاني : بالتضمُّن والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الا ختصار وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها. ومنه قوله في السحاب :

شربْ ن بماءِ البحرِ حتَّ روَيْ نَ ثمَّ ترفَ عن وصعدن

وهذا أحسن من أن يقال : يشرب منها ،فإنه لا دلالة فيه على الري ، وأن يقال :يروى بها؛ لأنه لا يدل على الشرب بصريحه بل ؛باللزوم ،فإذا قال: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ دلَّ على الشرب بصريحه ،وعلى الري بخلاف الباء فتأمله »[3]. والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم (١ / ١٠٦) .

(٢) قواعد التفسير (١ / ٣٨٦) .

(٣) بدائع الفوائد (٢/٢٥٩) .

قول الله – ﷻ – : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1]

الآية فيها ثلاثة مسائل وهي :

❁ (٧٤)المسألة الأولى : هل الآية خاصة أم عامة ؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الآية و ما بعدها خاصة بعلي بن أبي طالب وفاطمة –رضي الله عنهما–.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال : « ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين –رضي الله عنهم– ، فإنهم كانوا صائمين فلمَّا وضعوا فطورَهم ؛ ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين [2]، والآية على هذا مدنية ؛ لأن عليًا – رضي الله عنه – إنما تزوج فاطمة –رضي الله عنها– بالمدينة. وقيل: إنما هي مكية وليست في علي» [3].

العرض والمناقشة:

القول الأول : ما رجحه ابن جُزيّ موافقًا المروي عن ابن عباس– رضي الله عنهما –[4]، وما قال به الواحدي والزمخشري ، والبيضاوي ، و وافقهم الصاوي –رحمهم الله تعالى– [5].

حكى الزمخشري عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أنه قال: «أنّ الحسن والحسين –رضي الله عنهما– مرضا فعادهما رسول الله – ﷺ –في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر عليٌّ وفاطمةُ وفضةُ –جارية لهما– إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثةَ أيامٍ، فشفُيا وما معهم شيء، فاستقرض علي – رضي الله عنه – من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثَ أصوعٍ من شعيرٍ، فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسةَ

---

(١) سورة الإنسان:٨.

(٢) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (١٣٣/٤) ، ح (١٤٤٣) . قال الترمذي : «هذا حديث مزوق »، نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٢٤٦/١). وقال ابن حجر: «وهذا لا نشك في وضعه ». الكشاف (٤/ ٥٠٥).

(٣) التسهيل (١٦٧/٤) .

(٤) ذكره السيوطي في" الدر المنثور "(٣٧١/٨) ، وعزاه لابن مردويه بلفظ (قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم).

(٥)الوسيط (٤٠١/٤)، والكشاف (٦٧٠/٤)، و أنوار التنزيل (٤٢٨/٥)، وحاشية الصاوي (٢١٠/٦) .

أقراصٍ على عددهم فوضعوها بين أيديهم؛ ليفطروا فوقف عليهم سائلٌ فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماءَ ، وأصبحوا صيامًا فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فآثروه ووقف عل يهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي- ﷺ -بيد الحسن والحسين-رضي الله عنهما- وأقبلوا إلى رسول الله - ﷺ - فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمةَ-رضي الله عنها- في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل، وقال : خذها يا محمد ، هنأك اللّهُ في أهل بيتك فأقرَأه السورة » [1].

وردَّ هذا الحديث جماعة من المفسرين منهم السمعاني ، والقرطبي ، والشربيني ، والخفاجي -رحمهم الله تعالى- [2].

قال القرطبي : « وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة - رضي الله عنهما- ، وجاريتهما حديثًا لا يصح ولا يثبت » [3].

القول الثاني : خاصة بغيرهما ، واختُلف فيه على أقوال :

- أنها خاصة فيمن تكفلّ بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين .

حكى ابن عساكر عن مجاهد -ﷺ- قال: لما صدر النبي -ﷺ- بالأسارى عن بدر اتفق سبعة من المهاجرين على أسارى مشركي بدر، منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح -ﷺ- ، قال: فقالت الأنصار قبلناهم في الله وفي رسوله -ﷺ- ونفوتهم بالنفقة فأخبرته الأنصار رسول الله -ﷺ- فأنزل الله فيهم تسعَ عشرةَ آية ، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[4] إلى قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[5][6] .

قال الألوسي: «لم أره لفرد غيرَ ابن عساكر ولا وثوق لي بصحته،وهو يقتضي مدينة هذه الآيات

(١) الكشاف (٤/٦٧٠).

(٢) تفسير القرآن (٦/١١٦)، و الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٣٠) ، والسراج المنير (٨/٢٠٧)، وحاشية الشهاب (٩/ ٣٥٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٣٠) .

(٤) سورة الإنسان:٥ .

(٥)سورة الإنسان:١٨ .

(٦) أخرجه ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٣٥/٢٨٦) وسنده ضعيف ؛ لإرساله .

وقد علمت الخلاف في ذلك» [١].

- أنها خاصة في مُطعم ابن ورقاء الأنصاري -رضي الله عنه-

ذكره القرطبي بقوله: «إن هذه الآية نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصاري -رضي الله عنه- نذر نذرا فوفى به » [٢].

- خاصة في أبي الدرداء -رضي الله عنه- ، ذكره السمعاني-رحمه الله تعالى- [٣].
- أنها خاصة في أبي الدحداح الأنصاري -رضي الله عنه- صام يوما، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة ، وبقي له ولأهله رغيف واحد فنزلت فيهم هذه الآية .حكاه ابن الجوزي عن مقاتل-رحمهما الله تعالى- [٤].
- وذكر أبو الليث، والثعلبي، والبغوي —رحمهم الله تعالى- أنها خاصة برجل من الأنصار [٥].

القول الثالث : أنَّ الآية عامَّة في جميع الأبرار ، رجَّحه الطبري ، والسمعاني ، والرازي والقرطبي — رحمهم الله تعالى- [٦].

قال السمعاني:« واختلف القول فيمن نزلت هذه الآية،فأصح الأقاويل أن الآية على العموم» [٧].

وقال القرطبي : «وقال أهل التفسير: نزلت في علي وفاطمة -رضي الله عنهما- وجارية لهما اسمها فضة، قلت:والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسناً فهي عامَّة» [٨].

الترجيح

الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — أنَّ الآية عامَّة في جميع الأبرار ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ومن وافقه ؛ لأنَّ الآيات من مبتدأ السورة جاءت بذكر صفات الأبرار ، وحملها على التخصيص

---

(١) روح المعاني (١٥٥/٢٩) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) .
(٣) تفسير القرآن (١١٦/٦) .
(٤) زاد المسير (٤٣٢/٨) .
(٥) بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، و الكشف والبيان (٩٨/١٠) ، و معالم التنزيل (٤٢٨/٤) .
(٦) جامع البيان (٢٠٩/٢٩)،تفسير القرآن (١١٦/٦)، التفسير الكبير (٢١٥/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) .
(٧) تفسير القرآن (١١٦/٦) .
(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٩) .

خلاف الظّاهر .

قال الرازي – رحمه الله تعالى- : «﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ ﴾[1] وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين، والأبرار، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد؛ لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بياناً لحال كل من كان من الأبرار، والمطيعين، فلو جعلناه مختصاً بشخص واحد لفسد نظم السورة» [2]. و (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) . **ومما يؤيد هذا القول عدة أمور وهي :**

١. أنَّ الآيات على عمومها تشمل جميع الأبرار إلى قيام الساعة ، و (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) .
٢. القول بالتخّصيص في شخص بعينه لم يثبت فيه حديث صحيح ، وإنما وردت فيها أقوال لم تثبت صحتها فلا يحتج بها . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) سورة الإنسان:٥.

(٢) التفسير الكبير (٢١٥/٣٠) .

❁ (٧٥)المسألة الثانية : في عود الضمير في قول الله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾

ترجيح ابن جزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الضمير يعود على الطعام .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير للطعام أي: يطعمونه مع حبه ،والحاجة إليه فهو كقوله : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2]، ففي قوله:﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم ،وهو من أدوات البيان . وقيل : الضمير لله وقيل: للإطعام المفهوم من يطعمون . والأول أرجح ،وأظهر» [3].

العرض والمناقشة:

اختُلف في عود الضمير على ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما استظهره ابن جزي موافقًا المروي عن مجاهد[4]،ومقاتل [5] – رضي الله عنهما – واختاره الإمام الطبري [6]، واقتصر عليه أبو الليث ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني والبغوي ورجحه ابن عطية ، و وافقهم أبو حيَّان ، وا بن كثير ، وجلال الدين المحلِّي والبقاعي ، وتبعهم الصاوي وصدّره الشوكاني ، والألوسي ، و ذهب إليه القنوجي ، وقال به السعدي ، وقدّمه ابن عاشور ، و رجحه عطية سالم – رحمهم الله تعالى–[7].

---

(١) سورة آل عمران:.٩١.

(٢) سورة الحشر:٩ .

(٣) التسهيل(١٦٧/٤) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٠٩/٢٩) ، ولفظه قال : (وهم يشتهونه) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٠/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٩/٢٩) ، ولفظه قال :(على حبهم للإطعام).

(٦) جامع البيان (٢٠٩/٢٩).

(٧) بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، وتفسير القرآن (٥/ ٧١) ، و الكشف والبيان (١٠١/١٠) ، وتفسير القرآن (١١٦/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢٨/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، والبحر المحيط (٣٨٨/٨) ،وتفسير القرآن العظيم (٤٥٥/٤) ، وتفسير الج لالين (٧٨٢/١) ، ونظم الدرر (٨ / ٢٦٧) ، وحاشية الصاوي على الجلالين (٢١٠/٦)، وفتح القدير (٣٤٧/٥) ، وروح المعاني (١٥٥/٢٩) ، وفتح البيان (٤٦٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٩٠١/١)، والتحرير والتنوير (٣٨٤/١٢) ، وأضواء البيان (٣٩٤/٨).

قال الإمام الطبري: « وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ يقول تعالى ذكره كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه ،وشهوتهم له» [(١)].

وقال ابن عطية : « وقوله تعالى: «﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ يحتمل أن يعود الضمير على الطعام أي: وهو محبوب للفاقة ،والحاجة،وهذا قول ابن عباس ،ومجاهد ،ويحتمل أن يعود على الله تعالى أي: لوجهه ،وابتغاء مرضاته، قاله أبو سليمان الداراني[(٢)] .والأول أمدح لهم؛ لأن فيه الإيثار على النفس» [(٣)].

القول الثاني: أنَّ الضمير يعود على الله– ﷻ –. والمعنى : ويطعمون الطعام إطعامًا كائنًا على حبه – ﷻ – . قاله الفضيل بن عياض [(٤)] [(٥)]. واختاره أبو السعود بقوله : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي:كائنين على حب الطعام والحاجة إليه كما في قوله تعالى :﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أو على حُبِ الإطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كائنين على حب الله تعالى أو إطعامًا كائنً ا على حبه تعالى. وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾»[(٦)].

وممن أورده البغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيض اوي والنسفي ، والقمي النيسابوري ، والخازن ، وأبو حيَّان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والشوكاني – رحمهم الله تعالى – [(٧)].

القول الثالث: أنَّ الضمير يعود على الإطعام . أي : على حب إطعام الطعام .أورده الثعلبي وابن

---

(١) جامع البيان (٢٠٩/٢٩) .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان . زاهد مشهور . توفي سنة (٢١٥ هـــ).
يُنظر : تذكرة الحفاظ (١٨٣/١) ، ولسان الميزان (٢٨٠/٧) ، و الأعلام (٣ / ٢٩٣) .

(٣) المحرر الوجيز (٤١٠/٥) .

(٤) الكشاف (٦٦٩/٤) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١٩) .

(٥) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها شيخ الحرم المكي، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي . توفي سنة (١٨٧ هـــ) .
يُنظر تهذيب الكمال (٢٨١/٢٣)، والأعلام (١٥٣/٥) .

(٦) تفسير إرشاد العقل السليم (٧٢/٩) .

(٧) معالم التنزيل (٤٢٨/٤) ، و الكشاف (٦٦٩/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و زاد المسير (٤٣٣/٨) ، و التفسير الكبير (٢١٦/٣٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ، و مدارك التنزيل (٣١٧/٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣) ، ولباب التأويل (٦ / ٣٣٤) ، و البحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و تفسير القرآن العظيم (٤٥٥/٤) ، والجواهر الحسان (٣٧١/٤) ، و فتح القدير (٣٤٧/٥) .

عطية ، والبيضاوي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني – رحمهم الله تعالى – [1].

الترجيح

أولى الأقوال بالصوّاب – والله تعالى أعلم– أنَّ الضمير يعود على " الطعام " وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأنَّ الله – ﷻ – ذكر حالهم على وجه التّمدح والثناء عليهم فهم على حبهم للطعام وحاجتهم إليه ونُدرته عندهم إلا أنهم قدّموا محاب الله تعالى على أنفسهم .

قال برهان الدين البقاعي – رحمه الله تعالى – : « ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي : حُبه إياه حباً هو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم ؛لقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه كما قال تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ؛ ليفهم أنهم للفضل أشد بذلاً ، ولهذا قال –ﷺ– : ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم))[2] ، أي : الصحابة –ﷺ– "ولا نصيفه" لقلة الموجود إذ ذاك وكثرته بعد» [3]. و (الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه)[4]. **ويؤيد هذا القول عدة أمور :**

١. فاق حُبُّ الله تعالى في قلوب المؤمنين كلّ حُبٍّ ، فلمَّا كانت حاجتهُم للطعام شديدة وأنفسهم عليه حريصة بذلوه خالصًا لوجه الله تعالى ، فذكر محبتهم لله تعالى ذُكر في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [5] مما يجعل الضمير في ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ عائد على الطعام ؛ لأن(التأسيس أولى من التأكيد) [6].

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله تعالى – : « وفي الآية التي بعدها في هذه السورة قرينة تشهد لرجوعه للطعام على ما تقدم وهي قوله تعالى بعدها : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ ؛

---

(١) الكشف والبيان (٩٦/١٠) ، و المحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ، و إرشاد العقل السليم (٧٢/٩) ، و فتح القدير (٣٤٧/٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي– ﷺ – : ((لو كنتُ متخذاً خليلاً)) (١٣٤٣/٣) ح (٣٤٧٠)، و مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة– ﷺ –، باب تحريم سبِّ صحابةِ رسول الله– ﷺ –(١٩٦٧/٤) ح (٢٥٤٠) .

(٣) نظم الدرر (٨ / ٢٦٧) .

(٤) قواعد الترجيح (٢ / ٦١٢) .

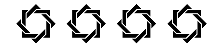
(٥) الإنسان : ٩

(٦) قواعد الترجيح (٢ / ٤٧٣).

لأنها في معنى حب الله مما يجعل الأولى للطعام وهذه لله والتأسيس أولى من التأكيد فيكون ال سياق ويطعمون الطعام على حاجتهم إياه ولوجه الله تعالى» [١].

٢. أنَّ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم [٢] للمعنى مبالغة في صف حالهم. أي : أنَّ إطعامهم للطعام مع شدة حاجتهم إليه ؛ لإظهار معنى البذل مع شدة الحاجة .

قال السيوطي–رحمه الله تعالى– : «التتميم وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم غ ير المراد بفضلة، تفيد نكتة كالمبالغة في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: مع حب الطعام، أي: اشتهائه فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا ، فلو قال : "ويطعمون الطعام مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا " لفات معنى الإيثار على النفس في قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ »[٣] . والله تعالى أعلم.



(١) أضواء البيان (٣٩٤/٨) .

(٢) التتميم : وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة ، وتعطيه نصيبه من الصحة ،ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ،أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره .

يُنظر : الصناعتين الكتابة والشعر (٣٨٩/١) و التعاريف (١٥٩/١) ، وخزانة الأدب وغاية الأرب (٢٧١/١) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢٠٠/٢) .

❀ (٧٦)المسألة الثالثة :في المراد بالأسير في الآية.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ المراد بالأسير " الكافر "

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر ؛لأنه في كل ذي كبد رطبة أجر [(١)] وقيل : نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

والثالث: أنه المملوك.

الرابع: أنه المسجون.

الخامس : أنه المرأة لقوله- ﷺ -:((استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم))[(٢)] وهذا بعيد والأول أرجح ؛ لأنه روي أن النبي -ﷺ- كان يؤتى بالأسير المشرك ،فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول :(له أحسن إليه)[(٣)] »[(٤)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المساقة والشراب ، باب فضل سَقيَ الماء (٨٣٣/٢) ح (٢٢٣٤) ،وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام ، باب فضلِ ساقي البهائم المحترمةِ وإطعامِها (١٧٦١/٤) ح (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر (٥٩٤/١) ح (١٨٥١) ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله – ﷺ – ، باب ومن سورة التوبة (٢٧٣/٥ ، رقم ٣٠٨٧) . والنسائي في الكبرى ، الوصية بالنساء ، كيف الضرب (٣٧٢/٥) ح (٩١٦٩) .

قال الترمذي : حسن صحيح ، و قال الألباني : ورجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن عمرو فقال ابن القطان : (مجهول الحال) . وأما ابن حبان فذكره في (الثقات) (٧٠/١) لكن للحديث شاهد من حديث عم أبي حرة الرقاشي . أخرجه أحمد (٥ / ٧٢ – ٧٣) من طريق حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه به نحوه وعلي ابن زيد هو ابن جدعان وفيه ضعف لكن لا بأس به في الشواهد فالحديث بمجموع الطريقين حسن إن شاء الله تعالى . إرواء الغليل (٧ / ٩٦ – ٩٧) .

(٣) وقفت عليه منسوباً بغير إسناد إلى الحسن في الكشاف (٦٦٩/٤) ، و أنوار التتريل (٤٢٧/٥) ، و تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (١٣٣/٤)، وإرشاد العقل السليم (٧٢/٩)، و روح المعاني (١٥٥/٢٩).

(٤) التسهيل (١٦٨/٤).

العرض والمناقشة:

في المسألة ستة أقوال ، وهي :

القول الأول : ما رجحه ابن جُزيّ موافقًا لقول عكرمة [١]، والحسن [٢] ، وقتادة [٣] -رضي الله عنهم- .
وما ذهب إليه الجصاص ، وابن أبي زمنين ، و وافقهم أبو حيان-رحمهم الله تعالى- [٤] .

وأورده الطبري ،و أبو الليث ، والثعلبي ، و الماوردي ،والسمعاني ،والبغوي والزمخشري ،وابن عطية وابن الجوزي ،والقرطبي ،و البيضاوي ،والقمي النيسابوري ،والخازن وابن كثير ،وابن عادل والثعالبي والألوسي – رحمهم الله تعالى –[٥].

قال الجصاص: « الأظهر الأسير المشرك لأن ؛المسلم المسجون لا يسمى أسيراً على الإطلاق» [٦].

وقال أبو حيَّان : «والأسير معروف وهو من الكفار قاله قتادة»[٧] .

القول الثاني : إنَّ الأسير المسلم ، وهو قول سعيد بن جبير [٨] ومجاهد[٩]- رضي الله عنهما- .
وذكره السمرقندي ، والثعلبي ، والماوردي ،والقرطبي ،والقمي النيسابوري ،و الخازن و أبو حيَّان ،و الألوسي-رحمهم الله تعالى-[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢١٠/٢٩) ، ولفظه قال: (كان الأسرى في ذلك الزمان المشرك) .

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(٢١٠/٢٩) ، ولفظه قال : (ما كان أسراهم إلا المشركين) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٠٩/٢٩) ، ولفظه قال : (لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك) .

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٠/٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٧١/٥) ، و البحر المحيط (٣٨٨/٨) .

(٥) جامع البيان (٢١٠/٢٩) ، و بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، والكشف والبيان (٩٦/١٠) ، والنكت والعيون (٦ / ١٦٦) وتفسير القرآن (١١٦/٦) ، ومعالم التنزيل (٤٢٨/٤) ، والكشاف (٦٦٩/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و زاد المسير (٤٣٢/٨) ، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ، وغرائب القرآن (٦/ ٤١٣)، و لباب التأويل (٦ / ٣٣٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥٥، ٤٥٦) ، واللباب في علوم الكتاب (٢٣/٢٠)، والجواهر الحسان (٣٧١/٤) ، وروح المعاني (١٥٥/٢٩) .

(٦) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٠/٥) .

(٧)البحر المحيط (٣٨٨/٨) .

(٨) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢١٠/٢٩) ، ولفظه (وأسيرا من أهل القبلة وغيرهم) .

(٩) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٠/٢٩) ، ولفظه قال :(الأسير المسجون)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٠/٨) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ولبيهقي في شعب الإيمان.

(١٠) تفسير بحر العلوم (٥٠٤/٣) ، والكشف والبيان (٩٦/١٠) ، والنكت والعيون (٦ / ١٦٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣) ، و لباب التأويل (٦ / ٣٣٤) ، و تفسير البحر المحيط (٣٨٨/٨) و وروح المعاني (١٥٥/٢٩) .

القول الثالث : إنَّ المملوك ، نسبه الماوردي لعكرمة [1]- ﷺ-، وأورده الثعلبي ،و والزمخشري وابن عطية ،وابن الجوزي ،و الرازي ،والقرطبي ،و البيضاوي ،والقمي النيسابوري و أبو حيان ،و ابن كثير ،وابن عادل ، وأبي السعود ، والألوسي- رحمهم الله تعالى- [2].

القول الرابع : إنَّ المراد بالأسير المرأة. أورده البغوي ،و الزمخشري ،وابن عطية والرازي والقرطبي والبيضاوي ،والقمي النيسابوري ،وأبو حيَّان ،وابن كثير، و الآلوسي- رحمهم الله تعالى جميعاً- [3].

واستُدل عليه بقول النبي- ﷺ -: ((وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ ليس تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شيئا غير ذلك)) [4] ، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحِيحٌ، ومعْنَى قوْلِهِ عوانٌ: عنْدَكُمْ يعني أَسرى في أَيْدِيكُمْ .

القول الخامس: إنَّ المراد بالأسير " الغريم "، أورده الزمخشري ، والرازي ، والبيضاوي والنيسابوري وأبي حيان ، والألوسي — رحمهم الله تعالى – [5].

واستُدل عليه بقول النبي ﷺ : ((غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك))[6].

القول السادس : إنَّ الأسير الحربي من أهل دار الحرب يؤخذ قهرًا بالغلبة ،أو من أهل القبلة يؤخذ فيحبس بحق . اختاره الإمام الطبري ، وقال به الرازي ،والقرطبي،وأظهره الثعالبي ،و اختاره عطية

(١) النكت والعيون (٦ / ١٦٦)

(٢) الكشف والبيان (٩٦/١٠) ،والكشاف (٦٦٩/٤) ، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥) ، و زاد المسير (٤٣٣/٨)، و التفسير الكبير(٢١٦/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ، وأنوار التتريل (٤٢٧/٥)، وغرائب القرآن (٤١٣/٦) والبحر المحيط (٣٨٨/٨)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٤) ، واللباب في علوم الكتاب (٢٣/٢٠)، وإرشاد العقل السليم (٧٢/٩)، وروح المعاني (١٥٥/٢٩).

(٣) تفسير معالم التتريل (٤٢٨/٤)، الكشاف (٦٦٩/٤)، والمحرر الوجيز (٤١٠/٥)، والتفسير الكبير (٢١٦/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩)، وأنوار التتريل (٤٢٧/٥)، وغرائب القرآن (٤١٣/٦)، والبحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و تفسير القرآن العظيم (٤٥٦/٤) ، وروح المعاني (١٥٥/٢٩) .

(٤) سبق تخريجه : ص ٣١٩ .

(٥) الكشاف (٦٦٩/٤)، التفسير الكبير (٢١٦/٣٠)، و أنوار التتريل (٤٢٧/٥)، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣)، والبحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و روح المعاني (١٥٥/٢٩) .

(٦) وقفت عليه منسوبًا في الكشاف (٦٦٩/٤) ، والتفسير الكبير (٢١٦/٣٠) ، و روح المعاني (١٥٦/٢٩) .
قَالَ الْوَلِيّ الْعِرَاقِيّ: لم أَقف عَلَيْهِ . الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (٣ / ١٠٧٠) .

سالم– رحمهم الله تعالى– [1].

قال الإمام الطبري : « والصواب من القول في ذلك أن يقال إنَّ الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وصفت صفته واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين ، وقد عم الخبر عنهم أنهم يطعمونهم؛ فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له»[2].

الترجيح

القول الراجح – والله تعالى أعلم بالصَّواب – أنَّ الأسير يطلق على الأخيذ قهرًا سواء كان مسلمًا أم حربيًا ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري–رحمه الله تعالى– ومن وافقه ؛ لأن (النكرة في سياق الامتنان تعم)[3] ، و الحمل على العموم أولى . **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. سمي الأسير بذلك ؛لأنه شُدَّ بالقيد ثم أُطلِق على الأخيذ قهراً ،وإن لم يُشد .

قال أبو البقاء الحسيني [4]:«الأسير المأخوذ قهراً أصله الشد ،فإن من أُخذ قهراً شُدَّ غالباًفسمي المأخوذ أسيرًا وإن لم يشد» [5] .

٢. صحة إطلاق مسمى الأسير على المسلم والكافر جاء مقررا في الشريعة وهذا بيانه :

- جاء بيان أحكام المحرب إذا وقع في أيدي المسلمين ومن ذلك قول الله – ﷻ – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[6]والآية ظاهرة الدلالة في أسرى الكفار .
- ومن السنة ما رواه أبو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال :((عَجِبَ اللَّه من قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ في السَّلَاسِلِ)) [7].

---

(١) جامع البيان (٢١٠/٢٩)، التفسير الكبير (٢١٦/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (١٢٩/١٩) ،و الجواهر الحسان (٣٧١/٤) ، أضواء البيان (٣٩٤/٨) .

(٢) تفسير جامع البيان (٢١٠/٢٩) .

(٣) قواعد التفسير (٢ / ٥٤٨).

(٤) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء،كان من قضاة الاحناف . عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة (١٠٩٤ م) . الأعلام (٢ / ٣٨).

(٥) الكليات (١١٤/١)، وأنيس الفقهاء (١٨٨/١)، والمفردات في غريب القرآن (١٧/١) .

(٦) سورة الأنفال:٧٠.

(٧)أخرجه البخاري في " صحيحه " ، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَاب الْأُسَارَى فِي السَّلَاسِلِ (١٠٩٦/٣) ح (٢٨٤٨)

قال ابن حجر – رحمه الله – : « يحتمل أن يكون المراد المسلمين المأسورين عند أهل الكفر يموتون على ذلك أو يقتلون» [(١)]

- ما جاء في حكم الباغي وهو : الْخَارِجُ عن الْإِمَامِ الْحَقِّ [(٢)] ، إذا ظفر به الإمام فهو أسير عنده ، إلا أنه لا يعامل كالأسير الحربي ، وقد وردت عبارات الفقهاء على هذا الوصف في بيان حكم أسرى البغاة .

قال أبو إسحاق الحنبلي[(٣)] : «ولا تسبى لهم ذرية ومن أسر من رجالهم حبس حتى تنقضي الحرب ،ثم يرسل ،وإن أُسر لم يكفروا ببغيهم . وقتلهم وعصمة الأموال تابعة لدينهم ولا تسبى لهم ذرية لا نعلم فيه خلافا لأحد ؛لأنهم لم يحصل منهم سببٌ أصلا بخلاف أهل البغي فإنه وجد منهم البغي والقتال» [(٤)].

- إنَّ تفسير السلف بأنه لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك لا يفهم منه تخصيص المشركين دون غيرهم، بل هو و صف لحال الأسرى وقت نزول القرآن، وقد أمر النبي- ﷺ - بفك العاني بقوله : ((فُكُّوا الْعَانِيَ))[(٥)].

وهذا دليل على صحة إطلاق الوصف على المسلم المأخوذ قهراً والخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : « وأما قول من قال: لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك ، فإن ذلك وإن كان كذلك ،فلم يخصص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ ،وإنما هو خبر من الله عن كل من كانت هذه صفته يومئذ ،وبعده إلى يوم القيامة ، وكذلك الأسير معني به أسير المشركين والمسلمين يومئذ ،وبعد ذلك إلى قيام الساعة» [(٦)] .

٢. إنَّ إطلاقَ " الأسير "على المملوك ،والمرأة ، والغريم تجوّزًا وليس على حقيقته . فهو من باب التفسير بالمثال ، وليس معناه قصر اللفظ عليه ، ومسمى " المسكين " في الآية يشملهم . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) فتح الباري (١٤٥/٦) ،و عمدة القاري (٢٥٨/١٤).

(٢) البحر الرائق البحر الرائق (١٥١/٥).

(٣) إبراهيم بن محمد بن مُفلِح الراميني الأصل، الدمشقي، أبو إسحاق، برهان الدين ، ولد سنة (٧٤٩هـ) شيخ الحنابلة في عصره. من كتبه (طبقات أصحاب الإمام أحمد ،و كتاب الملائكة) . توفي سنة (٨٠٣ هـ).
يُنظر : المقصد الأرشد (٢٣٧/١)، و الأعلام (١ / ٦٤).

(٤) المبدع في شرح المقنع (١٦٣/٩) . ويُنظر : شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، (٣٩١/٣) ومطالب أولي النهى (٢٧٠/٦).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، بَاب فَكَاكِ الْأَسِيرِ (١١٠٩/٣) ح (٢٨٨١) .

(٦) جامع البيان (٢١٠/٢٩) .

قول الله – ﷻ – : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[1].

(٧٧)مسألة : في معنى﴿قَمْطَرِيرا﴾.

ترجيح ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أن معنى " القمطرير " الطويل.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال: «﴿ قَمْطَرِيرا﴾قال ابن عباس[2] –رضي الله عنه– معناه: طويل . وقيل : شديد» [3].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ، وهما :

القول الأول : ما رجحه ابن جُزي موافقًا لقول ابن عباس – رضي الله عنه – ، ولما ذهب إليه ابن كثير – رحمه الله تعالى – بقوله : « وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس – رضي الله عنه– » [4].

وممن أورده ابن الجوزي، والنيسابوري، والخازن، والبقاعي، والألوسي– رحمهم الله تعالى – [5].

القول الثاني: معنى" قمطرير" الشديد . وهو قول مجاهد [6]، وقتادة [7] . وقال به السمرقندي والزمخشري [8] ، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي والسمعاني ، والبغوي ، والبيضاوي

---

(١) سورة الإنسان:١٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٣٩١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور(٨/٣٧٢) ، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) التسهيل (٤/١٦٨) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٦).

(٥) زاد المسير (٨/٤٣٤) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٣) ، ولباب التأويل(٦/ ٣٨٣) ، ونظم الدرر (٨/٢٦٩) ، و روح المعاني (٢٩/١٥٦) .

(٦) ذكره عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٢) ، وعزاه لعبد بن حميد بلفظ قال : (تقبض الوجوه بالسوء وفي لفظ انقباض ما بين عينيه ووجهه) .

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٢) ، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد بلفظ قال : (يوما تقبض فيه الحياة من شدته) .

(٨) بحر العلوم (٣/٥٠٤) ،و الكشاف (٤/٦٦٩).

والبيضاوي والنسفي ، و جلال الدين المحلّي ، وأبي السعود ، والقاسمي [١] ، وقدّمه الشوكاني ، وابن عاشور [٢]– رحمهم الله تعالى –.

قال الزمخشري : «والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه . قال الزجاج : يقال : اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها ،وجمعت قطريها ،وزمت بأنفها فاشتقه من القطر ، وجعل الميم مزيدة . قال أسد بن ناعصة [٣]:

وَاصْطَلَيْتُ الْحُرُوبَ فِي كُلِّ يَوْم   بَاسِلَ الشَّرِّ قَمْطَرِيرَ الصَّبَاحِ »[٤] .

الترجّيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصوّاب – أنّ كلا المعنيين يحتملهما اللفظ ويفسر بهما ؛لأن المعنيين لا تضاد بينهما ،فهما ألفاظ متقاربة لمعنى واحد ،و (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها) [٥].**و مما يؤيده :**

النظائر القرآنية : فقد وصف الله – عزَّ وجلَّ – يوم القيامة بشدته في مواضع عديدة منها :
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٦]، [٦]، وقال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[٧]، وكذلك وصفه بالطّ ول في في قوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[٨].

---

(١) تفسير القرآن العزيز (٧١/٥) ، والكشف والبيان (٩٧/١٠) ، و الوسيط (٤ / ٤٠٢) ، و تفسير القرآن (١١٧/٦) و معالم التنزيل (٤٢٩/٤) ، و أنوار التنزيل (٤٢٧/٥) ،و مدارك التنزيل (٣٠٣/٤) ، و تفسير الجلالين (٧٨٢/١) و إرشاد العقل السليم (٧٢/٩) ، و محاسن التأويل(١٠/ ٤٠٥٧).

(٢) فتح القدير (٣٤٨/٥) ، و التحرير والتنوير (١٢ / ٣٨٧).

(٣) أسد بن ناعصة بن عمرو التنوخي . شاعر جاهلي. كان أهل بيته على النصرانية. الأعلام (١ / ٢٩٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣٦/١٩) ، والبحر المحيط (٣٨٤/٨) .

(٥) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

(٦) سورة غافر:١٨.

(٧) سورة المدَّثر :٩ –١٠.

(٨) سورة الحج:٤٧.

قال الإمام الطبري — رحمه الله تعالى - : «يقول تعالى ذكره : مخبراً عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة ،والحاجة ما نطعمكم طعامًا نطلب منكم عوضاً على إطعامنا لكم جزاءً ،ولا شكورًا ولكنّا نطعمكم رجاء منّا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، ويطول بلاء أهله ،ويشتد، والقمطرير:هو الشديد ، يقال: هو يوم قمطرير، أو يوم قماطر، ويوم عصيب ،وعصبصب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً ، وذلك أشدُّ الأيامِ ،وأطولهُ في البلاء ،والشدة» [1] . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) جامع البيان (٢١١/٢٩).

قول الله – ﷻ – :﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾[1].

❁ (٧٨)مسألة :في معنى ﴿ زَمۡهَرِيرا﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح ابن جُزيٍّ أنَّ الزمهرير هو : البرد الشديد .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾عبارةٌ عن اعتدال ه وائها أي: ليس فيها حر ولا برد، والزمهرير هو البرد الشديد .وقيل: هو القمر بلغة طيء ، والمعنى: على هذا أنَّ للجرِّ ضياء ،فلا يحتاج فيها إلى شمسٍ ولا قمرٍ» [2].

العرض والمناقشة:

للمفسرين في معنى الزمهرير قولان وهما:

القول الأول :ما رجحه ابن جزي موافقًا لقول مجاهد [3] ، وقتادة [4] ، والسُدِّي [5] وعكرمة [6]. وقال به الطبري [7]، وقدمه الثعلبي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والنسفي [8] واقتصر عليه السمرقندي وابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والبغوي [9]، ووافقهم جلال الدين المحلي ، والشوكاني ، وابن عاشور

(١) سورة الإنسان:١٣.

(٢) التسهيل (١٦٨/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢١٤/٢٩) ، ولفظه قال : (الزمهرير البرد المفظِع)، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/٨) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(٢١٤/٢٩) ، ولفظه (قال الله:﴿لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾ يعلم أن شدة الحر تؤذي وشدة القر تؤذي فوقاهم الله أذاهما) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٤/٢٩) ، ولفظه قال : (في الزمهرير إنه لون من العذاب قال الله : ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/٨) ، ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر بلفظ قال : (الزمهرير هو البرد الشديد) .

(٧)جامع البيان (٢١٣/٢٩).

(٨) الكشف والبيان (٩٧/١٠)، والكشاف (٦٧١/٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٧/١٩)، ومدارك التنزيل (٣٠٣/٤).

(٩) تفسير بحر العلوم ،(٥٠٥/٣) ، و تفسير القرآن العزيز (٧١/٥) وتفسير القرآن (١١٧/٦) ، و تفسير معالم التنزيل (٤٢٩/٤) .

مصدرين به أقوالهم [(١)] ، وقال به القاسمي ،و السعدي[(٢)]-رحمهم الله تعالى -

قال الإمام الطبري : «وقوله:﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيؤذيهم حرها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البرد الشديد فيؤذيهم بردها» [(٣)].

واستُدل عليه بقول النبي- ﷺ -: ((إذا اشْتَدَّ الْحَرُّ ،فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ ،فإن شِدَّةَ الْحَرِّ من فَيْحِ جَهَنَّمَ وَاشْتَكَتْ النَّارُ إلى رَبِّهَا فقالت:يا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا ،فَأَذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ في الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ ،فَهُوَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الْحَرِّ ،وَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الزَّمْهَرِيرِ)) [(٤)].

القول الثاني : أنَّ " الزمهرير" هو القمرُ بلغة طيىء . والمعنى :﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ كشمس الدنيا ولا قمرًا كقمر الدنيا . أي : أنهم في ضياء مستديم .

أورده الثعلبي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، وا لبيضاوي ، والنسفي وأبو حيَّان وجلال الدين المحلِّي ، و ابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والأ لوسي ، وابن عاشور-رحمهم الله تعالى- [(٥)].

الترجِّيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصَّواب – أنَّ " الزمهرير " هو البرد الشديد ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأنه الظاهر من اللفظ .

قال ابن جُزي في وجوه الترجيح : « أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره

---

(١) تفسير الجلالين (٧٨٢/١)، و فتح القدير (٣٤٩/٥) ، والتحرير والتنوير (١٢ /٣٨٩) .

(٢) محاسن التأويل (١٠ / ٤٠٥٧)، و تيسير الكريم الرحمن (٩٠١/١) .

(٣) تفسير جامع البيان (٢١٣/٢٩).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كِتَاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ وَقَوْلِهِ ﷻ :﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ باب : الإبراد بالظهر في شدة الحر ، (١٩٩/١)، ح (٥١٢) .

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٩٨)، والكشاف (٦٧١/٤) ، و زاد المسير (٤٣٥/٨) ، و التفسير الكبير (٣٠/ ٢١٨) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٣٨) ، و أنوار التنزيل (٤٢٨/٥) ، و مدارك التنزيل (٣١٨/٤) ، و البحر المحيط (٣٨٨/٨) ، و تفسير الجلالين (٧٨٢/١) ، واللباب (٢٠ / ٢٩) ، و إرشاد العقل السليم (٧٣/٩) ، و فتح القدير (٣٤٩/٥) ، و روح المعاني (١٥٨/٢٩) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٣٨٩) .

ورجحانه»[1]. **ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. إطلاق النبي – ﷺ– الزمهرير على البرد الشديد كما في رواية الإمام مسلم قال – ﷺ– : ((فما وَجَدْتُمْ من بَرْدٍ ،أو زَمْهَرِيرٍ ،فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ ،وما وَجَدْتُمْ من حَرٍّ ،أو حَرُورٍ ،فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ))[2] . (وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له) [3].

٢. إنَّ نفي " القمر " جاء بنفي " الشمس " في قوله تعالى :﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ﴾أي : ولا قمرا ، وهو ما يسمى بالاحتباك [4].

قال برهان الدين البقاعي – رحمه الله تعالى – : « فالآية من الاحتباك : دلَّ بنفي الشمس أولاً على نفي القمر ؛ لأن ظهوره بها ولأن نوره اكتساب من نور الشمس ، ودلَّ بنفي الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانياً على نفي الحر الذي سببه الشمس ، فأفاد هذا أنَّ الجرَّ غنية عن النيرين لأنها نيرة بذاتها ،وأهلها غير محتاجين إلى معرفة زمان ؛لأنه لا تكليف فيها بوجه ، وأنها ظليلة ،ومعتدلة دائماً ؛لأن سبب الحرَّ الآن قرب الشمس من مسامتةالرؤوس ، وسبب البرد بعدها عن ذلك» [5].

٣. هذا القول عليه جُلُّ عبارات المفسرين من السلف ، و تفسيرهم حجة على من بعدهم . والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) التسهيل (٩/١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الاستحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه ، (٤٣٢/١) ، ح (٦١٧) .

(٣) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ٢٠٦) .

(٤) الاحتباك هو : من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب و الاحتباك من ألطف أنواع البديع وأبدعها وقد يسمى حذف المقابل وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ينظر : التعريفات (٢٥/١) ، و خزانة الأدب (٢٤٢/٣) ، والإتقان في علوم القرآن (١٦٤/٢) ، وكتاب الكليات (٥٧/١) .

(٥) نظم الدرر (٢٧٠/٨) .

قول الله –ﷻ– : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِءَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [1].

(٧٩)مسألة : كيف يتفق كون القوارير من زجاج ومن فضة؟

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ أصل القوارير من فضةٍ وتشبه الزجاج في صفائها.

ومجمل ما ذكره في الآية

قال : «القوارير هي الزجاج فإن قيل :كيف يتفق أنها زجاج مع قوله : ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾؟ فالجواب :أنَّ المراد أنها في أصلها من فضةّ، وهي تشبه الزجاج في صفائها وشفافيتها. وقيل: هي من زجاج وجعلها من فضةّ على وجه التشبيه لشرف الفضةّ وبياضها»[2].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ،وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقا لقول مجاهد [3]، والحسن [4]، وقتادة [5]. واختاره الطبري [6]، وقال به ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري والبيضاوي [7] وقدَّمه ابن عطية ، والقرطبي [8]، و وافقهم أبو حيان مقتصرا عليه ، و تبعه جلال الدين المحلي والشوكاني ، وابن عاشور ، ونصَّ عليه الشيخ عطية سالم [9].– رحمهم الله تعالى –

---

(١) سورة الإنسان:١٥ –١٦ .

(٢) التسهيل (١٦٨/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢١٧/٢٩) ، ولفظه (قال : على صفاء القوارير وبياض الفضة) .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢١٦/٢٩)، ولفظه (قال: صفاء القوارير في بياض الفضة) .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) ، ولفظه (قال : هي من فضة وصفاؤها صفاء القوارير في بياض الفضة) .

(٦)جامع البيان (٢١٦/٢٩) .

(٧) تفسير القرآن العزيز (٧٢/٥) ، و الكشف والبيان (١٠٣/١٠) ، والوسيط (٤ / ٤٠٣)، ومعالم التنزيل (٤٢٩/٤) ، و الكشاف (٦٧٢/٤)، وأنوار التنزيل (٤٢٩/٥).

(٨)المحرر الوجيز (٤١٢/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٠/١٩) ،

(٩) البحر المحيط (٣٨٩/٨) ، وتفسير الجلالين (٧٨٢/١)، وفتح القدير (٣٥٠/٥) ، و التحرير والتنوير (١٢ / ٣٩٢) ، و أضواء البيان (٣٩٥/٨) .

قال الإمام ابن جرير : « يقول تعالى ذكره : قوارير في صفاء الصفاء من فضة الفضة من البياض» [(١)].

وقال الشيخ عطية سالم : « والقوارير:جمع قارورة. والعرب تطلق القارورةَ على إناء الزجاج خاصة ولكن الآية صريحة في أنها قوارير من فضةٌ مما يدل على صحة إطلاق القارورة على غير آنية الزجاج كالفضةٌ مثلاً» [(٢)].

القول الثاني : أنَّ " القوارير " من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه ؛ لشرف الفضة وبياضها . قاله الفراء ،وابن قتيبة ، و بيان الحق ، وابن ناقيا [(٣)] [(٤)]. وأورده ابن الجوزي ،وبرهان الدين الدين البقاعي-رحمهم الله تعالى- [(٥)].

قال ابن قتيبة : «...فأعلمنا أنّ هناك أكوابًا لها بياض الفِضَّة ، وصفاءُ القوارير، وهذا على التشبيه أراد قواريرا كأنها من فضة ، كما تقول : أتانا بشراب من نور .أي : كأنه نور» [(٦)].

و قال أبو القاسم ابن ناقيا : « يعني أنها كالقوارير في صفائها وشفيفها ورفيفيها ؛ وهي من فضّة فهذا على التشبيه و إن لم يذكر حرفه » [(٧)].

الترجّيح

القول الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ أصل "القوارير" من فضة ، وتشبه الزجاج في صفائه ورقته ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛لأنه (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) [(٨)].

فالآية صريحةُ الدلالة في كونها من فضة و" من " هنا لبيان الجنس ، أي : هي من جنس الفضةٌ لا أنها تشبه الفضةٌ .

---

(١) جامع البيان (٢١٦/٢٩) .

(٢) أضواء البيان (٣٩٦/٨) .

(٣) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٧) ، و تأويل مشكل القرآن (٨٠) ، وباهر البرهان (٣ / ١٦٠٢) ، والجمان في تشبيهات القرآن (٤٠٥).

(٤) عبد الله بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا ، المعروف بالبُندار ، أبو القاسم، ولد سنة (٤١٠ هــ) كان شاعرا وكاتباً ، وأديباً ، ولغويّاً ، ومؤلفاً مصنفاً في شتى العلوم . توفي سنة ٤٨٥ هــ .

يُنظر : الأعلام (٤ / ١٢٢) ، والجمان في تشبيهات القرآن (١٦).

(٥) زاد المسير (٤٣٦/٨)، و نظم الدرر (٨ / ٢٧١) .

(٦) تأويل مشكل القرآن (٨٠).

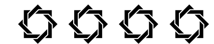
(٧)الجمان في تشبيهات القرآن (٤٠٥).

(٨) قواعد الترجيح (١ / ١٣٧).

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : « فالقوارير هي :الزجاج فأخبر– سبحانه وتعالى – عن مادة تلك الآنية أنها من الفضةّ وأنها بصفاء الزجاج ،وشفافيته ،وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها ،وقطع – سبحانه– توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال :﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ » (1).

و الأصل في نصوص القرآن والسنة أن تُحمل على ظواهرها وتُفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو يوافق القاعدة الترجيحية : (لا يجوز أن يُعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه) (2)

قال ابن كثير – رحمه الله – : « قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا » (3).والله تعالى أعلم.



(١) حادي الأرواح حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/١٣٣).

(٢) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ١٣٧) .

(٣)تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٧).

قول الله -ﷻ- : ﴿ فَوَارِيرَاْ مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ [1].

❁ (٨٠)مسألة : معنى قدَّروها في قول الله تعالى :﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾.

ترجِّيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنَّ معنى ﴿ قَدَّرُوهَا﴾ أي : قدَّروها على قدر ريّهم لا يزيد ولا ينقص.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ هذه صفة للقوارير . والمعنى: قدَّروها على قدر الأكف أو على قدّ ر ما يحتاجون من الشراب. قال مجاهد: هي لا تغيض ولا تفيض.
وقيل: قدَّروها على حسب ما يشتهون » [2].

العرض والمناقشة :

في المسألة قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيَ موافقًا فيه المروي لقول ابن عباس [3] - ﷺ - ، وقال به مجاهد [4] والحسن [5]، و قتادة [6]. و قدّمه الطبري ، والقرطبي [7]، واقتصر عليه البغوي [8] و وافقهم وافقهم ابن كثير ، و جلال الدين المحلّي ، والمراغي ، و ابتدأ به ابن عاشور [9]- رحمهم الله -.

قال الإمام الطبري : «وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ يقول : قدروا تلك الآنية التي يطاف عليهم بها تقديرا على قدر ريهم لا تزيد ولا تنقص عن ذلك» [10].

---

(١)
(٢) التسهيل (٤/١٦٨،١٦٩) .
(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٩/٢١٧) ، ولفظه قال : (قدرت للكف)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٤) ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث من طريق العوفي عن ابن عباس .
(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٢١٧)، ولفظه قال : (لا تنقص ولا تفيض) .
(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٢١٧) ، ولفظه قال : (قدرت لري القوم) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٤) ، وعزاه لعبد بن حميد .
(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٩/٢١٧) ، ولفظه (قدروها تقديرا لريهم) .
(٧)جامع البيان (٢٩/٢١٧) ،و الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٤١).
(٨) معالم التنزيل (٤/٤٢٩).
(٩) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٧) ، و تفسير الجلالين (١/٧٨٢) ، وتفسير المراغي (٢٨١)، والتحرير والتنوير (١٢/ ٣٩٤) .
(١٠)جامع البيان (٢٩/٢١٧).

وقال ابن كثير : «وقوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي:على قدر ريهم لا تزيد عنه ،ولا تنقص بل هي معدة لذلك، مقدرة بحسب ريِّ صاحبها .... وقاله ابن جرير، وغيرُ واحدٍ، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة، وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: قدرت للكف،وهكذا قال الربيع بن أنس، وقال الضحاك: على قدّر كف الخادم. وهذا لا ينافي القول الأول ،فإنها مقدرة في القدر والري» [1].

القول الثاني : أنهم قدَّروها في أنفسهم ، وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم ،فجاءت حسبما قدَّروها. قدّمه الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وقال به البقاعي وجوزه ابن عاشور [2]- رحمهم الله-.

الترجيح

الراجِّح – والله تعالى أعلم بالصوَّاب – أنَّ معنى " قدَّروها " أي : قُدِّرت لهم على قدر حاجتهم لا تزيد ولا تنقص وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهرة المفسرين ؛ لأن ذلك أبلغُ في وصف نعيمهم . والمعنى الثاني داخل في معناه ،(فالأصل في صفات المدح أن يُنتقل فيها من الأدنى إلى الأعلى) [3].

قال ابن القيِّم – رحمه الله تعالى - : «التقدير جعل الشيء بقدر مخصوص ،فقدرت الصناع هذه الآنية على قدرريهم لا يزيد عليه ،ولا ينقص منه ،وهذا أبلغ من لذة الشارب ،فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامه من الباقي هذا قول جماعة من المفسرين » [4].

ومما يؤيده :

أنَّه قول الجمهور من السلف ، وتفسيرهم حجة على من بعدهم [5]، وقال به أكثر المفسرين .

قال ابن القيم : « وقول الجمهور أحسنُ وأبلغُ وهو مستلزمٌ لهذا القول » [6] .والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٧) .

(٢)الكشاف (٤/٦٧٢)، وأنوار التنزيل (٥/٤٢٩) ، ومدارك التنزيل (٤/٣٠٤)، ونظم الدرر (٨ / ٢٧١) ، والتحرير والتنوير (١٢/ ٣٩٤) .

(٣) يُنظر : قواعد التفسير (١ / ٤٤٦) .

(٤) حادي الأرواح (١/١٣٣) .

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (١ / ٢٧١) .

(٦) حادي الأرواح (١/١٣٤) .

قول الله – ﷻ – : ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [1].

❁ (٨١)مسألة : معنى﴿سَلْسَبِيلًا ﴾.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ هذه العين سلسةٌ مُنقادةُ الجريةِ .

مجمل ما ذكره في الآية:

قال : « ﴿ سَلْسَبِيلًا﴾ معناه : سَلِسٌ منقاد الجرية . وقيل : سهل الانحدارِ في الحلق. يقال: شرابٌ سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد ، وزيدت الباء في التركيب؛ للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية . وقيل: "سل" فعل أمر "سبيلاً" مفعول به . وهذا في غاية الضعف» [2].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقا قول مجاهد [3] ، و قتادة [4]– رضي الله عنهما– وقدّمه السمرقندي ، والبغوي، وقال به ابن الجوزي [5]، ووافقهم القاسمي[6]– رحمهم الله–.

قال البغوي : « ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾قال قتادة : سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا . قال مجاهد: حديدة الجرية .قال أبو العالية ومقاتل بن حيان : سميت سلسبيلا؛ لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان» [7].

---

(١) سورة الإنسان:١٨.

(٢) التسهيل (٤/١٦٩) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢٩/٢١٨) ، ولفظه قال : (حديدة الجرية)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٥) ، وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي . وقد نقله ابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري (٣/٥٠٠) به سندا ومتنا.

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان" (٢٩/٢١٨) ، ولفظه (سلسة مستقيدا ماؤها) .

(٥) بحر العلوم (٣/٥٠٦)، و معالم التنزيل (٤/٤٣٠) ،و تذكرة الأريب (٢/٢٦٣) .

(٦) محاسن التأويل (١٠/ ٤٠٥٨) .

(٧) معالم التنزيل(٤/٤٣٠).

القول الثاني : أنَّ هذه العين سميت ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ ؛لسهولة انحدار مائها في الحلق . قال به الزمخشري وقدمه السمعاني ، والبيضاوي ، و الألوسي ، والمراغي[1]، واقتصر عليه ابن أبي زمنين ، وجلال الدين المحلِّي ، والبقاعي [2]– رحمهم الله– .

قال الزمخشري : « ﴿سَلْسَبِيلًا﴾لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها . يعني : أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة ، ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة . يقال : شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية . ودلت على غاية السلاسة ...» [3].

القول الثالث: أنَّ معنى ﴿سَلْسَبِيلًا﴾أي : سلني سبيلا إليها ، وردَّ هذا القولَ الرازي ،والسّ معاني والزمخشري ،وابن الجوزي ، وأبو حيان ، والألوسي–رحمهم الله تعالى جميعاً– [4].

قال أبو حيان : « وقال بعض المعربين :﴿سَلْسَبِيلًا﴾أمر للنبي– ﷺ – ولأمته بسؤال السبيل إليها وقد نسبوا هذا القول إلى علي– رضي الله عنه – ويجب طرحه من كتب التفسير » [5].

الترجِّيح

الراجِّح – والله تعالى أعلم بالصوّاب – أن " السلسبيل " صفة للعين سميت بذلك؛ لسلاستها في الحلق وفي حال الجري ، وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ، وقال به القرطبي ، ومال إليه ابن كثير ، ودارت عليه ألفاظ ابن عاشور [6]؛لأنَّ (عامَّة ألفاظ القرآن تدل على معنيين فأكثر) [7] ووصف السلاسة ينصرف للماء في حال جريانه أو في حال شربه .

---

(١) الكشاف (٤/٦٧٢)، و تفسير القرآن (٦/١١٩) ، وأنوار التنزيل (٥/٤٢٩)، و روح المعاني (٢٩/١٦٠) ،وتفسير المراغي (١٠/٢٨١).

(٢) تفسير القرآن العزيز (٥/٧٣) ، وتفسير الجلالين (١/٧٨٢) ، ونظم الدرر (٨/٢٧٢).

(٣) الكشاف (٤/٦٧٢).

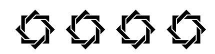
(٤) التفسير الكبير (٣٠/٢٢١) ، و تفسير القرآن (٦/١١٩) ، والكشاف (٤/٦٧٢) ، وزاد المسير (٨/٤٣٨) ، والبحر المحيط (٨/٣٩٠) ، و روح المعاني (٢٩/١٦١) .

(٥) البحر المحيط (٨/٣٩٠) .

(٦) جامع البيان (٢٩/٢٢٠) ، و الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٤٢) ،و تفسير القرآن العظيم (٤/٤٥٧) ،و التحرير والتنوير (١٢/ ٣٩٦).

(٧) قواعد التفسير (٢ / ٧٩٤).

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : «والصوّاب من القول في ذلك عندي أنّ قوله : ﴿تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ صفة للعين وصفت بالسلاسة في الحلق وفي حال الجري وانقيادها لأهل الجنة يصرفونها حيث شاؤوا كما قال مجاهد وقتادة » [1] . والله تعالى أعلم.



(١)جامع البيان (٢٩/ ٢٢٠).

قول الله – ﷻ – : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [1].

❁ (٨٢)مسألة : في المراد بالملك الكبير .

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ المراد "بالملك الكبير" أي : الكثير الوسع .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: «﴿ وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ يعني:كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه حسبما ورد في الحديث [2] . وقيل : أراد أنَّ الملائكة تسلِّم عليهم وتستأذن عليهم ،فهم بذلك كالملوك» [3].

العرض والمناقشة :

في المسألة خمسةُ أقوال وهي :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ . و ذكره الثعلبي ، و السمعاني ، والزمخشري ، والرازي والقرطبي– رحمهم الله تعالى– [4].

القول الثاني : أنّ المراد " بالملك الكبير " استئذانُ الملائكة عليهم . وهو قول مجاهد [5]، و سفيان [6]

(١) سورة الإنسان:٢٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الإيمان ، بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فيها (١٧٦/١) ح (١٨٩) ولفظه (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ ما أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قال : هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ،فَيُقَالُ له ادْخُلْ الْجَنَّةَ ،فيقول : أَيْ رَبِّ كَيْفَ وقد نَزَلَ الناس مَنَازِلَهُمْ ،وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ له : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لك مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فيقول: رَضِيتُ رَبِّ، فيقول: لك ذلك وَمِثْلُهُ ،وَمِثْلُهُ ،وَمِثْلُهُ ،وَمِثْلُهُ ، فقال في الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فيقول : هذا لك ،وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ،وَلَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ،فيقول: رَضِيتُ رَبِّ .قال رَبِّ : فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قال :أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ،وَخَتَمْتُ عليها ،فلم تر عين ،و لم تَسْمَعْ أُذُنٌ ،و لم يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ. قال :ومصداقه في كِتَابِ اللَّهِ عز وجل ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الْآيَةَ

(٣) التسهيل (١٦٩/٤) .

(٤) جامع البيان (٢٢١/٢٩)، والكشف والبيان (١٠٤/١٠)، وتفسير القرآن (١٢٠/٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٤/١٩).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٢١/٢٩)، ولفظه قال : (تسليم الملائكة) .

(٦) أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق) (٢٢١/٢٩)، ولفظه قال : (استئذان الملائكة عليهم) .

. وقال به ابن أبي زمنين ، والواحدي [١] وقدّمه الثعلبي والبغوي [٢].- رحمهم الله-.

قال ابن أبي زمنين : « ﴿رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ الملكُ من عند ربه إلى الرجل من أهل الجنة بالتحفة والهدية الله فلا يدخل حتى يستأذن فيقول : البوّاب سأذكره للبوّاب الذي يليني فيذكره للذي يليه حتى يبلغ البواب الذي يلي ولي الله .فيقول له: ملكٌ بالباب يستأذن .فيقول: ائذنوا له فيؤذن له فيدخل .فيقول: إن ربك يقرئك السلام ويخبره أنه عنه راضٍ ومعه التحفة فتوضع بين يديه»[٣].

القول الثالث :أنَّ " الملك الكبير " عبارة عن التيجان على رؤوسهم . أورده السمرقندي والقرطبي وأبو حيان ، والألوسي- رحمهم الله تعالى- [٤].

القول الرابع : بأنَّه ملك لا زوال فيه . ذكره الثعلبي ، والزمخشري ، والرازي والقرطبي - رحمهم الله تعالى- [٥].

القول الخامس : أنَّه ملك المشيئة والتكوين فإذا أرادوا شيئا قالوا له كن . ذكره القرطبي وأبو حيان والشربيني ، و الألوسي- رحمهم الله تعالى- [٦].

الترجّيح

الأولى – والله تعالى أعلم بالصواب – حمل اللفظ على جميع المعاني الواردة ،ولا وجه للتخصيص؛ لأن المعاني الواردة أمثلة للعموم ، وإنعام الله عز وجل لعباده أكبر من أن تصفه عبارة ، وقد أخبر رسول اللَّهِ -ﷺ- عن رب العزّة والجلال أنّه قال : ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ [٧])) . و «إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها »

(١) تفسير القرآن العزيز (٧٤/٥)، والوسيط (٤٠٤/٤).
(٢) الكشف والبيان (١٠٤/١٠)، و معالم التنزيل (٤٣٠/٤).
(٣)تفسير القرآن العزيز (٧٤/٥).
(٤) بحر العلوم (٥٠٦/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٤/١٩)، والبحر المحيط (٣٩١/٨)، وروح المعاني (١٦١/٢٩).
(٥) الكشف والبيان (١٠٤/١٠)، والكشاف (٦٧٣/٤)، والتفسير الكبير (٢٢١/٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٤/١٩).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٤٥/١٩)، والبحر المحيط (٣٩١/٨) ، والسراج المنير (٨ / ٢١٤) ، و روح المعاني (٢٩/ ١٦١) .
(٧) سبق تخريجه : ص ٣٣٨ .

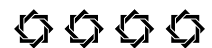
[1]. **ومما يؤيده :**

أخبر الله تعالى عن عظم نعيم أهل الجنة بما لا يحدّ ولا يقّدر ، ولا يعرف كنهه ، وهذا الإخبار جاء بمؤكدات وهي :

" الجملة الفعلية " تدل على التجدد [2]، و" إذا " وهي تفيد تحقق الأمر و وقوعه . ودلالة " رأيت" على مطلق الرؤية أينما وقع بصرك ، و التنوين والتنكير في﴿ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾للدلالة على التعظيم .

قال ابن عاشور : «وفعل ﴿رَأَيْتَ ﴾الأول متزل مترلة اللازم يدل على حصول الرؤية فقط لا تعلقها بمرئي، أي إذا وجهت نظرك. و﴿رَأَيْتَ ﴾الثاني جواب "إذا" ، أي إذا فتحت عينك ترى نعيما. والتقييد بـ "إذا" أفاد معنى الشرطية فدل على أن رؤية النعيم لا تتخلف عن بصر المبصر هنالك فأفاد معنى : لا ترى إلا نعيما، أي بخلاف ما يرى في جهات الدنيا.

وفي قوله:﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾تشبيه بليغ، أي مثل أحوال الملك الكبير المتنعم ربه. وفائدة هذا التشبيه تقريب المشبه لمدارك العقول» [3]. والله تعالى أعلم.



(١) قواعد التفسير (٢/ ٨٠٧).

(٢) قواعد التفسير (١ / ٢٥٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٢ / ٣٩٨).

قول الله – ﷻ – : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً اَوْ كَفُوراً﴾ [1]. في الآية مسألتان وهما :

۞(٨٣) المسألة الأولى : في معنى " أو " .

توجيه ابن جزي – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى " أو " للتنويع ، أي : لا تطع النوعين فاعلًا للإثم ولا كفورًا.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: « "أو" هنا للتنويع . فالمعنى: "لا تطع" النوعين فاعلاً للإثم ولا "كفورًا . وقيل: هي بمعنى الواو أي: جامعاً للوصفين؛ لأن هذه هي حالة الكفار» [2] .

العرض والمناقشة:

للمفسرين في معنى " أو " قولان وهما :

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا للطبري ، والزمخشري ، والقرطبي ،والبيضاوي والنسفي [3]، ووافقهم جلال الدين المحلِّي ، والشربيني ، والصّاوي ، والشوكاني ، والألوسي والمراغي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى– [4].

قال الطبري : « ﴿ وَلَاتُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْكَفُورًا ﴾ يقول: ولا تطع في معصيةِ الله من مشركي قومِك آثما يريد بركوبه معاصيه، أو كفورا: يعني جحودا لنعمه عندَه، وآلائه قِبَلَه، فهو يكفر به ويعبد غيره» [5].

وقال القرطبي :« ثم قيل "أو" في قوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْكَفُورًا﴾ أوكد من الواو ؛ لأن الواو إذا قلت –لا تطع زيدًا وعمرًا– فأطاع أحدهما كان غير عاص ؛ لأنه أمره ألاَّ يطيع الاثنين، فإذا قال: ﴿ وَلَاتُطِعْ مِنْهُمْ

---

(١) سورة الإنسان:٢٤ .

(٢) التسهيل (١٦٩/٤).

(٣) جامع البيان (٢٢٤/٢٩)، و الكشاف (٦٧٥/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩) ، و أنوار التنزيل (٤٣٠/٥) و مدارك التنزيل (٣٠٥/٤) .

(٤) البحر المحيط (٣٩٢/٨)، والجلالين (٧٨٣/١)، والسراج المنير(٨/ ٢١٦) ، و إرشاد العقل السليم (٧٥/٩) ، وحاشية الصاوي (٢١٥/٦)، وفتح القدير (٣٥٣/٥) ، و روح المعاني (١٦٥/٢٩) ، وتفسير المراغي (١٠/ ٢٨٥)، والتحرير والتنوير (٤٠٥/١٢).

(٥) جامع البيان (٢٢٤/٢٩).

ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾فـــ " أو" قد دلّت على أن كل واحد منهما أهل أن يعُصى » [1] .

القول الثاني : أنَّ " أو " بمعنى الواو ، أي : جامعًا للوصفين . اختاره الفراء ، وقال به السمرقندي والثعلبي ، والبغوي[2] ، وذكره في معرض الأقوال الطبري ، و النسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل – رحمهم الله تعالى – [3].

قال الفراء-رحمه الله- : « "أو" ها هنا بمترلة "لا" . و "أو" في الجحد والاستفهام والجزاء تكون في معنى "لا" فهذا من ذلك. وقال الشاعر[4]:

لا وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجِدْتُ وَلا ـــــ وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَ ـــــ ا رُبَ ـــعُ

أَوْ وَجْـــــ دُ شيخٍ أضَلَّ ناقَتَهُ ـــــ يَوْمَ توافَى الحجيجُ فاندفعُ ـــــ وا

أراد: ولا وجد شيخ. وقد يكون في العربية: لا تطيعن منه م من أثم أو كفر . فيكون المعنى في "أو" قريباً من معنى "الواو". كقولك للرجل: لأعطينك سألت، أو سكتَّ معناه: لأعطينك على كل حال »[5]

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " أو " في الآية للتنويع ، أي : لا تطع أحد النوعين على سبيل الجمع أو الإفراد ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، وقال به أكثر المحقِّ قين [6] ؛ لأن "أو " في الإثبات تفيد أحد الأمرين وفي النفي تفيد كلا الأمرين فإذا قلنا أطع زيدًا أو عمرًا . وأطا ع أحدهما كان ممتثلا . وفي النهي : لا تطع زيدًا أو عمرًا كان غيرَ مطيع لهما . فقد جاء النهي عن طاعة أحدهما بالمنطوق المعبَّر عنه بـــ "أو " والنهي عن طاعتهما بالمفهوم.

قالَ الزجَّاجُ : « "أَو" هنا أَوْكَد منَ الواوِ ؛لأنَّ الواوَ إذا قُلْتَ : لا تُطِع زيْدًا وعَمْرًا فأَطَا عَ أَحَدَهما كانَ غَيْر عاصٍ ؛ لأنَّه أَمَرَه أَنْ لا يُطِيعَ الاثْنَيْن ،فإذا قالَ: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ فـ " أو "

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩).

(2) تفسير بحر العلوم (٥٠٧/٣) ، معالم التتريل (٤٣١/٤) .

(3) معاني القرآن (٢٢٠/٣)، ومدارك التتريل(٣٢٠/٤)، والبحر المحيط (٣٩٢/٨)، واللباب (٥١/٢٠).

(4) القائل : مالك بن عمرو . معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٩).

(5) معاني القرآن (٣ / ٢٢٠) .

(6) التفسير الكبير (٢٢٨/٣٠).

دلّت على أَنَّ كلَّ واحدٍ منهما أَهْلٌ أَنْ يُعْصَى» [1]. **ومما يؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنَّ " أو " للتنويع ، واستفيد التعميم من النهي بقوله : ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ والنكرة في سياق النهي تعمُّ فكان المعنى النهي عن طاعة أحد النوعين بالمنطوق ، ودلّ المفهوم عن طاعتهما جميعًا.

قال الطيبي [2]: «الأولى أنها على بابها، وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النفي والنكرة في سياق النفي تعم؛ لأن المعنى قبل النهي تطيع آثمًا أو كفورًا ،أي: واحدًا منهما، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتًا فالمعنى لا تطع واحدًا منهما فالتعميم فيهما من جهة النهي وهي على بابها » [3] .

٢. حسُن العطف بـــ " أو " لإفادة التقسيم ؛ لأن الآثم من ارتكب الإثم ظاهرًا وباطنًا ،كما قال تعالى:

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [4]،

والكفر أخبث أنواع الإثم فخُصَّ بذكره تنبيهًا عليه فكلُّ كفورٍ آثمٌ ،وليس كلُّ آثمٍ كفورًا .والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) تاج العروس (٣٧/١٢٠).

(٢) الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي ، من علماء الحديث والتفسير والبيان .توفي سنة (٧٤٣ هـــ).
يُنظر : الدرر الكامنة(٢/١٨٥)، والبدر الطالع (١/٢٢٩)، و الأعلام (٢/ ٢٥٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/٤٥٨) .

(٤)سورة الأنعام:١٢٠.

❁ (٨٤)المسألة الثانية : في المراد بـ "الآثم " و " الكفور" في الآية.

ترجيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ وصف " الآثم و الكفور " على عمومه .

مجمل ما ذكره في الآية :

قال: «ورُوِي أنَّ الآية نزلت في أبي جهل [١] . وقيل: أنَّ الآثم عتبة بن ربيعة ، والكفور الوليد بن المغيرة والأحسن أنها على العموم ؛لأن لفظها عام وإن كان سبب نزولها خاصاً » [٢].

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول : ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقًا للرازي ، و استظهره النسفي ، و رجَّحه الألوسي – رحمهم الله تعالى – [٣].

قال النسفي : « والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أي : لا تطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا» [٤].

القول الثاني : أنَّ " الآثم ، والكفور " أبو جهل " قاله قتادة– رضي الله عنه– [٥]. وذكره السمعاني ، والبغوي و الرازي ، والقرطبي – رحمهم الله تعالى – [٦].

القول الثالث : أنَّ " الآثم " عتبة بن الربيعة و " الكفور " الوليد بن المغيرة . أورده الثعلبي ،والواحدي والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والشوكاني ،والألوسي –رحمهم الله تعالى – [٧].

---

(١)أخرجه الطبري بسنده عن قتادة قال : حدثنا بن عبد الأعلى. قال: ثنا بن ثور عن معمر عن قتادة أنه بلغه : أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه فأنزل الله ولا تطع منهم آثما أو كفورا). جامع البيان" (٢٢٤/٢٩) ، وسنده ضعيف لإرساله.

(٢) التسهيل (١٦٩/٤) .

(٣) التفسير الكبير (٢٢٨/٣٠) ، وتفسير مدارك التنزيل (٣٢٠/٤) ، وروح المعاني (١٦٦/٢٩) .

(٤) مدارك التنزيل (٣٢٠/٤) .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) تفسير القرآن (١٢٢/٦)، ومعالم التنزيل (٤٣١/٤)، والتفسير الكبير (٢٢٧/٣٠)، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩).

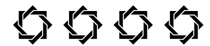
(٧) بحر العلوم (٥٠٧/٣)، و الكشف والبيان (١٠٦/١٠)، و الوسيط (٤ / ٤٠٦)، و تفسير القرآن (١٢٢/٦)، و معالم التنزيل

قال البغوي : «وقال مقاتل: أراد "بالآثم" عتبة بن ربيعة و"بالكفور" الوليد بن المغيرة قالا للنبي -ﷺ- : إن كنت صنعت ما صنعت؛ لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر. قال عتبة: فأنا أزوّجك ابنتي وأسوقها إليك بغير مهر. وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى؛ فارجع عن هذا الأمر. فأنزل الله هذه الآية» (1) .

الترجيح

الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أنَّ " الآثم ،والكفور " على عمومه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأن وصف " الآثم ،والكفور " نكرة في سياق النهي . و (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)(2).

قال الرازي- رحمه الله تعالى - : «أن الآثم ، والكفور مطلقان غير مختصين بشخص معين وهذا هو الأقرب إلى الظاهر» (3). والله تعالى أعلم.



(٤٣١/٤)، و الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٩)، و البحر المحيط (٣٩٢/٨)، و إرشاد العقل السليم (٧٥/٩)، وفتح القدير (٣٥٣/٥)، وروح المعاني (١٦٦/٢٩) .

(١) معالم التنزيل (٤٣١/٤).

(٢) قواعد التفسير (٢ / ٥٩٣).

(٣) التفسير الكبير(٢٢٨/٣٠).

❁ (٨٥)مسألة : في المراد بالذكر في قول الله – ﷻ – : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[(١)].

ترجِّيح ابن جُزيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ الله تعالى أمر نبيه بذكره في كل وقت.

ومجمل ما ذكره في الآية :

قال: «﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمر بذكر الله في كلِّ وقت. وقيل: إشارة إلى الصلو ات الخمس فالبكرة صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر ، ومن الليل المغرب والعشاء » [(٢)].

العرض والمناقشة:

في المسألة قولان ،وهما :

القول الأول: ما رجَّحه ابن جُزيّ ، و وافقه الثعالبي ، وقدَّ مه الشوكاني ، والقنوجي ، واقتصر عليه المراغي ،والسعدي ، وابن عاشور–رحمهم الله تعالى – [(٣)].

قال الثعالبي: «ثم أمره تعالى بذكر ربه دَأَبا بكرة ،وأصيلاً »[(٤)] .

وقال ابن عاشور : « والمراد بالبكرة ،والأصيل: استغراق أوقات النهار، أي لا يصدك إعراضهم عن معاودة الدعوة وتكريرها طرفي النهار، ويدخل في ذكر الله الصلوات مثل قوله:﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[(٥)] ،وكذلك النوافل التي هي من خصائص النبي – ﷺ – بين مفروض منها وغير مفروض، فالأمر في قوله:﴿وَاذْكُرِ﴾ مستعمل في مطلق الطلب من وجوب ونفل »[(٦)].

---

(١) سورة الإنسان:٢٥.

(٢) التسهيل (١٦٩/٤) .

(٣) الجواهر الحسان (٣٧٤/٤) ، وفتح القدير (٣٥٣/٥) ، وفتح البيان (١٤ / ٤٧٨) ، و تفسير المراغي (١٠/ ٢٨٦) ، و تفسير الكريم الرحمن (٩٠٢/١) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٤٠٦) .

(٤) الجواهر الحسان (٣٧٤/٤).

(٥) سورة هود :١١٤-:١١٥ .

(٦) التحرير والتنوير (١٢ / ٤٠٦) .

القول الثاني : أنَّ الذكر صلاة الفجر و" الأصيل " صلاة الظهر والعصر . وهو مروي عن ابن زيد -رضي الله عنه- [١] . وقال به الطبري [٢]، وقدّمه القرطبي[٣]، واقتصر على ذكره أبو الليث وابن أبي زمنين والماوردي ،والواحدي ، والزمخشري، والنسفي، و أبو حيان ،وجلال الدين المحلّي ،والشربيني [٤]- رحمهم الله -.

قال الطبري : «يقول تعالى ذكره :واذكر يا محمد اسم ربك فادعه به بكرة في صلاة الصبح وعشيا في صلاة الظهر والعصر »[٥] .

الترجيح

الرّاجح - والله أعلم بالصواب — أنَّ الذكر على إطلاقه في كلِّ الأوقات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ لأن الذكر عام ويدخل فيه كل أنواعه من صلاة وتسبيح ودعا ء ، و (الأولى حمل نصوص الوحي على العموم)[٦].

قال الشيخ السعدي — رحمه الله تعالى - : « ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: أول النهار وآخره؛ فدخل في ذلك الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل والتسبيح والتهليل والتكبير في هذه الأوقات »[٧]. **ويؤيده عدة أمور وهي :**

١. أنّ الله تعالى ذكر هذين الوقتين في مواضعّ عدّة منها قول الله تعالى :﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[٨]، وقال تعالى : ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[٩]، و وجه تخصيصهما بالذكر أمران :

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٢٥/٢٩) ، ولفظه (قال بكرة صلاة الصبح وأصيلا صلاة الظهر الأصيل) .

(٢) المرجع السابق (٢٢٥/٢٩)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥٠/١٩)

(٤) بحر العلوم (٥٠٧/٣)، والقرآن العزيز (٧٥/٥)، والنكت والعيون (٦ / ١٧٢) والوسيط (٤٠٦/٤) ، و الكشاف (٦٧٥/٤) ، و مدارك التنزيل (٣٠٥/٤) ، والبحر المحيط (٣٩٢/٨)، و تفسير الجلالين (٧٨٣/١) ، والسراج المنير (٢١٧/٨) .

(٥) جامع البيان (٢٢٥/٢٩) .

(٦) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

(٧) بتيسير الكريم الرحمن(٩٠٣/١) .

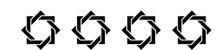
(٨) سورة الأعراف:٢٠٥ .

(٩) سورة الفتح:٩ .

الأول : بيان فضلهما؛ لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار

الثاني : الإشارة إلى المداومة على ذكر الله في جميع الأوقات.

٢. أنَّ الأمر بالذكر جاء في سياق الأمر بالصبر على أذى الكفار وفي ذلك بيان لزاد الروحي الذي يعين الداعية على تحمل جهالتهم وأذاهم . والله تعالى أعلم.



قول الله – ﷻ – : ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [١] . في الآية مسألتان وهما :

❁ (٨٦)المسألة الأولى :في معنى الأسر .

ترجيح ابن جُزِيّ – رحمه الله – :

رجَّح أنَّ معنى "الأسر " الخلقة.

مجمل ما ذكره في الآية :

قال : «الأسر الخلقة . وقيل : المفاصل والأوصال . وقيل: القوة» [٢] .

العرض والمناقشة:

في المسألة ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن عباس [٣] ، ومجاهد [٤] ، وقتادة [٥] – ﭫ – . – . و قال به الفرّاء ، ورجّحه الطبري [٦]، و اقتصر عليه النسفي ، و ابن كثير ، والثعالبي والقاسمي [٧] [٧] وصدَّر به ابن عطية ، والسمين الحلبي أقوالهم –رحمهم الله تعالى– [٨].

قال الفراء : «والأسر: الخَلْق. تقول: لقد أُسِر هذا الرجل أحسنُ الأسر، كقولك: خُلِقَ أحْسَن الخَلْق » [٩].

وقال الإمام الطبري – رحمه الله– : «يقول تعالى ذكره: نحن خلقنا هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره

(١)سورة الإنسان:٢٨ .

(٢) التسهيل (١٧٠/٤) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه "جامع البيان" (٢٢٦/٢٩) ، ولفظه (يقول شددنا خلقهم) .

(٤)أخرجه الطبري بسنده عنه (المرجع السابق)(٢٢٦/٢٩)، ولفظه (قال خلقهم)، وعنه قيل : الأسر هو الشرج أي إذا خرج الغائط والبول تقبض الموضع . إن صح هذا القول عنه فهو من التفسير بالمثال ولا يفهم منه قصر الأسر عليه . تفسير بحر العلوم (٥٠٧/٣)، تفسير الكشف والبيان (١٠٧/١٠) ، تفسير معالم التنزيل (٤٣١/٤)، تفسير الجامع لأحكام القرآن (١٥١/١٩) ، و روح المعاني (١٦٧/٢٩).

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢٢٦/٢٩) ، ولفظه (وشددنا أسرهم خلقهم) .

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٢٠)، وجامع البيان (٢٢٦/٢٩)

(٧) مدارك التنزيل (٣٠٦/٤) وتفسير القرآن العظيم (٤٥٩/٤) ، و الجواهر الحسان (٣٧٥/٤) ، و محاسن التأويل (١٠ / ٤٠٦٠).

(٨) المحرر الوجيز (٤١٥/٥) ،وعمدة الحفاظ (١ / ٩٨).

(٩) معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٢٠) .

ونهيه﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾وشددنا خلقهم من قولهم : قد أسر هذا الرجل فأحسن أسره بمعنى قد خلق فأحسن خلقه ... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه وذلك أن الأسر هو ما ذكر عند العرب،ومنه قول الأخطل [1]:

مِنْ كلّ مُجْتَنَبٍ شديدٍ أسْرُهُ   سلس القيادِ تخالهُ مختالا

ومنه قول العامة: "خذه بأسره" أي هو لك كله » [2] .

القول الثاني : شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق ،والعصب . وهو قول أبو هريرة – رضي الله عنه – [3].وقال به الرازي ، و اقتص ر عليه البيضاوي ، والقمي النيسابوري ، وبدر الدين البقاعي ، و أبو السعود ، و عطية سالم[4] ، واستظهره الألوسي [5]– رحمهم الله –.

قال النيسابوري :« ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾أي:ربطهم ،وتوثيقهم ،ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد ،وبه سُمي القد أسراً .والمعنى: ركبناهم تركيباً محكماً وأتقنا مفاصلهم بالأعصاب ،والربط ،والأوتار حسب ما يحتاجون إليه في التصرف ؛لوجوه الحوائج » [6].

قال البقاعي :«﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾أي: قوينا وأتقنا ربط مفاصلهم الظاهرة والباطنة بالأعصاب على وجه الإحكام بعد كونهم نطفة أمشاجاً في غاية الضعف ، وأصل الأسر ، القد يشد به الأقتاب ،أو الربط ،والتوثيق ، ولا شك أن من قدر على إنشاء شخص من نطفة قادر على أن يعيدَ ه كما كان » [7].

(١) غياث بن غوث بن الصلت بن طار قة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك . وُلد سنة (١٩ هـ) شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. تُوفي سنة (٩٠ هـ).
يُنظر : طبقات فحول الشعراء (٢/٢٩٨) ، و الأنساب (٣/٣٥٥) ، والأعلام (٥ / ١٢٣).

(٢) جامع البيان (٢٩/٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(٣) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٩/٢٢٦) ، ولفظه (وشددنا أسرهم قال هي المفاصل) .

(٤) التفسير الكبير (٣٠/٢٢٩) ، و أنوار التنزيل (٥/٤٣١) ، وغرائب القرآن (٦ / ٤١٩) ، ونظم الدرر(٨ / ٢٧٨) و إرشاد العقل السليم (٩/٧٦) ، و أضواء البيان (٨/٣٩٨) .

(٥) روح المعاني ٢٩/١٦٦).

(٦) غرائب القرآن (٦ / ٤١٩).

(٧) ونظم الدرر(٨ / ٢٧٨) .

القول الثالث : أنَّ الأسر القوة . وهو مروي عن ابن زيد [(١)] ، وممن أورده الطبري وأبو الليث والسمعاني ، والشوكاني –رحمهم الله تعالى– [(٢)].

قال الشوكاني :«وقال ابن زيد : الأسر القوة، واشتقاقه من الإسار ، وهو القد الذي تشد به الأقتاب ومنه قول ابن أحمر [(٣)]يصف فرساً :

يمشي بأوطفةٍ شدادٍ أسرُ ها شمِّ السنابك لا تفي بالجَ دْجَدِ »[(٤)]

الترجيح

الظاهر – والله تعالى أعلم بالصواب – أن معنى " الأسر " الخلق وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن معه ؛ لأنّهَ قولٌ عامٌ يجمع كل ما قيل في المعنى ، و (الحمل على العموم أولى)[(٥)].

وما ورد عن السلف من أقوال في معنى الأسر فهي اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ،وهي تفسيرٌ باللازم ، فإحكام الخِلقة يقتضي قوةَ الربط بالمفاصل والعروق.

قال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – : «﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾، أي: أحكمنا خِلقهم بالأعصاب والعروق والأوتار والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تمَّ الجسم واستكمل وتمكن من كلِّ ما يريده فالذي أوجدهم على هذه الحالة قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم» [(٦)]. **ومما يؤيده** :

دلالة اللغة : فإنَّ الأسر في لغة العرب معناه : الخلق فـ "أسرا "من باب ضرب: فهو : "أسير و أسره الله أسرًا " و"خلقه خلقاً حسناً ، والأَسْرُ شِدَّة الخَلْقِ ورَجُلٌ مَأْسُورٌ شَدِيدُ عَقْد المَفَاصِل والأَوْصَالِ [(٧)] . ومنه قولهم : قد جاء القوم بأَسْرِهِم .

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عنه : جامع البيان (٢٢٦/٢٩) ، ولفظه (قال: الأسر القوة).

(٢) جامع البيان (٢٢٦/٢٩) ، و بحر العلوم (٥٠٧/٣) ، و تفسير القرآن (١٢٣/٦).

(٣) هنئ بن أحمر، من بني الحارث، من كنانة . شاعر جاهلي . الأعلام (٨ / ١٠٠).

(٤) فتح القدير (٣٥٤/٥).

(٥) يُنظر : قواعد الترجيح (٢ / ٥٢٧).

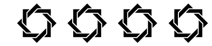
(٦) تيسير الكريم الرحمن (٩٠٣/١) .

(٧) ينظر : لسان العرب (١٩/٤) ، و المحكم والمحيط الأعظم (٥٤٣/٨) ، الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١) .

قال أبو بكر [1]: معناه قد جاءوا بجمعهم وخلقهم والأسر في كلام العرب الخلق .قال عمران بن حطان [2]:

براكَ ترابٌ ثم صَيَّرْكَ نُطْفَةً فسوّاك حتى صِرتَ مُلْتَئِمَ الأَسْرِ [3].

والله تعالى أعلم.



(١) محمد بن القاسم الأنباري ، أبو بكر . الإمام المشهور العلم المنشور كان أحفظ زمانه ، له التصانيف المفيدة في النحو واللغة منها كتاب الزاهر في اللغة وكتاب هاءات القرآن وكتاب الأمالي وكتاب غ ريب الحديث وكتاب خلق الإنسان وكتاب خلق الفرس وغير ذلك. توفي سنة (٣٢٨ هـ).

تاريخ بغداد (١٨٣/٣) ،و البلغة (٢١٢/١)، والمعجم المفهرس (٣٨٥/١).

(٢) عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك ، رأس القعدة، من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم سمع عائشة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم روى عنه محمد بن سيرين ويحيى بن أبي كثير وصالح بن سرج . توفي سنة (٨٤ هـ)

يُنظر : التاريخ الكبير (٤١٣/٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٨٥/٤٣) ،و الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٥/٥) ، والأعلام (

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١).

❁(٨٧) المسألة الثانية : في المراد بالتبديل في الآية.

ترجيح ابن جُزيّ - رحمه الله - :

رجَّح أنّ المراد من تبديلهم إهلاكهم والإتيان بأشباههم بدلاً.

ومجمل ما ذكره في الآية

قال:« أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم . وقيل : مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد» [١].

العرض والمناقشة:

اختُلف في المراد " بالتبديل " على ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول : ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقًا لقول ابن زيد [٢]- رضي الله عنه -. و قال به الطبري ، و اقتصر عليه ابن أبي زمنين ، والمهدوي ، و الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي والنسفي [٣]، ووافقهم فيه أبي حيان، والمحلّي [٤]، وقدمه الشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي [٥]، و استظهره المراغي – رحمهم الله تعالى– [٦].

قال الإمام الطبري :« وقوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ يقول: وإذا نحن شئنا أهلكنا هؤلاء وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم أمثالهم من الخلق مخالفين لهم في العمل» [٧].

وقال أبو حيَّان : « وَإِذَا شِئْنَا أي تبديل أمثالهم بإهلاكهم بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ ممن يطيع» [٨].

القول الثاني : المراد " بالتبديل " مسخهم وتبديل صورهم . أورده القرطبي، والشوكاني والقنوجي – رحمهم الله تعالى– [٩]. وهذا القول يشترك مع القول المتقدم في كون التبديل واقع لهم في الحياة الدنيا .

القول الثالث : أنشأناهم للبعث نشأة أخرى وأعدناهم بأعيانهم . قال به الزمخشري ومال إليه

---

(١) التسهيل (٤/١٧٠).

(٢) أخرجه الطبري بسنده عنه " جامع البيان " (٢٩/٢٢٧) ، ولفظه (قال بني آدم الذين خالفوا طاعة الله قال وأمثالهم من بني آدم).

(٣) جامع البيان (٢٩/٢٢٧)، و تفسير القرآن العزيز (٥/٧٦) ، والتحصيل في مختصر التفصيل (أ / ٢٠٠) ،والوسيط (٦ / ٤٠٦) ، وتفسير القرآن (٦/ ١٢٣) ، و معالم التنزيل (٤/٤٣١) ، و زاد المسير (٨/٤٤١) ، ومدارك التنزيل (٤/٣٢١) .

(٤) البحر المحيط (٨/٣٩٣) ،وتفسير الجلالين (١/٧٨٣)

(٥)فتح القدير(٥/٣٥٤) ، وفتح البيان (١٤/٤٨٠)، ومحاسن التأويل (١٠/٤٠٦٠)

(٦) تفسير المراغي (١٠/ ٢٨٦) .

(٧)تفسير جامع البيان (٢٩/٢٢٧) .

(٨)البحر المحيط (٨/٣٩٣).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٥٢) ، وفتح القدير (٥/٣٥٤)، وفتح البيان (١٤/٤٨٠).

النيسابوري ، و ذهب إليه ابن القيم [(١)]، وجوزه البيضاوي ، وأبو السعود ، والألوسي وابن عاشور واقتصر عليه السعدي – رحمهم الله تعالى – [(٢)].

قال الزمخشري : « ﴿ بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴾في شدّة الأسر يعني النشأة الأخرى» [(٣)].

قال الألوسي: « ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾أي: أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في شدة الخلق تبديلاً بديعاً لا ريب فيه، يعني البعث والنشأة الأخرى، فالتبديل في الصفات؛ لأن المعاد هو المبتدأ ولكون الأمر محققاً كائناً جيء "بإذا " وذكر المشيئة لإبهام وقته» [(٤)] .

وقال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – : « ثم استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي وهو دليل الابتداء فقال: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ ﴾ أي: أوجدناهم من العدم﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾أي: أحكمنا خِلقتهم بالأعصاب والعروق والأوتار والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تمَّ الجسم واستكمل وتمكن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم على هذه الحالة قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم ، والذي نقلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار لا يليق به أن يتركهم سدى، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون ، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾أي: أنشأناهم للبعث نشأة أخرى، وأعدنا هم بأعيانهم وهم بأنفسهم أمثالهم» [(٥)]

الترجّيح

الرّاجح – والله تعالى أعلم بالصواب – أن " التبديل " يكون بالنشأة الأخرى يوم المعاد ، وهو ما قال به الزمخشري ومن معه ؛ للدلالة سباق الآية في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾[(٦)]فأخبر الله تعالى عن الكفار في حبهم للدنيا وإنكارهم ليوم المعاد ، و هذا الإنكار الإنكار ناشئ من تصورهم باستحالة إعادة أجسادهم مرة أخرى ، فجاء الرد من الله تعالى بما يبطل

(١)الكشاف (٤/٦٧٦) ، وغرائب القرآن (٦/٤١٩)، و التبيان في أقسام القرآن (١/١٢٣).

(٢) أنوار التنزيل (٥/٤٣١)،إرشاد العقل السليم (٩/٧٦)، وروح المعاني (٢٩/١٦٧)، و التحرير والتنوير (١٢ / ٤١٠) وتيسير الكريم الرحمن (١/٩٠٣) .

(٣)الكشاف (٤/٦٧٦).

(٤) روح المعاني (٢٩/١٦٧) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (١/٩٠٣).

(٦) سورة الإنسان:٢٧ .

قولهم ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[1].

فمن قدر على خلقهم من العدم وأحسن خَلقهم قادر على تبديل أمثالهم وأعيانهم خلقا آخر . و (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عن ذلك)[2].

ومما يؤيده عدة أمور وهي :

١. التعبير بـــ "إذا " الدّالة على تحقق الوقوع إشارة إلى أن هذا التبديل يكون في النشأة الأخرى .

٢. دلالة اللغة : "فالمثل يدل على مناظره الشيء للشيء [3]. يقال هذا مِثلهُ و مِثلهُ كما يقال شِبهُه وشِبهُه ، و المثْلُ الشبَّه يقال مثل و مثل وشبه وشبه بمعنى واحد [4].

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : «... أن المراد بتبديل أمثالهم الخلق الجديد والنشأة الآخرة التي وُعدوا بها. وقد وّفق الزمخشري لفهم هذا من سورة الإنسان . فقال: وبدلنا أمثالهم في شدة الأسر ، يعني: النشأة الأخرى ،ثم قال: وقيل: وبدّلنا غيرهم ممن يطيع وحقّه أن يأتي ب ـــ "أن" لا ب ـــ "إذا " كقوله:﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[5].قلت : وإتيانه بـ "إذا " التي لا تكون إلا للمُ حقّ الوقوع يدل على تحقق وقوع هذا التبديل ، وأنّه واقع لا محالة وذلك هو النشأة الأخرى التي استدل على إمكانها بقوله :﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾[6] ، واستدل بالمثل على المثل وعلى ما أنكروه بما عاينوه وشاهدوه وكونهم أمثالهم هو إنشاؤهم خلقا جديدا بعينه فهم هم بأعيانهم وهم أمثالهم فهم أنفسهم يعادون» [7].

٣. قرن الله تعالى بين النشئتين في كتابه العزيز مذكّرا للفطِر والعقول بإحداهما على الأخرى ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[8]"فالخلق الجديد هو المتضمن للخلق الأول ، فمن قدر على الخلق من عدم قادر على إعادته من باب أولى . وقال تعالى ذكره في سورة الإنسان ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ﴾فهذه النشأة الأولى ﴿وَإِذَا

(١) سورة الإنسان:٢٨ .
(٢) قواعد الترجيح (١ / ١٢٥).
(٣) مقاييس اللغة (٢٩٦/٥).
(٤) لسان العرب (٦١٠/١١).
(٥) سورة محمد :٣٨ .
(٦) سورة الواقعة : ٦٢.
(٧)التبيان في أقسام القرآن (١٢٣/١).
(٨) سورة ق:١٥ .

شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾النشأة الثانية" [1].

٤. أظهر النصُّ كمال قدرة الله -ﷻ- على تبديل ذواتهم في النشأة الأخرى من خلال جملة من المؤكِّدات وهي : الافتتاح بالجملة الاسمية بتقديم المبتدأ على الخبر " نحن خلقناهم " ؛ لاختصاص الله تعالى وحده بالخلق دون سواه ، ثم جاء التعبير بـــ " إذا " وإن كانت تستعمل للمتيقّن وقوعه ، ولكن لكمال قدرته وتحقق ما يقتضيه من كفرهم المقتضي استئصالهم عبر بـ "إذا " ؛لتحقق الوقوع . ويتقوى هذا لمعنى بذكر التبديل بصيغة المبالغة "بدّلنا "؛ لأن (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[2]) ، والتعقيب بالمصدر " تبديلاً (يفيد التعظيم)[3] .

قال ابن عاشور : « وافتتاح الجملة بالمبتدأ المخبر عنه بالخبر الفِعلي دون أن تفتتح بـ " خلقناهم " أو نحن خالقون ؛ لإفادة تقوّي الخبر وتحقيقه بالنظر إلى المعنِيِّينَ بهذا الكلام وإن لم يكن خطاباً لهم ولكنهم هم المقصود منه .

وتقويةُ الحكم بناءٌ على تنزيل أولئك المخلوقين منزلة من يشك في أن الله خلقهم حيث لم يجْرُؤوا على موجِب العلم فأنكروا أن الله يعيد الخلق بعد البِلَى ، فكأنهم يسندون الخلق الأول لغيره . وتقوِّي الحكم يترتب عليه أنه إذا شاء بدَّل أمثالهم بإعادة أجسادهم فلذلك لم يُحتج إ لى تأكيد جملة :﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾استغناء بتولد معناها عن معنى التي قبلها وإن كان هو أولى بالتقوية على مقتضى الظاهر . وهذا التقوّي هنا مشعر بأن كلاماً يعقبه هو مصب التقوِّي» [4] .والله تعالى أعلم.

وبعد : فهذا آخر ما توصلت إليه من ترجيحات ابن جُزيّ في الجزء المقرر لي أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت لاستظهار مسائل هذا البحث ، وأحسنت عرضها ومناقشتها .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

---

(١) يُنظر : المرجع السابق (١٢٤/١).
(٢) قواعد التفسير (١ / ٣٥٦).
(٣) المرجع السابق (١ /٢٤٦).
(٤) التحرير والتنوير (١٢ / ٤٠٩).

الخاتمة

أحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا على نعمائه ، وجميل عطائه ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث بالرحمة المهداة ، والشريعة السمحاء صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ما تعاقب الليل والنهار، وسلَّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

أما بعد :

مضت أنفس لحظات عمري ، وقضيت أياما ماتعة بصحبة عالم جليل ، سطّر في كتابه أنفس الدرر ، وها أنا أقف في ختام هذ ا البحث المتواضع على أهم النتائج التي توصلت لها وهي :

١. إنّ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل من الكتب الجامعة بين التفسير بالمأثور ؛ لاحتوائه على جملة وافرة من الأحاديث والآثار ، والتفسير بالرأي.
٢. إن تفسير ابن جُزيّ قائم على إيجاز العبارة وعمق الإشارة . حيث جمع ابن جُزيّ صفوة قول المتقدمين وخلاصة فكرهم مع تضمينه للفوائد والدرر النفسية التي تغني عن كثير من المطولات إذ عدّ ذلك من مقاصده.
٣. يُعدُّ ابن جُزيّ من العلماء المنظّرين لقواعد الترجيح بين الأقوال ، حيث قرر ذلك في مقدمة كتابه وسار عليها في تفسيره.
٤. إن ابن جُزيّ من العلماء الأجلاء اللذين لهم قدم راسخة في فنون العلم المختلفة ظهر ذلك من خلال ترجيحاته .
٥. أكثر ابن جُزيّ في نقل الآثار عن الصحابة والتابعين إلا أنه في الغالب لا يعزو الأقوال إلى أصحابها .
٦. أكثر ابن جُزيّ من النقل عن ابن عطيّة والزمخشري .
٧. عدَّ ابن جُزيّ اختلاف المعنى بين الأقوال محل ترجيحه وعليه دارت ألفاظه ولقد التزم ابن جُزيّ بما صرّح به في مقدمته في معظم أقواله إلا في بعض الأقوال — أرى والعلم عند الله — أنها قول واحد .
٨. إن دراسة الترجيحات القائمة على المقارنة والمناقشة للأقوال تعطي الباحث ملكة في

سبر الأقوال وتحقيق صحيحها من سقيمها بموضوعية وعدم التعصب للأشخاص ، بل أخذ القول المقترن بالدليل .

توصيات البحث:

إن الشباب المسلم يواجه اليوم حربًا إعلامية و فكرية و إلحادية ، تهز كيانه وتعصف بوجدانه . تهدف إلى نزع هويته الإسلامية حتى لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ورسمه ولمواجهة هذه الحملة الإلحادية لا يكون إلا بما صلح به الجيل الأول ، بكتاب الله – ﷻ – وسنة رسوله – ﷺ – وذلك بتدبر كتاب لله تعالى والعمل بما فيه ؛ لذ أتقدم بجملة من الوصايا وهي :

- ❖ **أولا**:جمع ترجيحات ابن جزي بصورة مختصرة ، وإضافتها لترجيحات المفسرين أمثال الإمام الطبري و القرطبي ، وأبي حيان ، وابن عاشور ، والألوسي وجمعها في كتاب واحد ؛ لتقديم القول الراجح بشكل مبسط مختصر .
- ❖ **ثانيًا** : إضافة قواعد الترجيح كمادة مقررة تعطى للطلاب في المرحلة الجامعية وبصورة مختصرة سهلة العرض للطلاب المرحلة الثانوية ؛ لما لهذه ا لدراسة من أثر في بناء الشخصية المتزنة التي لا تتعصب للأشخاص بل تتبع الدليل .
- ❖ **ثالثًا** : إبراز دور العلماء الراسخين في العلم ، و أثرهم في إرشاد الناس إلى الحق والهدى ، ومن هؤلاء الأفذاذ ابن جُزيّ – رحمه الله– حيث أمضى عمره بين ثنايا الكتب تعلما وتعليما ونظّ ر لنفسه منهجا قائما على التدقيق في تحري الصحيح من الأقوال.

هذا آخر ما توصلت إليه من نتائج و توصيات أسأل الله تعالى أن يتقبل مني ويجعل هذا العمل مناجاة لي يوم الدين . وصلِّي اللهم وسلِّم تسليمًا كثيرًا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد الله رب العالمين ،،،

تمت

بحمد الله

الفهارس العلمية

1. فهرس الآيات القرآنية الكريمة
2. فهرس الأحاديث الشريفة
3. فهرس الآثار
4. فهرس الأعلام
5. فهرس الأخطاء المطبعية
6. فهرس الغريب والمصطلحات المشروحة
7. فهرس الفرق
8. فهرس الأشعار
9. فهرس المصادر والمراجع
10. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	٢٤٨
المائدة		
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾	٦	٩٣
الأنعام		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	١ ٢٣	أ ٢٧١
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٣٨	١٠٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	٩٩	٢٨٤
﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾	١٤١	١٧٩
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	١٤٤
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	١٥٨	٢٦٢
الأعراف		
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾	٣٢	١٠٩
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾	٣٤ / ٣٢	١٠٧
﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾	٣٨	٢٧١
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ ﴾	٩٦	١٤٥
﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾	١٣٤	٢٢٩
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	١٧٢	١٠٨
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٨٥	٢٨٤
﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾	٢٠٥	٣٤٧
الأنفال		
﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾	٣٤	١٤٩
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	٥٠	٢٥٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٤	١٦٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾	٧٠	٣٢٢
يونس		
﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾	٢٦	٢٨٢
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ﴾	٤٣	١٣
هود		
﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٤٢	١٦٩
﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾	٥٦	١٤٤
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾	١١٤	٣٤٦
﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾	١٢٠	٣٤٣
يوسف		
﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾	٤	١٦٩
إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾	٤	٥٦
﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾	١٦	٢٠٢
الحجر		
﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾	٦	١٦٩
النحل		
﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾	٢٦	١٦
﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾	٢٩	١٠٧
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾	٤٤	٢٧٨
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾	٥٠	٢٥٩
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾	٩٧	١٤٤
﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾	٦٤	٢٧٨
الإسراء		
﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ﴾	٧٩	قَالَ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾	٨٨	١٢٦
﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾	١٠٦	٢٧٨
الكهف		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	٢٩	٨٠ - ٢٤٠
﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾	٤٩	265
مريم		
﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾	٦٧	299
﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾	٧٥	158
طه		
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	٨	193
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾	٩٢	247
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾	١١٤	275
الأنبياء		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ ﴾	٣٣	103
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾	٣٥	306
﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾	٣٧	93
الحج		
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾	٢	205
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ ﴾	٣٠	228
﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ ﴾	٤٧	325
المؤمنون		
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾	١٤	101
﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	١١٥	293
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾	١١٦	292
النور		
﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٤	268
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾	٣٦	١٥١
الشعراء		
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾	١٩٣	٧١- ٦٩
القصص		
﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾	٨٨	١٤

الآية	رقمها	الصفحة
لقمان		
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾	١٤	ز
السجدة		
﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	٢	أ
﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥	٧٥
الأحزاب		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾	٢٨	١٧٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠ – ٧١	أ
سبأ		
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾	٢٩	٢٥٨
يس		
﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾	٤٠	٢٦٢
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾	٧٨	٢٥٥
الصافات		
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾	٦-٧	١٤٠
﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾	٦٢	٢٠٢
﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾	٦٨	٢٠٢
﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾	١٦٠	٣٠٦
ص		
﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾	٢٩	٢٤٣
غافر		
﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾	٧	١٢٣
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ﴾	١٨	٣٢٥
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	٤٦	١١٦

الآية	رقمها	الصفحة
فصلت		
﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾	٢١	٢٦٨
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾	٢٢	٢٧٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾	٣٠	١٤٤
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾	٣٧	١٠٣
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾	٤٢	أ
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٥٣	٢٧٩
الشورى		
﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١١	١٥٦-٢٨٢
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٢	ب
الدخان		
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٥٨	٥٦
الجاثية		
﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾	٢٤	٢٥٢
محمد		
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	١٩	١٢٣
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾	٢٨	٣٥٥
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٣١	١٦٠
الفتح		
﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾	٩	٣٤٧
ق		
﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	٣٥٦
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾	٣٥	٢٨٢
النجم		
﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾	٤٥	٣٠٤
﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾	٤٦	٣٠٤

الآية	رقمها	الصفحة
القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	١٠٧
الرحمن		
﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٧ / ٢٥	١٤
﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	٣٧	٧٩
الواقعة		
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٦٢	٣٥٥
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾	٧٥	٢٤٨
﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	٧٦	٢٤٨
الحديد		
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾	١٣	٢٨٤
﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾	٢٩	٢٤٧
الحشر		
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	٣١٥
التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾	١	١٧٠
الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٢	٣٠٠
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾	٣	١١٣
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾	٥	١٤١
المعارج		
﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾	٣	٦٤
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	٤	٦٩-٧٣-٧٦
﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾	٨	٧٩
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾	٩	٨٢
﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾	١٠	٨٥
﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾	١١	٨٦
﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾	١٦	٨٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾	١٩	٩١
﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾	٢٢	٩١
﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾	٣٣	٩٤
نوح		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾	١	٩٨
﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾	٣	٩٨
﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	٤	١٠١ – ١٠٥
﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾	١٤	١١٠
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾	١٩	١٠٢
﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾	٢٥ / ٢٦	١٠٥
﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾	٢٨/٣٠	١٠٨
الجن		
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾	١	١٢٥
﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾	٢	١٣٠
﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾	٣	١٢٨
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾	٤	١٣٢
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	١٣٤
﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾	٩	١٣٧
﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾	١٦	١٤٢
﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	١٧	١٤٦
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	١٤٨
﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾	٢٣	١٥٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾	٢٤	١٥٦
﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾	٢٨	١٥٩
المزمل		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾	١	١٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	٢ / ١	١٧١- ١٧٦
﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾	٢-٣ / ١-٢	١٨٠
﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾	٥ /٤	١٨٥
﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾	٧	١٨٨
﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾	٨ / ٧	١٩١ - ١٩٤
﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾	٩	١٩٦
﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾	١٠ / ٩	١٩٧
﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾	١٣ / ١٢	٢٠٠
﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾	١٧ / ١٦	٢٠٢
﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾	١٨	٢٠٦
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾	١٩	
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾	٢٠ /١٨	١٧١
المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾	١	٢١٧
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾	٤	٢٢٢
﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾	٥	٢٢٦
﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾	١٢	٢٣٠
﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾	١٧	٢٣٣
﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾	٢٩	٢٣٥
﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾	٣٠	٢٣٨
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾	٣٧	٢٤٠
﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾	٥٥ / ٥٤	٢٤٢
القيامة		
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	١	٢٤٥
﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾	٢	٢٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾	٣	٢٥٤
﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾	٤	٢٥٣
﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ﴾	٧	٢٥٧
﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾	٩	٢٦٠
﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾	١٢	٢٣٠
﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾	١٣	٢٦٣ - ٢٦٦
﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾	١٥	٢٦٩
﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾	١٦	٢٧٣
﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾	١٨	٢٧٥
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾	١٩ /١٨	٢٧٦
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	٢٢ /٢٣	٢٨٠
﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾	٢٧ /٢٦	٢٨٥
﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾	٢٩ /٢٨	٢٨٩
﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾	٣٤-٣٥	٢٩٣
﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾	٣٦ / ٣٥	٢٩٢
الإنسان		
﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾	١	٢٩٥- ٢٩٨- ٣٠١- ٣٠٥
﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾	٥	٣١٢
﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾	٦	٣٠٨
﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	٨	٣١١ – ٣١٥- ٣١٩
﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾	٩	٣١٦
﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾	١٠	٣٢٤
﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾	١٣	٣٢٧

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾	١٥ -١٦	٣ -٣٣٢-٣٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾	١٨	٣٣٥
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾	٢٠	٣٣٨
﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾	٢٤	٣٤١ - ٣٤٤
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٢٥	٣٤٦
﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾	٢٨	٣٣٩ - ٣٥٣
النبأ		
﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ﴾	٣٨	٧١
عبس		
﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾	٣٤ -٣٧	٨٦
﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾	١٧-٢٣	٢٥٥
المطففين		
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	٢٨٢
الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧ - ٢٠	٢٥٥
العلق		
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾	٦-٧	٩٣- ٢٢٠
الفجر		
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	١٦
﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾	٢٤	١٥
القدر		
﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾	٤	٧١
القارعة		
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾	٥	٨٣
العصر		
﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	١-٣	٩١

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ...)).	عائشة رضي الله عنها	١٨٥
((إذا مات الإنسان انقطع عمله ...)).	أبو هريرة ﷺ	٢٨
((إذا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ...)).	أبو هريرة ﷺ	٣٢٨
((إن الشمس والقمر ثوران عقيران...))	–	٢٦١
((أنا سَيِّدُ الْقَوْمِ يوم الْقِيَامَةِ...))	أبو هريرة ﷺ	٨٦
((إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ ...))	عبد الله بن مسعود ﷺ	١٠٧
((استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم...)	–	٣١٩
((بيْنَا أنا أَمْشِي إِذْ سمعت صَوْتًا من السَّمَاءِ ...))	جابر بن عبد الله ﷺ	١٦٤
((جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا ...).	جابر بن عبد الله ﷺ	١٥١
((خَمْسُ صَلَوَاتٍ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ...))	طلحة بن عبيد الله ﷺ	١٧٥
(خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	عبد الله بن مسعود ﷺ	٥٤
((سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ ما أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟...))	المغيرة بن شعبة ﷺ	٣٣٨
((سَمُّوا بِاسْمِي ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي)).	أَنسٍ بن مالك ﷺ	٩
((على مثل الشمس فاشهدوا ...))	–	٩٤
((غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك...))	–	٣٢١
((فُكُّوا الْعَانِيَ...))	أبو موسى ﷺ	٣٢٣
((فما وَجَدْتُمْ من بَرْدٍ ،أو زَمْهَرِيرٍ...))	أبو هريرة ﷺ	٢٣٩
((في كل كبد رطبة أجر ...))	أبو هريرة ﷺ	٣١٩
((قُمْتُ على بَابِ الْجَنَّةِ...))	أسامة بن زيد ﷺ	١٢٩
((كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ...))	أبو سعيد الخدري ﷺ	٢٨٨
((كَعَكَرِ الزَّيْتِ...))	أبو سعيد الخدري ﷺ	٨٠

فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
شجرة الزقوم	مجاهد	٢٠١
شددنا خلقهم	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٤٩
شوك يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٠١
الشوى الأطراف	مجاهد	١٨٨
صعودا من عذاب الله لا راحة فيه	قتادة	٢٣٣
صفاء القوارير في بياض الفضة	الحسن	٣٣٠
طريقة الإسلام	مجاهد	١٤٢
طلوع الشمس والقمر من مغربهما	ابن مسعود رضي الله عنه	٢٦٠
طورا النطفة ثم طورا أمشاجا	ابن زيد	٥٥
العلقة ثم المضغة	مجاهد	٥٥
العلو والفواضل	ابن عباس رضي الله عنهما	١٦٦
على أن نجعله	عكرمة	٢٥٤
على حبهم للطعام	مقاتل	٣١٥
على صفاء القوارير	مجاهد	٣٣٠
علي أن نجعله مثل خف البعير أو الحمار	عكرمة	٢٥٤
العمل به	الحسن	١٨٦
عملك فأصلحه	ابن زيد	٢٢٣
عند الموت	مجاهد	٢٥٨
فإن الجن يفرقون من الإنس	عكرمة	١٣٤
غنى ربنا	عكرمة	١٢٩
فراغا طويلا يعني النوم	ابن عباس رضي الله عنهما	١٦٩
فرض قيام الليل في أول هذه السورة فقام	قتادة	٢١٤
فلما سمع أبو جهل	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٣٨
في الزمهرير إنه لون من العذاب	السدي	٣٢٧
قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة	قتادة	٢٥٤
قال : إبليس	مجاهد	١٢٣

طرف الأثر	القائل	الصفحة
قال : الإثم	إبراهيم النخعي	٢٢٨
قالت الملائكة بعضهم لبعض :من يرقى؟	أبو الجوزاء	٢٨٦
قدرت لري القوم	الحسن	٣٣٣
قدرت للكف	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٣٣
قدروها تقديرا لريهم	قتادة	٣٣٣
القيح والدم الأسود كعكر الزيت	مجاهد	٧٩
كالصوف	مجاهد	٧٩
كالعهن قال كالصوف	قتادة	٨٢
كان إذا نزل عليه الوحي عجل يتكلم به	الشعبي	٢٧٤
كان إذا نزل عليه الوحي عجل	الضحاك	٢٧٣
كان الأسرى في ذلك الزمان المشرك	عكرمة	٣٢٠
كان الرجل بين يدي الرسول ﷺ	أنس ﷺ	١٢٩
كان الجن يفرقون من الإنس	عكرمة	١٢٤
كان المشركون لا يتطهرون	ابن زيد	٢٢٢
كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي من القرآن	ابن جبير	٢٧٣
كان رسول الله ﷺيحرك به لسانه ليستذكره	الحسن	٢٧٤
كان ماله ألف دينار	مجاهد .	٢٣٠
كان يستذكر القرآن مخافة النسيان	مجاهد	٢٧٤
كانت اليهود والنصارى	قتادة	١٥٢
كخف البعير	مجاهد	٢٥٤
كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٢٨
كنا في المسجد و مقرئنا	أبو رجاء العطاردي	٢١٧
كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا	عائشة رضي الله عنها	١٧٧
لا تكلم بالذي أوحينا إليك	ابن زيد	٢٧٤
لا تنقص ولا تفيض	مجاهد	٣٣٣
لحوائجك فافرغ لدينك الليل	ابن زيد	١٦٩
لفهما في الكفن	الحسن	٢٨٩
لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم	قتادة	٣٢٠



فهرس الأعلام

العلـــم	شهرته	الصفحة
إبراهيم بن السري بن سهل.	الزجاج	٤٠
إبراهيم بن عمرو البقاعي.	البقاعي	٨٣
إبراهيم بن فرحون.	ابن فرحون	١٦
إبراهيم بن محمد بن مُفلِحْ.	–	٣٢٣
أبي بن كعب .	–	٣٤
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي.	–	٢٥
أحمد بن عبد الحليم	ابن تيمية	٤٥
أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي.	المهدوي	٣٩
أحمد بن فارس	ابن فارس	٤٥
أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري.	–	٣٧
أحمد بن محمد الإسكندراني.	ابن المنير	١٤١
أحمد بن محمد الخلوتي.	الصاوي	١٠٦
أحمد بن محمد الكتاني.	ابن حجر	١٧٨
أحمد بن محمد النيسابوري .	–	٣٧
أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي.	–	٤١
أحمد بن محمد بن جُزيّ .	أبو بكر	٢٦
أحمد بن محمد بن عمر.	الخفاجي	١٠١
أحمد بن مصطفى المراغي.	المراغي	٧٩
أحمد بن يوسف الحنبلي.	السمين	٨٣
إسماعيل بن عبد الرحمن السدي.	السدي	٣٥
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي .	أبو الفداء	٥٤
امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو	–	١٦٧

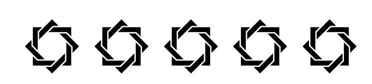
العلم	شهرته	الصفحة
أوس بن عبد الله الرَبعي.	أبو الجوزاء	٢٨٦
أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي.	أبو البقاء	٣١٦
بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي.	–	١٣٨
جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.	–	٢١٨
جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد.	القاسمي	٦٥
جهور بن محمد.	أبو الحزم	٤
الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري.	–	٣٤
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي .	–	٤١
الحسن بن قاسم المرادي	–	١٠٢
الحسين بن محمد القمي النيسابوري.	–	١٠٦
الحسين بن مسعود بن الفرّاء البغوي.	الفرّاء	٥٤
حفص بن سليمان بن المغيرة.	–	٢٢٧
خلف بن قاسم .	ابن الدباغ	٧
خويلد بن خالد بن محرث.	أبو ذؤيب	٣٠٩
ذكوان المدني.	أبو صالح	٣٥
رفيع بن مهران الرياحي .	أبو العالية	٣٥
رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية	أم حبيبة	١٠٧
زغلول راغب النجار .	–	٣٠٤
زُهَيْر بن أبي سُلْمَى.	ابن أبي سلمى	٨٤
زيد بن أسلم القرشي .	–	٢٦٤
زيد بن ثابت.	–	٣٤
سعيد بن جبير بن هشام .	ابن جبير	٣٤
سفيان بن مسروق.	الثوري	٢٣٠
الشماخ بن ضرار بن حرملة.	–	٢٢٤
الضحاك بن مزاحم الهلالي.	الضحاك	٣٥

العلم	شهرته	الصفحة
عاصم بن أبي النجود الجحدري .	ابن أبي النجود	٢٢٧
عامر بن شراحيل .	–	٢٧٤
عبد الحق بن غالب بن عطية.	–	٣٩
عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي.	–	٣١٦
عبد الرحمن بن بن ناصر آل سِعدي.	السعدي	٨٠
عبد الوحمن بن حسن الميداني.	الميداني	١٥٥
عبد الرحمن بن علي البكري القرشي الحنبلي.	أبو الفرج الجوزي	٧٠
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي.	الثعالبي	٦٧
عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم.	–	٥٨
عبد القادر البغدادي.	–	١٥
عبد الكريم محمد المروزي.	–	١٠
عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي الحضرمي.	–	٢٨٥
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.	النسفي	٦٥
عبد الله بن حبيب السلمي.	–	١٧٨
عبد الله بن عمر بن محمد.	البيضاوي	٦٤
عبد الله بن عمرو بن العاص.	–	٣٤
عبد الله بن محمد بن الحسين.	البندار	٣٣١
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.	ابن قتيبة	٤٠
عبد الله بن هلال المخزومي.	–	٢١٨
عثمان بن سعيد بن عثمان	أبو عمرو الداني	٧
عثمان بن سعيد.	ورش	١٨
عطية محمد سالم	–	٨٥
عكرمة بن عبد الله البربري المدني.	عكرمة	٣٤
علقمة بن قيس أبو شبل.	علقمة	٣٤

العلم	شهرته	الصفحة
علي بن أحمد بن سعيد الظاهري.	–	١٩٨
علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي.	الواحدي	٦٤
علي بن حبيب الماوردي.	الماوردي	٦٤
علي بن محمد الخزرجي.	الحصّار	١٧٨
علي بن محمد الطبري.	الطبري	١٥
علي بن محمد بن إبراهيم الخازن.	الخازن	٦٩
علي بن محمد بن عبد الله النباهي.	–	٢٧
علي بن يحي.	السمرقندي	٦٤
عمر بن علي الأنصاري.	ابن الملقن	١٧٣
عمر بن علي.	ابن عادل	٧٠
عمران بن حطان السدوسي.	–	٣٥٢
عمران بن ملحان.	أبو رجاء العطاردي	٢١٧
عمرو بن عبد الله بن الحصين.	–	١٨
عنترة بن شداد.	–	٢٢٣
عوف بن عطية الخراع.	–	١٣٨
غياث بن غوث بن الصلت.	–	٣٥٠
الفضيل بن عياض .	ابن عياض	٣١٦
القاسم بن فيره الشاطبي .	الشاطبي	س
قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي.	قبيصة	٧٠
قتادة بن دعامة السدوسي.	قتادة	٣٤
الليث بن سعيد بن عبد الرحمن .	–	١٨
مالك بن أنس بن مالك الأصبحي.	–	١٢
مجاهد بن جبر بن السّائب.	مجاهد	٣٤

العلم	شهرته	الصفحة
محمد بن أحمد الشربيني.	الشربيني	٧٠
محمد بن أحمد القرطبي.	القرطبي	٦٧
محمد بن أحمد اللخمي.	اللخمي	٢٥
محمد بن أحمد بن محمد بن جزي.	ابن جزي	٩
محمد بن أحمد بن محمد.	جلال الدين المحلي	٦٥
محمد بن الحسن.	النقاش	٣٧
محمد بن الحسين الأزدي.	الأزدي	٣٩
محمد بن السائب.	ابن السائب	١٩٢
محمد بن الطاهر بن عاشور.	ابن عاشور	٦٥
محمد بن القاسم الأنباري.	الأنباري	٣٥٢
محمد بن أيوب الدمشقي.	ابن القيم	٩٣
محمد بن بحر الأصفهاني.	الأصفهاني	٢٤٦
محمد بن بهدار الزركشي.	الزركشي	٥٧
محمد بن جرير الطبري.	ابن جرير	٣٧
محمد بن عبد الحي الكتاني.	الكتاني	٢٤
محمد بن عبد الله بن سعيد.	لسان الدين	٢٧
محمد بن عبد الوهاب النجدي.	ابن عبد الوهاب	١٥٩
محمد بن علي البلنسي.	البلنسي	١١٨
محمد بن علي الكرجي .	القصاب	١٠٥
محمد بن علي بن محمد الشوكاني.	الشوكاني	٦٥
محمد بن عمر التميمي الرازي.	الرازي	٣٩
محمد بن عمر بن محمد الفهري.	–	٢٥

العلم	شهرته	الصفحة
يحي بن شرف النووي.	النووي	١٧٣
يزيد بن أبي كبشة .	–	١٨
يزيد بن رومان الأسدي .	–	١٨
يوسف ابن إسماعيل بن فرج .	–	٢٦
يوسف بن تاشفين ..	ابن تاشفين	٤٢
يوسف بن عبد الله النمري	ابن عبد البر	٦٠



فهرس الغريب والمصطلحات المشروحة

فهرس الفرق



فهرس الأشعار

أول البيت	القائل	الصفحة
لك الحمد يارب لك الشكر ثم	علي بن أحمد الأندلسي	ز
لكلِّ بني الدنيا مـــرادٌ ومقصدُ	ابن جزي	٢٩
من كل مجتنب شديدٍ أسره	الأخطل	٣٥٠
وَاصْطَلَيْتُ الْحُرُوبَ فِي كُلِّ يَوْمْ	أسد بن ناصعة	٣٢٥
وَالْعِيرُ يُرْهِقُهَا الْغُبَارُ وَجَحْشُهَا	بشر بن أبي خازم	١٣٨
وإن مرادي صحةٌ وفراغٌ		١١
وَانْقَضَّ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُه	أوس بن حجر	١٣٨
وتعجب هند أن رأتني شاحبا		٢٣٦
ويومٍ كاظل الرمحِ قصر طوله	يزيد بن الطثرية	٧٧
يا ربُّ إنَّ ذنوبي اليوم قد كَثرُت	ابن جزي	٣٠
يَرُدُّ عَلَيْنَا الْعِيرَ مِنْ دُونِ إِلْفِهِ	عوف بن الخرع	١٣٨
يزيدك وجهه حسنا	أبو نواس	ب
يمشي بأوطفة شداد أسرها	ابن الأحمر	٣٥١

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات

- التحصيل في مختصر التفصيل الجامع لعلوم التتريل ، تأليف أبو العباس أحمد ابن عمار المهدوي المقري ، دار الكتب المصرية .
- التسهيل لعلوم التتريل ، تأليف / محمد بن أحمد بن محمد الكلبي ، رقم التسلسل : ٦٠٧٧٦ رقم الحفظ : ج/٤٤/٠٤/٠٢، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٦٩٠، الميكروفيلم ١٢٦٩٠ – مطبوع : ذخائر التراث ٧٢/١ .الأزهرية ٢١٦/١.
- التسهيل لعلوم التتريل ، تأليف : محمد الكلبي ، رقم التسلسل : ٦٣٦٥٨، رقم الحفظ : ج/١٢/٠٢/٤٥، رقم الحفظ والتسلسل : ١٢٨٠٢، الميكروفيلم : ١٢٨٠٢ – طبع : ذخائر التراث ٧٢/١ مكان الحفظ : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ثانيًا : الرسائل العلمية

- أثر السياق مع تطبيقات على كتاب البيان في غريب إعراب إعراب القرآن للأنباري ، رسالة دكتوراة ، إعداد الطالب : نوح بن يحي بن صالح الشهري ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، إشراف الدكتور : عبد الله بن ناصر القرني ، ١٤٢٦ هـ – ١٤٢٧ م.
- تحرير القول في السور و الآيات المكية والمدنية – من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس إعداد الطالب : محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الفالح ، الجامعة الإسلامية بالمدينة الم نورة،كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ، إشراف الدكتور : سليمان بن صالح الخزي ، ١٤٢٠ هـ
- تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التتريل لابن جُزي الكلبي القسم الأول : من المقدمة إلى آخر سورة النور ، إعداد الطالب : سامي بن مساعد بن مسيعيد الرفاعي الجهني . جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور : محمد بن سعيد بن محمد بن حسن البخاري ، ١٤١٨ هـ
- ترجيحات ابن جُزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التتريل – عرضاً ومناقشةً – من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، رسالة دكتوارة ، إعداد الطالب : إبراهيم محمد بن عبد الخالق الغامدي ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم

الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور : أمين محمد عطية باشا .١٤٢٨ هـــ - ١٤٢٩ هـــ .

- ترجيحات أبي حيَّان الأندلس في التفسير من أول سورة السجدة إلى آخر سورة الزمر جمعاً ودراسةً وموازنةً من خلال تفسيره البحر المحيط ، رسالة دكتوراة ، إعداد الطالبة : سلمى داود إبراهيم بن داود . جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة إشراف الدكتور : عبد الرحمن بن جميل قصاص ، ١٤٢٨ هـــ .
- ترجيحات أبي حيَّان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة — جمعاً ودراسةً و موازنةً من خلال تفسيره البحر المحيط ،رسالة دكتوارة ، إعداد لطالب : يحي بن محمد بن زمزمي، جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ،قسم الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور يحي بن محمد زمزمي — ١٤٢٦ هـــ - ١٤٢٧ هـــ .
- ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الطلاق إلى آخر سورة الناس — جمعاً و دراسةً وموازنةً ، رسالة ماجستير ، إعداد الطالب : محمد بن أحمد بن محمد بن معيض جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، إشراف الدكتور : عبد الله بن علي الغامدي ، ١٤٢٩ هـــ - ٢٠٠٨ م .
- ترجيحات واختيارات ابن جُزي الكلبي في تفسيره — عرضاً ومناقشةً من أول سورة العنكبوت وحتى آخر سورة غافر ، رسالة دكتوراة ، إعداد الطالب : عبد الحي بن دخيل الله بن مسلم المحمدي ، جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب و السنة إشراف الدكتور : عبد الله بن علي الغامدي ، ١٤٢٨ هـــ - ٢٠٠٧ م .
- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي — دراسة نحوية — طاهر عبد الحي محمد شبانة . جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ،قسم النحو والصرف والعروض ، إشراف الدكتور : أحمد محمد عبد الدايم ، ١٤١٥ هـــ ١٩٩٥ م .
- قواعد الترجيح عند ابن جُزي في تفسيره — دراسة تطبيقية — رسالة علمية مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير والحديث ، إعداد الطالب : عبد الله حمد الجمعان ، جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، قسم الثقافة الإسلامية ، إشراف الدكتور : عبد الرحمن إبراهيم المطرود . ١٤٢١ هـــ .

ثالثا : المصادر والمراجع المطبوعة

- القرآن الكريم .
- الإبانة عن أصول الديانة، تأليف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، دار النشر : دار الأنصار – القاهرة – ١٣٩٧ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. فوقية حسين محمود.
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تأليف : صديق بن حسن القنوجي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧٨ م، تحقيق: عبد الجبار زكار.
- ابن جزي ومنهجه في التفسير، تأليف : علي محمد الزبيري ، دار النشر : دار القلم – بيروت ،١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م ، الطبعة : الأولى.
- اتفاق المباني وافتراق المعاني، تأليف : سليمان بن بنين الدقيق ي النحوي، دار النشر : دار عمار الأردن – ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر.
- الإتقان في علوم القرآن، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر : دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تأليف : ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، دار النشر : مكتبة الخانجي – القاهرة –١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ، تحقيق: محمد عبد الله عنان.
- أحكام القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- أحكام القرآن، تأليف : أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف : أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت– ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، الطبعة : الثانية.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر : دار الجيل – بيروت – هـ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار

النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى تحقيق: عادل أحمد الرفاعي.

- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ هـ– ١٩٩٢ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي
- أصول السرخسي، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر، دار النشر : دار المعرفة – بيروت (١/١٧٠) ، وقواعد الفقه، تأليف : محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار النشر : الصدف ببلشرز – كراتشي – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، الطبعة: الأولى.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي . دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر . – بيروت. – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- الأعلام ، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار النشر : دار العلم للملايين – ٢٠٠٧ م، الطبعة : السابعة عشر.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف : أبوعبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر : دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- الأغاني، تأليف: أبو الفرج الأصبهاني، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر.
- الأغاني، تأليف: أبو الفرج الأصبهاني، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تأليف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر : مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٦٩ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، تأليف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر: المكتبة العلمية– لاهور – باكستان، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض.
- الأنساب، تأليف: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.

♦ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تأليف : قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، دار النشر : دار الوفاء - جدة - ١٤٠٦ هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي.
♦ أوصاف الناس في التواريخ والصلات ، تأليف : لسان الدين بن الخطيب ، دار النشر : مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م
♦ باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ، تأليف : محمود بن أبي الحسن النيسابوري ، دار النشر : جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعاد بنت صالح بابقي
♦ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تأليف : زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار النشر : دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية.
♦ البحر الزخار، تأليف : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار النشر : مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة - ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله
♦ البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر .
♦ البدء والتاريخ، تأليف: وهو المطهر بن طاهر المقدسي، دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد
♦ البداية والنهاية، تأليف : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو ال فداء، دار النشر : مكتبة المعارف بيروت.
♦ بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦ - ١٩٩٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي .
♦ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف : العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار النشر : دار المعرفة - بيروت.
♦ البدر المنير في تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في الشرح الكبير، تأليف : سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن، دار النشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية - ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال.
♦ البرهان في علوم القرآن، تأليف : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار النشر : دار

المعرفة – بيروت – ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- بغية الطلب في تاريخ حلب، تأليف : كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرا دة، دار النشر : دار الفكر، تحقيق: سهيل زكار.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر : المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف : محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار النشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت – ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المصري.
- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية.
- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، تأليف : عبد الرحمن علي الحجي، دار النشر : دار القلم —دمشق –١٤٢٩ هـــ ، الطبعة : الثانية .
- التاريخ الصغير (الأوسط)، تأليف: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار الوعي ، مكتبة دار التراث – حلب ، القاهرة — ١٣٩٧هـــ – ١٩٧٧، الطبعة: الأولى تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تأليف : الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي، دار النشر: مطبعة المدني – القاهرة – ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عزت العطار الحسيني .
- التاريخ الكبير، تأليف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر : دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، تأليف : السيد عبد العزيز سالم ، دار النشر : مؤسسة شباب الجامعة — الإسكندرية — ٢٠٠٢ م .
- تاريخ بغداد، تأليف : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب ال بغدادي، دار النشر : دار الكتب العلمية — بيروت.
- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تأليف : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي ، دار النشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت / لبنان – ١٤٠٣ هـــ – ١٩٨٣ م، الطبعة : الخامسة ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف : أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

- ♦ تأويل مشكل القرآن ، تأليف : ابن قتيبة ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م ، الطبعة : الثالثة.
- ♦ التبيان في إعراب القرآن، تأليف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- ♦ التبيان في أقسام القرآن، تأليف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الفكر.
- ♦ التحرير والتنوير ، تأليف : محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر : دار سحنون – تونس .
- ♦ التحفة اللطيفة في تاريخ الم دينة الشريفة، تأليف : الأمام شمس الدين السخاوي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى.
- ♦ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، دار النشر : دار ابن خزيمة – الرياض – ١٤١٤هـ، الطبعة : الأولى تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد.
- ♦ تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تأليف : أبي الفرج ابن الجوزي ، دار النشر : مكتبة المعارف الرياض ، الطبعة : ، تحقيق : علي حسين البواب .
- ♦ تذكرة الحفاظ، تأليف : أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى
- ♦ الترغيب والترهيب ، تأليف : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، دار النشر : مكتبة المعارف الرياض – ١٤٢٤ هـ ، الطبعة : الأولى ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه : محمد ناصر الدين الألباني.
- ♦ التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر : دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.
- ♦ التضمين النحوي في القرآن الكريم ،تأليف : محمد نديم فاضل ، دار النشر : دار الزمان – المملكة العربية السعودية / المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى .
- ♦ التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تأليف : سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي، دار النشر : دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أبو لبابة حسين
- ♦ التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

- ♦ تفسير البحر المحيط، تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.
- ♦ تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
- ♦ تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار الرشر: دار الفكر — بيروت.
- ♦ تفسير الجلالين، تأليف: محمد بن أحمد و عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي و السيوطي، دار النشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.
- ♦ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف : نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.
- ♦ تفسير القرآن العزيز، تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، دار النشر : الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز.
- ♦ تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر : دار الفكر - بيروت — ١٤٠١هـ.
- ♦ تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر : دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .
- ♦ تفسير القرآن، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الراز ي، دار النشر : المكتبة العصرية صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.
- ♦ تفسير القرآن، تأليف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني، د ار النشر : مكتبة الرشد - الرياض ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.
- ♦ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
- ♦ التفسير اللغوي للقرآن ، تأليف : مساعد بن سليمان الطيَّار ، دار ابن الجوزي — المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢٢ هـ ، الطبعة : الأولى
- ♦ تفسير المراغي ، تأليف : أحمد مصطفى المراغي ، دار النشر : دار الكتب العلمية — بيروت / لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م ، الطبعة : الأولى.

♦ تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل ، تأليف : أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار النشر : دار الفكر.

♦ تقريب التهذيب، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة

♦ تقريب الوصول إلى علم الأصول، تأليف : محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي ، دار النشر : المحقق – المدينة المنورة ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م ، الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

♦ تكملة الإكمال، تأليف: محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، دار النشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤١٠هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي.

♦ تلبيس إبليس، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، دار النشر : دار الكتاب العربي بيروت – ١٤٠٥ – ١٩٨٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. السيد الجميلي .

♦ تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني المدينة المنورة – ١٣٨٤ – ١٩٦٤، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني

♦ التلخيص في أصول الفقه، تأليف : أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، دار النشر : دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، تحقيق : عبد الله

♦ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري.

♦ تهذيب الأسماء واللغات، تأ ليف: محي الدين بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر – بيروت ١٩٩٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

♦ تهذيب التهذيب، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة: الأولى

♦ تهذيب الكمال، تأ ليف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٠ – ١٩٨٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

♦ تهذيب اللغة ، تأليف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار ا لنشر: دار إحياء التراث العربي بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة:الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.

♦ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تأليف : أحمد بن إبراهيم بن عيسى، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٦هـ، الطبعة : الثالثة، تحقيق : زهير

الشاويش.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف : عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى.
- التيسير في القراءات السبع، تأليف : الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الطبعة: الثانية.
- الثقات، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر : دار الفكر هـ١٣٩٥ - ١٩٧٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٥.
- الجامع الصحيح المختصر، تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر : دار الشعب – القاهرة.
- الجمان في تشبيهات القرآن ، تأليف : أبو القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي ، دار النشر : دار الفكر المعاصر – بيروت / لبنان ، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد رضوان الداية.
- جمهرة أشعار العرب، تأليف : أبو زيد القرشي، دار النشر : دار الأرقم - بيروت، تحقيق: عمر فاروق الطباع.
- جمهرة الأمثال، تأليف : الشيخ الأديب أبو هلال العسكري، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨
- الجنى الداني في حروف المعاني ، تأليف : الحسن بن قاسم المرادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل.
- جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات ، تأليف : وليد بن محمد بن عبد الله العلي

، دار النشر – دار البشائر الإسلامية ، بيروت / لبنان ،١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة : الأولى

- ♦ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
- ♦ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف : عبد القادر بن أبي الوفا ء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، دار النشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.
- ♦ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
- ♦ حاشية الشهاب المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي ، تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م الطبعة : الأولى .
- ♦ حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، تأليف : أحمد بن محمد الصّاوي المصري ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
- ♦ الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار النشر : دار الشروق - بيروت - ١٤٠١، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم .
- ♦ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.
- ♦ الحماسة البصرية، تأليف: صدر الدين علي بن الحسن البصري، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، تحقيق: مختار الدين أحمد.
- ♦ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد نبيل طريفي /اميل بديع اليعقوب.
- ♦ خلق الإنسان في القرآن الكريم ، تأليف : زغلول راغب محمد النجار ، دار النشر : دار المعرفة بيروت / لبنان ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م ، الطبعة : الأولى.
- ♦ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف : شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن إبراهيم دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، الطبعة : الأولى تحقيق : علي محمد عوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، جاد مخلوف جاد ، زكريا عبد المجيد النوتي .
- ♦ الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت – ١٩٩٣.

♦ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف : الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار النشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند – ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م الطبعة: الثانية، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان.

♦ دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تأليف : القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص.

♦ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت

♦ ديوان ابن زمرك ، تأليف : محمد بن يوسف الصريحي الأندلسي الغرناطي ، دار النشر : المكتبة العصرية – صيدا / بيروت ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ، الطبعة : الأولى.

♦ ذيل طبقات الحفاظ (للذهبي)، تأليف: الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

♦ رجال صحيح مسلم، تأليف: أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر، دار النشر : دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله الليثي .

♦ الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة المدني – جدة، تحقيق: د. محمد جميل غازي.

♦ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف : العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

♦ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تأليف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار ال نشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥.

♦ زاد المسير في علم التفسير، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤هـ، الطبعة: الثالثة.

♦ الزاهر في معاني كلمات الناس، تأليف : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ هـ –١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

♦ السبعة في القراءات، تأليف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، دار النشر : دار المعارف – مصر – ١٤٠٠هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف.

♦ السراج المنير تأليف : الخطيب الشربيني ، دار النشر :دار إحياء التراث العربي – لبنان / بيروت

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م الطبعة : الأولى ، علق عليه : أحمد عزو عناية الدمشقي.

- السلسلة الصحيحة، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض .
- سنن ابن ماجه، تأليف : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود ، تأليف : أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار النشر : مكتبة المعارف الرياض – ١٤٢٧ هـ ، الطبعة : الثانية ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه : محمد ناصر الدين الألباني.
- سنن أبي داود، تأليف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر : دار الفكر -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- السنن الصغرى، تأليف : أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، دار النشر : مكتبة الدار المدينة المنورة - ١٤١٠ - ١٩٨٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
- السنن الكبرى، تأليف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.
- سير أعلام النبلا ء، تأليف : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة : التاسعة، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دار النشر: دار بن كثير - دمشق - ١٤٠٦هـ، الطبعة: ط١، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.
- شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة ، تأليف : حصّة بنت عبد العزيز الصغير ، دار النشر : دار القاسم ، المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢٠هـ ، الطبعة : الأولى.
- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف : ابن أبي العز الحنفي، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، الطبعة: الرابعة.
- شرح مشكل الآثار، تأليف : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس

البهوتي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت — ١٩٩٦م، الطبعة: الثانية.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التم يمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- صحيح الجامع الصغير و زيادته (الفتح الكبير) ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي — بروت — ١٤٠٦ هـــ - ١٩٨٦ م.
- صحيح مسلم بشرح النوو ي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت — ١٣٩٢ هـــ، الطبعة: الطبعة الثانية.
- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي.
- صفة الصفوة، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار النشر: دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ - ١٩٧٩، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار العاصمة - الرياض — ١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م ، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.
- الضعفاء الكبير، تأليف: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، دار النشر : دار المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي.
- الضعفاء والمتروكين، تأليف : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار النشر : دار الوعي حلب - ١٣٩٦هـــ-، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود إبراهيم زايد .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار النشر : منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار النشر : منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت.
- طبقات الحفاظ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.
- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـــ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د .عبد

الفتاح محمد الحلو.

- طبقات الشافعية، تأليف : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.
- طبقات الفقهاء، تأليف: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار النشر : دار القلم - بيروت، تحقيق: خليل الميس.
- الطبقات الكبرى، تأليف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، دار النشر : دار صادر - بيروت.
- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي
- طبقات فحول الشعراء، تأليف : محمد بن سلام الجمحي، دار النشر : دار المدني - جدة، تحقيق: محمود محمد شاكر.
- طرح التثريب في شرح التقريب ، تأليف: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: عبد القادر محمد علي.
- عبد الرحمن حبنّكة الميداني العالم المفكر المفسر ، تأليف : عائدة راغب الجرّاح ، دار النشر : دار القلم - دمشق - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى .
- العبر في خبر من غبر، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر : مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٤، الطبعة: الثانية ، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد
- العبر في خبر من غبر، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر : مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٤، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.
- العظمة، تأليف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، دار النشر : دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.
- علماء ومفكرون عرفتهم ، تأليف :معد المجذوب ، دار النشر : دار الشواف.
- عقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن من خلال أضواء البيان ، تأليف : أحمد سلامة أبو الفتح ، دار النشر : دار الكيان- الرياض ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تأليف : أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، دار النشر : عالم الكتب - بيروت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف : بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت.

♦ العمدة في غريب القرآن ، تأليف : محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي
♦ غاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ، تأليف : أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن ، دار النشر : دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله.
♦ غاية النهاية في طبقات القراء ، تأليف : محمد بن محمد الجزري ، دار النشر : مكتبة المتنبي القاهرة.
♦ غرائب القرآن ورغائب الفرقان تأليف : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، دار النشر : دار الكتب العلمية _ لبنان / بروت ، الطبعة : ، تحقيق.
♦ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تأليف : الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، دار النشر : دار طيبة ، - الرياض ، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى ، تعليق : عبد الرحمن ناصر البراك.
♦ فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
♦ فتح البيان في مقاصد القرآن تأليف : صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ، دار النشر :المكتبة العربية – لبنان / بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م ، الطبعة : الثانية.
♦ الفتح السماوي، تأليف: المناوي، دار النشر: دار العاصمة - الرياض، تحقيق: أحمد مجتبى.
♦ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
♦ فصول في أصول التفسير ، تأليف : مساعد بن سليمان الطيَّار ، دار النشر : دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢٠ هـ ، الطبعة : الثالثة.
♦ فهرس الفهارس و الأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات ، تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار النشر : دار العربي الاسلامي - بيروت/ لبنان - ١٤٠٢هـ١٩٨٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. إحسان عباس.
♦ قواعد الترجيح عند المفسرين ، تأليف : حسين بن علي بن حسين الحربي ، دار النشر : دار القاسم – الرياض ، ١٤٢٧ هـ - ١٩٩٦ م ، الطبعة الأولى.
♦ قواعد التفسير، تأليف :خالد بن عثمان السبت ، دار النشر :دار ابن عفَّان – القاهرة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى.
♦ القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، تأليف : العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِّعدي ، دار ابن

الجوزي – المملكة العربية السعودية / الرياض ، ١٤٢١ هـ ، الطبعة : الثانية.

◆ قواعد الفقه، تأليف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار النشر: الصدف ببلشرز – كراتشي – ١٤٠٧ – ١٩٨٦، الطبعة: الأولى.

◆ القوانين الفقهية ، تأليف : ابن جُزيّ ، دار النشر : المكتبة الثقافية – بيروت

◆ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو – جدة – ١٤١٣ – ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.

◆ الكامل في التاريخ، تأليف : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: عبد الله القاضي.

◆ الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف : عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٩ – ١٩٨٨، الطبعة: الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

◆ كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف : أحمد عبد الحليم بن تيمية الح راني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

◆ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تأليف : لسان الدين بن الخطيب دار النشر : دار الثقافة –بيروت / لبنان ، ١٩٦٣ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إحسان عباس.

◆ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

◆ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقا ويل في وجوه التأويل ، تأليف : محمود بن عمر الزمخشري ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت / لبنان ، ١٤٧٢ هـ – ٢٠٠٦ م ، الطبعة : الأولى .

◆ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعِللها وحججها ، تأليف : مكب بن أبي طالب ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م ، الطبعة : الخامسة ،تحقيق : محي الدين رمضان.

◆ الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، تأليف: أبو إسحاق أحمد بن محم د بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

◆ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني

الكفومي، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

◆ لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية — لبنان / بيروت.

◆ اللباب في علوم الكتاب تأليف : أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار النشر :دار الكتب العلمية — لبنان / بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود + علي محمد معوض .

◆ لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى.

◆ لسان الميزان، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثالثة، تحقيق: دائرة المعرف النظامية — الهند.

◆ اللّمحة البدريّة في الدولة النصريّة ، تأليف : ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، دار النشر : دار الأفاق الجديدة —بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : لجنة التراث العربي.

◆ لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، تأليف : فاضل صالح السامرائي ، دار النشر : دار عمان عمان / الأردن — ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م ، الطبعة الرابعة.

◆ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، تأليف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، دار النشر : مؤسسة الخافقين دمشق ، الطبعة : الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

◆ المبدع في شرح المقنع، تأليف : إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت — ١٤٠٠هـ.

◆ متن الشاطبية المُسمى (حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع) ، تأليف : القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبي ، دار النشر : مكتبة دار الهدى — المدينة المنورة — ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، الطبعة : الثالثة .

◆ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، دار النشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٥م تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

◆ مجاز القرآن ، تأليف :أبو عبيدة معمر بن المثنى، دار النشر : دار الكتب العلمية — لبنان / بيروت

١٤٢٧ ه — - ٢٠٠٦م الطبعة : الأولى.

- ◆ المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع ، تأليف : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، دار النشر مكتبة وهبة — ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، الطبعة : الثالثة.
- ◆ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تأليف : الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي ح اتم التميمي البستي، دار النشر : دار الوعي - حلب - ١٣٩٦هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود إبراهيم زايد.
- ◆ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف : علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر : دار الريان للتراث /دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت — ١٤٠٧.
- ◆ محاسن التأويل ، تأليف : محمد جمال الدين القاسمي ، دار النشر : دار الفكر — بيروت / لبنان ١٤٢٥ه — ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الأولى.
- ◆ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء، تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، دار النشر: دار القلم - بيروت - ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، تحقيق: عمر الطبلع.
- ◆ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .
- ◆ المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية ، تأليف : خالد بن سليمان المزيني ، دار النشر : دار ابن الجوزي — الرياض / المملكة العربية السعودية — ١٤٢٧ هـ الطبعة : الأولى .
- ◆ المحصول في أصول الفقه، تأليف : القاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي ، دار النشر : دار البيارق - عمان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين علي اليدري - سعيد فودة.
- ◆ المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- ◆ المحو والإثبات في المقادير ، تأليف : عيسى بن عبد الله السعدي ، دار النشر : دار ابن الجوزي الدمام / المملكة العربية السعودية _ ١٤٢٧ هـ ، الطبعة : الأولى .
- ◆ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

- المدهش، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن هادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: الثانية، تحقيق: الدكتور مروان قباني.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تأليف :جلال الدين السيوطي ، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت - ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: فؤاد علي منصور.
- المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دا ر النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- مسند أبي داود الطيالسي، تأليف : سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت.
- مسند أبي يعلى، تأليف : أحمد بن علي بن المثنى أ بو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر : دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد
- مسند إسحاق بن راهويه، تأليف : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، دار النشر : مكتبة الإيمان - المدينة المنورة - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر : مؤسسة قرطبة مصر
- مشاهير علماء الأمصار، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - - ١٩٥٩، تحقيق: م. فلايشهمر.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية — بيروت.
- مصنف ابن أبي شيبة ، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، تأليف : مصطفى السيوطي الرحيباني، دار النشر : المكتب الإسلامي - دمشق - ١٩٦١م.
- معارج التفكر ودقائق التدبر ، تأليف : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار النشر : دار القلم دمشق ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، الطبعة : الأولى.
- المعارف، تأليف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، دار النشر: دار المعارف - القاهرة تحقيق:

دكتور ثروت عكاشة.

♦ معالم تاريخ المغرب والأندلس ، تأليف : حسين مؤنس ، دار النشر : دار الرشد.

♦ معاني القرآن للأخفش ، تأليف : سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري ، دار النشر " دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان -١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى.

♦ معاني القرآن للفراء ، تأليف : أبي زكريا يحي بن زياد الفراء ، دار النشر : دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، الطبعة الثالثة.

♦ معاني القرآن وإعرابه ، تأليف : أبى إسحاق إبراهيم بن السري ، دار النشر : دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م . تحقيق : عبد الجليل شلبي .

♦ معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تأليف : أبي إسحاق إبراهيم بن السِّريِّ ، دار النشر : دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

♦ معاني النحو ، تاليف : فاضل صالح السامرائي ، دار النش ر : دار الفكر – عمان ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م ، الطبعة الثانية.

♦ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تأليف : الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

♦ المعتمد في أصول الفقه، تأليف : محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل الميس.

♦ معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، الطبعة: الأولى.

♦ المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دا ر النشر: دار الحرمين - القاهرة ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

♦ معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار النشر: دار الفكر – بيروت.

♦ المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر : مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

♦ المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تأليف : أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق: محمد شكور المياديني.

♦ المعجم الوسيط ، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

- المعجم في مشتبه أسامي المحدثين، تأليف : عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الهروي أبو الفضل، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤١١، الطبعة: الأولى، تحقيق: نظر محمد الفاريابي.
- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر : دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون
- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تأليف : أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، دار النشر : مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي
- معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف : جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار النشر : دار الفكر - دمشق - ١٩٨٥، الطبعة: السادسة، تحقيق: د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- المفردات في غريب القرآن، تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر : دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف : علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، تحقيق: هلموت ريتر.
- المقتضب، تأليف: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، دار ا لنشر: عالم الكتب. - بيروت، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة.
- مقدمة ابن خلدون، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار النشر : دار القلم - بيروت - ١٩٨٤م، الطبعة: الخامسة.
- مقدمة في أصول التفسير ، تأليف : شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، دار النشر : دار ابن حزم - بيروت / لبنان ، ١٤١٨ هـ ، الطبعة : الثانية .
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تأليف : الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - السعودية - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

◆ الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار النشر : دار المعرفة – بيروت / لبنان ، ١٤١٠ هـ – الطبعة : الأولى .
◆ منع جواز المجاز في المترل للتعبد والإعجاز ، تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار النشر : متكتبة ابن تيمية.
◆ موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، تأليف : عبد الرّحمن بن صالح بن صالح المحمود، دار النشر : مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، الطبعة : الأولى .
◆ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
◆ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري.
◆ الناسخ والمنسوخ، تأليف: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، دار النشر : مكتبة الفلاح – الكويت – ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد.
◆ النشر في القراءات العشر ، تأليف :محمد بن محمد الدمشقي ، دار النشر : دار الكتاب العربي
◆ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت / لبنان .
◆ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف : أحمد بن محمد المقري التلمساني، د ار النشر: دار صادر – بيروت – ١٣٨٨هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.
◆ نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ، تأليف : محمد بن علي الكرجي القصاب ، دار النشر : دار ابن القيم – الدمام / المملكة العربية السعودية – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : شايع بن عبده بن شايع الأسمري.
◆ النكت والعيون تأليف : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان / بيروت ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، الطبعة : الثانية ، راجعه وعلق عليه : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم.
◆ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تأليف : محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٩٩٢م، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.
◆ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تأليف : أحمد بابا التنبكتي ، دار النشر : مكتبة الثقافة الدينية ، –

القاهرة ، ١٤٣٢ هـــ - ٢٠٠٤ م ، تحقيق : علي عمر

- الهداية إلى بلوغ النهاية ، تأليف : مكي بن أبي طالب القي سي ، دار النشر : جامعة الشارقة ١٤٢٩ هـــ - ٢٠٠٨ م ، الطبعة الأولى.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: المكتبة التوفيقية - مصر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي
- الوافي بالوفيات، تأليف : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر : دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـــ- ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، دار النشر :دار الكتب العلمية — لبنان / بيروت ، ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٤ م الطبعة :الأولى ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض و أحمد محمد صيرة و أحمد عبد الغني الجمل و عبد الرحمن عويس.
- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تأليف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار النشر: دار الثقافة - لبنان، تحقيق: إحسان عباس.



فهرس الموضوعات